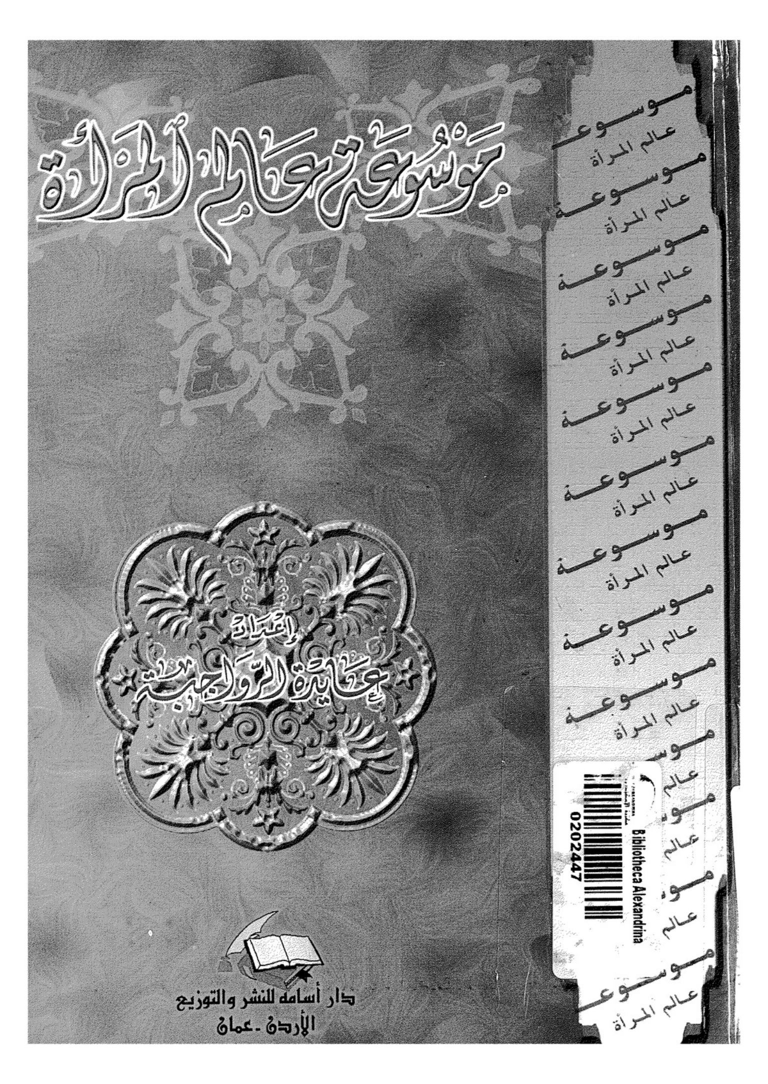

موسوعة عالم المرأة
إعداد
عايدة الرواجبة
دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمان
موسوعة
عالم المرأة
Bibliotheca Alexandrina
02022447

موسوعة

عالم المرأة

تأليف

عايدة الرواجبة

دار أسامة للنشر والتوزيع
الأردن - عمّان

الناشر

دار أسامة للنشر والتوزيع

عمان – الأردن

تلفاكس: ٤٦٤٧٤٤٧ – فاكس : ٥٨٦٢٦٢٣

ص.ب ١٤١٧٨١

الطبعة الأولـــى

٢٠٠٠م

بســم الله الرحمن الرحيــم

مقــدمـــــة :

إنّ الحمد لله ، نحمدهُ ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ الله من شــــرور أنفســنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مُضِلً له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشــهد أن الله لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله.

أما بعــد: فإن المرأة موضع بحث في العصور كلّها ، اختلفت العادات والقيــم في شأنها ، فجارت عليها قيمٌ ، وكثُرت بالانحطاط في مستواها ومعاشِــــها وســلوكها على مدار عصورٍ كثيرة مرَّت ومضت قبل الإسلام ، ولعلَّ أهم تلك الأخطـــاء التـــي ارتكبت في حقها : إنها لم تكن موضع اعتبار عند الرجال ، كما أنها لا تسـاويهم ، ولا يقوى رأيها أن يكون حُجَّةً أمامَ الآخرين ، وجعلها آخرون في موضع لا يُتَقبــل منـــها تَدينها وعباداتُها ، فانحط بها إلى درجة الحيوانات.

فجاء الإسلام بتعاليمه ومبادئه وسماحته ليُعَلّم البشرية أن المرأة جزءٌ مهم فـــي المجتمع ، وهي مثيل الرجل ، خُلقت مما خلق منه الرجـــل ، لافـرق ، إلا ببعــض الرئاسة التي أعطاها الله عز وجل للرجل مميزاً إياه عن المرأة ، وماذلك إلا من أجــل مصلحةٍ يقتضيها دورانُ الحياة في المجتمعات بين رئيس ومرؤوس، ولكن ضمن قيــودٍ تعبدية ، منها طاعةٌ لله ، لا عبودية للرجل.

فحرر الإسلام المرأة من كل تلك الأوصاف الجاهلية التي رموها بها، وأضفى عليها أهمية غير معهودة في القوانين والدساتير الوضعية لدى البشـــر ، فجعلـــها فـــي المكان المناسب التي يمكن أن تقوم بدورها فيه دونَ تعثر أو سقوط.

فنالت المرأة بذلك كلِّه التكريم والمســـاواة والحريـــة ، فتنفســت الصعـــداء ، وعلمت أنَّ الإسلام هو الحق الذي يكفل لها كامل حقوقها ، ويحفظ نفسها من الإمتـــهان الذي اعتادت عليه سابقاً.

فكان من تلك المبادئ الأولى التي حافظ به الإسلام على تلك المرأة : الأمـــر بالحفاظ على النفس من طغيان الشيطان عليها ، وجعل لذلك.أســـباباً رئيســة منـــها : الاختلاط والتبرج، فحرَّم عليها هذين الأمرين لأنهما سبيلان إلى امتهان المرأة بصورة

آخرى عن الامتهان الذي وقع في العصور الجاهلية.

وجاءت الآن أزمن على النساء ودخلت الشياطين بيوتها ، وأقنعتها بأساليب ملتوية أنَّ نجاحها وكيانها لا يمكن أن تقوم عليهما وتحافظ عليهما إلا بأن تتقلد أفعال الرجال .

وأكثر ما بدأت هذه الظاهرة كان في القرن الثامن عشر ، وتبلورت وانتشرت، وبلغت الذروة في القرن العشرين عقب الحربين العالميتين ، فكان من الآثار التي نتجت عن هذه الظاهرة أن أخطأ الرجلُ والمرأة مسارهما في الحياة ، وبدأ في تخبط دون مقصد سليم يتبع ، فضاعت الحقوقُ ، وتسيَّبت أوضاعُها ، ونال الانحطاط مكاناً في عصرنا هذا..

لقد ضربت المرأة المسلمة في عهود الإسلام الأولى أروع الأمثال كأم تربي أبناءها على مكارم الأخلاق ومحاق الشيم وتدفع بهم إلى ميادين الجهاد والإستشهاد ، وتترفع بهم عن الدنايا ومحقرات الأمور ، وبرزت في آفاق العلم والثقافة حتى رأينا الشاعرة التي تنطق بالحكمة ، والخطيبة التي تسحر الألباب بجواهر لفظها ، وبلاغة قولها ، والفقيهة التي تفتي في أمور الدين بما تعلم ، وكلنا يذكر خديجة وعائشة ونسيبة وأسماء والخنساء وغيرهن من رضي الله عنهن.

هكذا كانت المرأة المسلمة إلى أن جاء محررو المرأة الذين حرروها من الأخلاق والقيم فخرجت في هذا الزي الخليع الذي يكشف عن مواضع الفتنة في الجسد المشتهي لذئاب البشر وقططه.

وكيف يمكن أن يغض الرجل الطرف وهو يرى الفتنة عن يمينه وشماله ، بل في عقر داره لولا أن يقبض على دينه ، وأين من يقبض على دينه كما يقبض القابض على الجمر؟؟

هذا ما عليه بعض نساء اليوم ، إلا أن كتابنا لم نخصص لما عليه المرأة اليوم بل هو موسوعة تتحدث عن المرأة منذ بدء الخليقة إلى يومنا هذا ، فالله نسأل أن يكون عملاً خالصاً لوجهه ، وأن يُفيد منه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المؤلفة

"خَلَقَ المرأة من ضلع أعــوج"

نعلم أن زوج آدم عليه السلام هي حوّاء عليها السلام ، وهو أول مـــن سماها بذلك حين خلقت من ضلعه من غير أن يحسّ آدم عليه السلام بذلك ، ولو ألِمَ بذلك لم يعطف رجل على امرأته ، فلما انتبه قيل له: من هذه ؟ قال : امرأة، قيل: وما اسمها؟ قال : حواء ، قيل : ولم سمّيت امرأة؟ قال : لأنها من المـــرء أخذت، قيل : ولم سميت حواء؟ قال : لأنها خلقت من حي.

روي أن الملائكة سألته عن ذلك لتجرّب علمه ، وأنهم قالوا له : أتحبـها يا آدم؟ قال : نعم ، قالوا لحواء : أتحبينه يا حواء؟ قـــالت : لا ، وفـــي قلبـــها أضعاف ما في قلبه من حبه ، قالوا : فلو صدقت امرأة فـــي حبـــها لزوجـــها لصدقت حواء.

وقال ابن مسعود ابن عباس : لما أسكن آدم الجنة مشى فيها مستوحشـــاً فلما نام خلقت حواء من ضلعة القُصرى من شقه الأيسر ليسكن إليها ويأنس بـــها فلما انتبه رآها فقال : من أنت؟ قالت : امرأة خلقت من ضلعك لتسكن إليّ، وهو معنى قوله تعالى:﴿ هو الذي خلقكم من نفسٍ واحدة وجعل منها زوجها ليســـكن إليها﴾.

قال العلماء : ولهذا كانت المرأة عوجاء لأنها خلقت من أعـــوج وهـــو الضلع.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : "إن المرأة خلقت من ضلـــع – وفي رواية– وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه ، لن تستقيم لك علـــى طريقـــة

واحدة فإن استمتعت بها وبها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها".(١)

وقال الشاعر:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ألا إن تقويم الضلوع إنكسارها
أتجمع ضعفاً واقتداراً على الفتى أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

ومن هذا الباب استدل العلماء على ميراث الخنثى المشكل إذا تساوت فيه علامات النساء والرجال من اللحية والثدي والمبال بنقص الأعضاء، فإن نقصت أضلاعه عن أضلاع المرأة أعطى نصيب رجل ... روى ذلك عن علي رضي الله عنه.

الزوجة من جنس الرجل

قال تعالى:﴿والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً ورزقكم من الطيبات أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله هم يكفرون﴾ (النحل : ٧٢).

جعل لكم من أنفسكم ، أي من جنسكم ونوعكم وعلى خلقتكم ، كما قال:﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم﴾ أي من الآدميين ، وفي هذا رد على العرب التي كانت تعتقد أنها كانت تزوّج الجن وتباضعها، حتى روي أن عمرو ابن هند تزوج منهم غولاً وكان يخبؤها عن البرق لئلا تراه فتنفر ، فلما كان في بعض الليالي لمع البرق وعاينته السّعلاة –وهي أخبث الغيلان– فقالت : عمرو ونفرت ، فلم يرها أبداً ، وهذا من أكاذيبها.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم.

"المرأة سكن الرجـــل"

قال تعالى:﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتســكنوا إليهــا وجعل بينكم مودةً ورحمةً إن في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾. (الروم :٢١).

معنى ﴿ خلق لكم من أنفسكم أزواجاً﴾ أي نساء تسكنون إليــها ﴿مــن أنفسكم﴾ أي من نطف الرجال ومن جنسكم ، وقيل : المراد حوّاء ، خلقها مــن ضلع آدم.

﴿وجعل لكم مودة ورحمة﴾ قال إبن عباس ومجاهد : المودة الجمــاع ، والرحمة الولد.

وقيل : المودة والرحمة عطف قلوبهم بعضهم علـــى بعــض ، وقــال السدي: المودة المحبة ، والرحمة الشفقة.

ويقال : إن الرجل أصله من الأرض ، وفيه قوّة الأرض وفيــه الفــرج الذي منه بُدئ خلقه فيحتاج إلى سكن ، وخُلِقت المــرأة ســكناً للرجــل ، قــال تعالى﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب﴾ الآية.

وقال﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها﴾ فــأول ارتفاق الرجل بالمرأة سكونه إليها مما فيه من غليان القوة، وذلك أن الفــرج إذا تحمل فيه هيج ماء الصلب إليه ، فإليها يسكن وبــها يتخلــص مــن الــهياج ، وللرجال خلق البضع منهن ، قال تعالى﴿ وتذرون ما خلــق لكــم ربكــم مــن أزواجكم﴾ فأعلم الله عز وجل الرجال أن ذلك الموضع خلق منــهن للرجــال ، فعليها بذله في كل وقت يدعوها الزوج ، فإن منعته فهي ظالمــة وفــي حــرج

عظيم، ويكفيك من ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قـــال ، قال رسول الله ﷺ :" والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشـــها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها".

وفي لفظ آخر "إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح".

"أصل نشـــأة الأســـرة"

إن أول أسرة ظهرت على سطح الأرض من الجنس البشري هي أسـرة آدم ، وقد تكونت في الجنة ، كما قال تعالى ﴿يا آدم أسكن أنت وزوجك الجنة﴾ (البقرة : ٣٥) وكانت مكونة من زوج هو آدم وزوجه واحدة هي حواء.

وكان تكوينها بأمر الله سبحانه ، فقد خلق آدم وحده ، ثم خلق لـه مـن يؤنسه ، وهي حواء قال تعالى :﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منهـا زوجها ليسكن إليها﴾ (الأعراف : ١٨٩).

وليس هناك دليل على أن التقاء آدم بحواء انتج ذرية قبل هبوطهما إلـى الأرض ، قال تعالى:﴿ اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو﴾ (طه : ١٢٣).

والراجح أن الأمر هو لآدم وحواء فقط ،فإن الحديث عنهما فـي الآيـة قبلها كان بصيغة المثنى ﴿ فأكلا منها فبدت لهما سـوآتهما وطفقـا يخصفـان عليهما من ورق الجنة﴾ (طه :١٢١) وكون بعضها عدوا لبعض يشهد له قولـه تعالى ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم﴾ (التغابن : ١٤).

وقال البعض : إن الأمر بالهبوط لاثنين هما آدم وحواء مـن جهـة ، وإبليس من جهة أخرى ، أي فهو الطرف الثاني الموجه إليه الخطاب مـع آدم الذي تتبعه زوجته كأنهما فرد واحد ، وذلك جاء الأمر بالهبوط في آيـة أخـرى بصيغة الجمع ، قال تعالى:﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ (الأعراف : ٢٤).

وعداوة للشيطان لآدم وزوجته وذريته مقـرر لا نـزاع فيـها ، قـال تعالى:﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً﴾ (فاطر: ٦).

ومهما يكن من شيء فإن التقاء آدم بحواء نتج عنه ذرية فيـــها ذكـــور وإناث ، وحدث بالتزاوج بين النوعين عدة أسر ، كان منـــها التكـــاثر للجنـــس البشري ، فهناك جو ريفي عند تكوين أول أسرة ، وعند تكوين الأسرة الأولـــى التي أشرف عليها آدم بتوجيه ربه ، ثم تفرقت الأسر ، كل في سبيل ، من أجـل الكفاح لطلب العيش ، وتباعدت المسافات بين الأخوة وبين الأســـر ، وتكونـــت مجتمعات على قدر من الوعي لمهمتها وعلى صلة ضعيفة بالـــهدى الســـماوي الذي جاء به آدم، فحدثت أفكار جديدة وتسلطت على الأسرة أجـــواء غريبـــة ، سنتحدث عنها في تطور الأسرة.

تنبيـــــه :

ليس معروفاً بالضبط ولا بطريق صحيح المكان الذي هبط فيه آدم علـى الأرض ، ولا المكان الذي هبطت فيه حواء ، وهناك أقوال لا سند لها صحيحـاً تقول: إن آدم نزل في الهند ، وما يزال هناك أثر قدم على قمة جبل في جزيـرة سيلان "سريلانكا" يقال إنه قدم آدم حين هبط لأول مرة على الأرض ، ويقصـده الزوار من كل أنحاء العالم ، وكم من أمثال هذه الآثار ينسب بدون سند صحيـح إلى شخصيات لها تاريخها المقدس.

كما تقول هذه الأقوال : إن حواء هبطت في جـــدة بـــأرض الحجـــاز ، ومازالا في التيه يبحثان عن بعضهما البعض حتى التقيا في فوق جبل عرفـات الذي يقال : إنه سمي بهذا الاسم لتعارف آدم وحواء عليه : كمـــا يقولـــون: إن الدموع التي سبكتها حواء نبتت منها الورود ، والتي سكبها آدم أنبتت الشـــوك ، وإن حواء دفنت في جدة ويشيرون إلى قبر طويل يقولون : إنه قبرها.

وكل ذلك لا دليل عليه أولاً ، وثانياً لسنا مكلفين بمعرفته ، وثالثاً البحث فيه ضياع لوقت هو أولى أن ينفق في معرفة الطريق الأمثل لتحقيـــق الرســـالة على الأرض.(١)

(١) موسوعة (الأسرة تحت رعاية الإسلام) عطية صقر ٤٢/١.

"الأسرة في العهود البدائيـــة"

تحدثنا في أصل نشأة الأسرة عــن نظرة المعتقدين في الأديــان وعــن نظرة غيرهم وقد كانت كما يعتقد أهل الأديان السماوية ، أسرة آدم هـــي أول أسرة ظهرت في الوجود البشري ، ونتج زواج آدم بحـــواء ذريـــة تزاوجـت وأنتجت كثيراً ، كما قال سبحانه :﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكــم مــن نفس واحدة ، وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء﴾ (النساء : ١).

وكان لهذه الأسرة في حدودها الضيقة من الروابط ما تستطيع به تحقيق رسالتها في الحياة.

ذلك أن الله سبحانه لم يشأ أن يترك عبده في هذه الدنيا وحيداً ضالاً دون أن يضع له مناراً يستنير به في علاقته الجنسية، وطريق يسلكه في جهاده المــر الذي تزداد مرارته كلما تذكر الحياة الناعمة الأولى التي كان لا يجوع فيـــها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحي ، فأوحى الله إليه بما أوحى وشرع ما شـــرع ، وطبق تلك التعاليم على الأمة التي أرسل إليها ، وما كانت تعـــدو أولاده ومـــا تناسل منهم.

وبطول العهد بهذه الحياة المريرة في تلك الأرض المترامية الأطـــراف لجأ أولاده إلى السعي فيها لطلب العيش واستثمار موارد الخير ، والتنقل ليـــس غريباً على أول عهد الإنسان بالحياة في الأرض ، فهو موجود فــــي تاريخنـــا القريب ، في مثل قبيلة "كاتاي" أو "الخاطاي" التي كانت في منشوريا ثم تفرقــت في الدنيا تحت اسم "الغجر" دائمي التنقل.

نأت الأصقاع بأولاد آدم وشط بهم المزار ، وتفرقوا في جنبـات الأرض حتى كادت وحدتهم الأسرية الأولى تتلاشى ، وكون كل منهم خلية جديدة فـــي

جسم المجتمع الإنساني ، وتناسلوا أو نسوا تلك الإرشادات التي كان يتعهدهم بها أبوهم ، وحولت مشاغل الحياة مجرى تفكيرهم إلى مجال أوسع ، استقبال لـــهذه الظروف المعقدة ، التي تتفتح كل يوم عن مشكلة جديدة ، فسار كل في طريـــق وتصرف كلما يشاء مستوحياً من الطبيعة بأشـــجارها وحيوانـــها وظواهرهـــا المختلفة ما يرشده في حياته ، وكونت هذه الانطباعات والاســـتنتاجات عـــادات سلوكية وأنماطاً فكرية جعلها دستوره الذي يسير على ضوئه.

ولم يكن هناك من الاهتمام أو من الوقت ما يسوقه إلى ربطها بتلك التي كان أبوهم الأول يوصيهم بها ، والناحية المثالية أو الاتجـــاه الخلقـــي والـــروح الاجتماعية لم تخلق فيهم بعد ، أو كانت مستترة إلى حين ،فإن الوصول إلى لقمة العيش كان الشغل الشاغل لكل منهم في كل نشاطه.

ومن هنا كان كل فرد مع مجموعته الصغيرة الجديدة يعيش في صقـــع من الأصقاع في حالة بدائية ، بالنسبة إلى ما نحن فيه الآن ، ليس عندهم مـــن القوانين المعقولة ما ينظمون به حياتهم ، اللهم إلا عند بعض مجموعاتهم التـــي تقاربت ، وسهل الاتصال بينها، وهنا يرسل الله إليهم رسول خاصاً في محيطـهم المحدود يرشدهم أن تنكبوا الطريق . أما من نأى عن تلك المجموعـــات فإنـــه أوغل في الهمجية والبدائية والابتكار التي تمليه عليهم ظروف حياتهم في إقليمـه الخاص ، مقلداً في كثير من الأحيان مظاهر الطبيعة ، ومن هذا التفرق والتباعد والاستقلال بعدت الهوة بين الإخلاص والعادات واللغات والألوان.

وعلى هذا وجدنا البدائيين لا يقدرون الأسرة حق قدرها ، فهم ينظـــرون إلى الزواج كاستجابة لداعي الغريزة الجنسية ، إلى التناسل كعملية بيولوجيـــة لا تستهدف غرضاً سامياً في الحياة ، ولم تتمكن فيهم عاطفة الحب والتقدير لربـــة المنزل ، ولا عاطفة الحنو على الولد ، أو الاحترام للوالد.

واستمرت تلك النزعات موروثة عدة أجيال طويلة حتى كان لها في ظل المدينة الحديثة أثر بارز في كثير من سكان المعمورة ممن لم تصل إليهم يد التهذيب ، ولم تشرق عليهم شمس المدينة بدفئها الذي يذيب جليد البدائية والجمود على العادات القديمة.

يحدثنا"سبنسر" وغيره من علماء الاجتماع أن بعضاً من سكان "نيوزيلانده" لا يحبون البنات بل يقتلونهن عند الولادة ، وفاقوا عرب الجاهلية في ذلك بما لم يؤثر عن غيرهم من الشعوب المنحطة ، فعمدوا في كل خمس سنوات أو ست إلى ذبح جميع أطفالهم ذكوراً وإناثاً إذا ولدوا في سنة يتوقعون فيها بؤساً ، ويقومون بهذه المجزرة الرهيبة رابطي الجأش هادئي البال ، كأنهم لا يأتون منكراً ، وعند هجرتهم من مكان قحطو أو هوجموا فيه يتركون ضعفاءهم وأولادهم نهباً للجوع يفترسهم ، وللعدو ينكل بهم ، وكما يقول بعض الكاتبين : لقد انحطوا بهذا عن درجة الحيوان الأعجم ، فإن العصفور المسمى "هيروندل" له نظام خاص في الهجرة ، لا يترك ولده حتى يراه مستكملاً لجميع شرائك الحياة الاستقلالية.

كذلك يقول محمد ثابت عن الأسرة في "كانو" التي يسكنها "الهاوسا" مع تعصبهم للإسلام ومع وجود مسحة من الجمال في الرجال والنساء ، وبخاصة العذارى منهن ، تلبس النساء أردية تغطي ما تحت الثديين ، والصدور عارية تلفت النظر ، خصوصاً عند الطلاء بالبودرة.

أما المتزوجات فأرديتهن تغطي الجسم كله ، والغيرة على النساء فاترة عند الرجال ، ونسبة العفاف قليلة ، خصوصاً عند غير المتزوجات ، فالفتاة تصادق من تشاء ، ويكثرون تعدد الزوجات ، وللأغنياء التسري بزيادة على

الأربع لتكثر الذرية، والمولود البكر يهمل أمره على ما هو موضح في بحـــث حقوق الأولاد ، حيث توجد صور غريبة في الأسرة لتعيش في عصرنا الحديث.

أما الجهات التي كانت مهبط الوحي وميدان الرسالات كجزيرة العـــرب وما جاورها من البلاد التي بسهل الاتصال بها ، فإن تفكيرهم قد ترقى ، ونظموا حياتهم بفضل الاقتباس من البيئات الدينية ، ومما يدل علـــى ذلـــك ، اتصـــال المصريين بالبلاد الشرقية المجاورة لهم ، وزيارة يوسف وموسى مـــن قبلـــهما إبراهيم لهم ، كذلك زيارة فلاسفة اليونان للشرق واقتباسهم من حضارته.

لقد عرفت هذه المجتمعات للأسرة قدرها ، وإن اختلفت في ذلـــك تبعـــاً لاختلاف مستوى الثقافة والنضوج العقلي وتحكم البيئة وصدق النظر في وهـــم العواطـــف.[1]

---

(١) المصدر السابق.

"الأسـرة والمرأة في ظل القوانيـن"

أستميحك عفوا أيها القارئ إذا لم اتحدث الآن عن الأسرة فـــي النظـــم المعاصرة فستجد الحديث عنها وافيا في أبحاث الحجاب ومركز المرأة، وحقـوق الزوجية ونظام الطلاق وغيرها من أبحاث هذا الكتاب ، وسنرى فيها فرقاً كبيراً بينها وبين الإسلام في تشريعه الحكيم وذوقه الرفيع ، ولعلـــك لمحـــت بعـــض أوضاع الأسرة الحديثة في عرضنا السابق لعوامل تطور الأسرة.

يقول "جوستاف لوبون" أن الفلسفة الإباحية القديمة عند اليونان لها أثـــر في العصر الحديث عند أوروبا ، فقد نقل عن دراسة نشرتها المجلة العلميـــة أن السفاح بين الفتيان والفتيات قبل الزواج وفي الأعراس وفي المراقص العامـــة لا يزال عادة مرعية عند أقوام من أهل أوروبا يعيشون في هذا العصـــــر . فـــهم يرون أن مما تعاب به الفتاة أن تتخلف عن هذا السفاح ، كما يرون أن العفـــاف شيء مستهجن حتى ليصعب على الفتاة التي لا تحمل سفاحاً قبل الزواج أن تجد لها زوجاً.

وقد نشرت الصحف أخيراً صوراً من الفساد الخلقي وتدهور الأسرة في انجلترا ، وبخاصة بعد وجود القوات العسكرية الأمريكيـــة فيـــها ، والمكـــاتب والمؤسسات العالمية في ألمانيا وغيرها ، التي تورد الفتيات لكبار الشخصيات ، أما لابتزاز الأموال وأما للتجسس ونقل الأخبار ، وأما لإفساد الأخلاق كمخطـط صهيوني معروف لليهود.

ومن المؤسف أن بعض ممن ينسبون إلى الإسلام أو يعيشون في الـــدول الإسلامية راجت فيهم تلك المظاهر الخليعة ، ومارسوا مـــا تمارســـه البيئـــات الأجنبية من مفاسد من أجل الكسب المادي أو من أجل أغراض أخرى وراء ذلك

وكانت بعض عواصم الدول العربية موبوءة منتنة لهذه الفسق المتعدد الألوان.

والإسلام على الرغم من أنه وضع أدق الأنظمة لسياسة الأسرة ، التي أدت دورها كاملاً في العصور الأولى ، فإن غزو الأفكار الأجنبية ، والسير السريع في ركب المدينة الحديثة ، جعل الناس يتحللون شيئاً فشيئاً من نظام الإسلام الذي لم يفهموه حق الفهم ، والذي ظنوه قيداً للحرية ثقيلاً يحول دون النهوض.

وأول ما دب الفساد إلى الأسرة المسلمة دب في الدول التي وقعت تحت نير الاستعمار ، وذلك بدافع التقليد من الضعيف للقوي، يحمل القوي الضعيف على اتباع تقاليده هو لمحو الشخصية الإسلامية ، وربط الأفكار والقلوب والعادات بالدول الكبرى.

وكان الفساد يدب أولاً في المدن الكبرى ، ثم إلى المدن الصغرى حتى وصل إلى القرى وإلى أعماق الريف.

إن مركز الأسرة تابع لشعور المجتمع بالروح الدينية والخلقية ، فكانت الأسرة مثلاً قوية في عصر الخلفاء الراشدين ، لكنهما في عصر العباسين بدأ يدب إليها الفساد ، بما كان في الدولة من ترف ، ومن أثار تركتها عليها العناصر التي دخلت في الإسلام بأفكارها وحضاراتها.

والأسرة في أوروبا في العصور الوسطى كانت أحسن حالاً منها الآن وقوي مركزها في عصر المتطهرين في انجلترا ، ثم تلا ذلك انفجار في التهتك بعد عصر النهضة ، وعودة الملكية في انجلترا ، كما يقول أحمد خاكي ، وتوضيح ذلك في بحث الحجاب ومركز المرأة في المجتمع.[(١)]

---

(١) المصدر السابق.

"المرأة والأسرة في نظر الفلاسفة"

على الرغم من أن اليهودية ما زال لها اتباع يقدرون بنحو ١٤ مليونـاً، وكذلك المسيحية التي يقدر عدد أتباعها بنحو ٩٨مليونـاً ، فـإن مـن اليـهود والنصارى فلاسفة لهم آرائهم في الأسرة بصرف النظر عن كونها نابعـة مـن تدينهم أو كانت وحياً من استقلالهم الفكري ، ومن أهم من تحدث عـن آرائـهم الدكتور الخشاب ثلاثة : أوجسبت كونت ، ليستر وارد ، سمنر.

١. فاودجست كونت (١٧٩٨ – ١٨٥٧م) كانت نظرته الفلسـفية للأسـرة نظرة اجتماعية لا فردية ، الزواج عنده اقتران طبيعي يجب أن يكون قائماً على مبدأ وحدة الزوجة ، ويكره الطلاق عنده ، لأنه يؤدي إلـى زواج آخـر ، ولا يحب الأنانية في حياة الأسرة ، وقرر وجوب خضوع المـرأة للرجـل بحكـم الطبيعة، وأن كانت أرقى منه عاطفة وشعور بحياة الجماعة ، إلا أنها أقل منـه ذكاء بسبب اعتبارات بيولوجية دائمة.

ويحتكم على الأم أن يلازمها ولدها حتى السابعة ، وذلك لتربية عقلـه وأخلاقه وجسمه ، وكذلك لتربي فيه الروح الدينية ، وجعل الزواج رابطة مقدسة ومنع الاتصال الجنسي في سن الثانية والستين ، ودعا إلى الاعتكاف والرهبنـة والتصوف استعداداً للموت.

٢. ليسترﻭارد (١٨٤١-١٩١٣م) كان ينادي بمبدأ الحب الطبيعي، وفروعه عنده هي : الحب العاطفي بين الرجل والمرأة ، والحب الزواجي بين الزوجيـن والحب الأبوي بين الأب وأولاده ، والحب الأمي بين الأم ورضيعها ، والحـب الجنسي القائم على الصلات الأنتولوجية والإجتماعية بين الأجناس.

وتكلم عن الحب العاطفي "الرومنتيك" وقال: إنه أول خطوة في نظام الزواج ، وهو ناشئ عن عدم مساواة المرأة بالرجل وعدم اعتمادها على نفسها ويقول أن الحب ضروري قبل الزواج ، وهو يدل على مركب نقص في الرجل والمرأة ، فكل منهما يشعر بنقص ، والآخر هو الذي يكمله وإن كانا لا يحسان هذا المعنى ، بل ينقادان إليه لا شعورياً.

ويقول : إن هناك فترة شيوعية جنسية مرت بها الإنسانية قبل انتشار الحب العاطفي بين الجنسين ، وظهرت رواسب هذه الإباحية الجنسية في العلاقات الزوجية وفي أفكار الرجال عن الزواج ، ويقول : إن الصعوبات والاضطرابات التي يعانيها الزوجان في ظل وحدة الزوجة يرجع معظمها إلى بقايا النظام الشيوعي للجنس ، وذلك لصعوبة الانتقال من الإباحية إلى الاقتصار على واحدة ، ففيه تقييد لحرية الرجل ، ولذلك كان هذا النظام امتحاناً لأخلاق الرجل ويحتاج إلى مران ، وبهذا يكون نظام وحدة الزوجة أرقى نظام في نظره.

ويرى أن الحب بين الأم ورضيعها هو من آثار الحب الطبيعي الجنسي لما تحسه المرأة من لذة أثناء الإرضاع ، ويرى أن أقدم مظهر للحصول على الزوجة هو الاستيلاء عليها بالقوة ، وكان ذلك على أساس نظام احتكار الأقوى من الرجال للنساء ، أما الرجل الضعيف فكتبت عليه العزوبة لعدم قدرته على منازلة الأقوياء في هذا المجال.

٣. أما سمنر (١٨٤٠-١٩١٠م) فيرى أن الزواج ظاهرة طبيعية واجتماعية من أجل التعاون ، ويرى أن النسب الأمي كان أسبق من النسب الأبوي ، فكان يلحق الولد بنسب أمه ، لأن علاقته بأمه واضحة ومحددة ، ولأن الرجال كانوا يبعدون كثيراً عن زوجاتهم للصيد والتجارة ، فلما استقرت الحياة ، كان هو

محور النسب ، وهو يكره الطلاق ويحبذ عدم تعدد الزوجات.

هذه بعض أفكار أوردتها لا للأخذ بها ، ولكنها معرض لصـــورة مـــن التفكير البشـــري ، بعضه تبدو فيه الحرية الفكرية والبعض الآخر يبدو عليـــه في بعض المسائل تعصبه لدينه أو لنظام مجتمعه ، ولا أكلف نفسي مناقشـــتها فإن عرض نظـــام الإسلام بحكمته وفلسفته فيه ما يغني عن بيان ما فيها مـــن باطل.[١]

(١) انظر "الأسرة تحت رعاية الإسلام" عطية صقر ص (٦٨).

"مركز المرأة في الجاهليــــة"

أبان القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية ، والأخبار التي حملتـــها إلينـــا كتب الأدب والسيرة والتراجم ، بعض النواحي من مركز المـــرأة التشــريعي والاجتماعي في العصر الجاهلي ، فتجدها تارةً تنعى على الجاهليين أعمالـــهم وتصرفاتهم بحق المرأة ، وتارةً تورد الأخبار كذكرهم الملكة بلقيس وغيرهـــا من الحوادث التي تحول الباحث لأن يستنتج منها على الرفعة والسؤدد والمجـد والحرية التي كانت تتمتع بها المرأة في تلك العصور والأدوار التي مرت بها.

ويمكن القول : إن مقامات العرب الاجتماعية كانت تختلــف بــاختلاف الأصقاع والقبائل والسلطات والعادات والأخلاق التي تعاقبت على المرأة قبـــل الإسلام في شبه الجزيرة العربية ، مما جعل المرأة في تلك العصور ، تختلــف باختلاف هذه العوامل وتتأثر بعوامل مختلفة الأنواع والأشكال.

فإذا قرأنا في القرآن الكريم ، ونظرنا إلى ما جــاء فيــه عــن المــرأة الجاهلية ، نجده ينهى أهل الجاهلية ، ويبين لهم المقصود من الحيض بعـــد أن كانوا لا تساكنهم حائض في بيت ، ولا تؤاكلهم في إناء يأكلون منه.

ووقت لهم أربع أشهر بعد أن كان أحدهم يحلف أن لا يقـــرب زوجتــه فتبقى قرابة السنة والسنتين ، لا هي ذات بعل ولا أيما.

ونعى على المرأة التي يتوفى زوجها عملها الذي كانت تفعله من دخولها الحفش ، ولبس ثيابها ، وعدم مسها حتى تنقضي السنة[1].

---

(١) سورة البقرة – القرآن الكريم.

وحــدد عدد الزوجات بعد أن كانوا ينكحون مــا شاء لهم مــن النساء، وجعل للنساء و الأولاد الصغار نصيباً من الإرث ، بعد أن كانوا لا يرثون.

وحرم عليهم أن يرثوا النساء كرهاً، فكان إذا مات الرجل، كان أوليــاؤه أحق بامرأته.

وحرم عليهم ما نكح آباؤهم مــن النساء ، وأن يجمعوا بين الأختيــن إلا ما قد سلف.

ويبين أن المتعة كانت في صور الإسلام ثم حرمت[١].

وذكر القرآن الكريم أنه كن نساء في الجاهلية ، وقد نهى المســلمين أن يتزوجوا منهن ونهاهن أن يكرهوا فتياتهم على البغاء[٢].

وإذا نظرنا إلى قصة بلقيس مع سليمان عليه السلام بتدبـــر وإمعـــان ، نجدها خير قصة قصها القرآن الكريم علينا ، حيث تجلت بلقيس بمنتـــهى مــا تبلغه النساء من حكمة ورجاحة عقل ، ومضاء عزم وسناء منزلة ، حتى بلغت من جلال الصولة وكمال القوة ، أنها حتى ركبت على سليمان صلوات الله عليه سار في ركبها عدد كبير من أمراء اليمن.

وقصارى القول : إن القرآن الكريم أورد في آياته البينات ، فأبان فيــها مركز المــرأة التشريعي والاجتماعي في العصر الجاهلي بياناً لا يحوي مـــن الغلو شيئــاً ، خلافاً لكثير من الروايات التي رواها الرواة ، والأخبـــار التــي دونها الكتاب، والأخبار التي كانت تتأثر غالباً بالوجهتين بالعصبيـــة الجنســية والمذهبية وعلى العكس من ذلك فكان القرآن ينعى تارة على المرأة الجاهلية

---

(١) سورة النساء.

(٢) سورة النور.

أعمالها التي كانت تمارسها وهي في مكان سحيق من الوحشية ، وأخرى نراه يورد بعض الآيات كقصة بلقيس.

كان العرب روّاد غارات وطلاب ثارات وكانوا يعقبون الصفوف للقتال بنسائهم وذوات أرحامهم تثبيتاً لأنفسهم وتشديداً لعزائمهم، ويكون هم الظافر أن يتخذ نساء القصور سبايا يسوقهن إلى بيته ، ويتحكم فيهن كما يتحكم في ماله.

وهناك كثير من سادات العرب وذوي زعامتهم انكشفت عنهم السبايا فلم يضع ذلك من منازلهم أو يستهجن من أحسابهم بالرغم من أن النساء يبذلن ما ملكن من جهد وحيلة في الخلاص من الأسر ، ولو نقن الموت أنفه واستحياء وابقاء على ذكر آلهن وذويهن.

بل ربما تزوج الرجل بسبية ، وأقام بها أمداً طويلاً مقام العشير الكريم من عشيرته الوفية ، حتى إذا أتاح لها القدر معاودة أهلها أقامت بينهم ، وأنفت أن تعود سيرتها الأولى من زوجها وبنيها.

وأما الوأد فهو أن يعمد الرجل إلى وليدته ، وقد بدأت تستقبل الوجود ، ويقذفها في حفرة من الأرض ، ويهيل على جسمها التراب ، ثم يدعها في عتمة الموت بين طبقات الأرض.

وكان الوأد معروفاً في فرائق ربيعة وكندة وتميم وبطون مغمورة من مختلف القبائل ، وهم بين رجلين : رجل أملق من عقل ومال ، فهو يخشى أن يسيء الفقر أدب ابنته ويهتك من سترها، ويبذل من عرضها، وآخر من سوأة القوم ذهبت بعقله الغيرة ، وهوى بنفسه الإشفاق من تبدل الحوادث ، وما عسى أن يصيبها من ذل أو سبي.

وقد نهض من سادات العرب من حال دون الوأد بما بذل من مال جم

وسعي حميد ، منهم صعصعة بن ناجية التميمي ، فقد كان يتلمس من مسها المخاض ، فيغدو إليها ويستوهب الرجل حياة مولوده إن كان بنتاً ، على أن يبذل في سبيل ذلك بعيراً أو ناقتين عشراوتين ، ومنهم زيد بن عمرو بن نُفيل القرشي ، فكان يضرب بين مضارب القوم ، فإذا بصر برجل يهم بوأد بنته ، قال له : لا تقتلها أنا أكفيك مؤونتها ، فيأخذها ويلي أمرها حتى تشب عن الطوق ، فيقول لأبيها : إن شئت دفعتها إليك ، وإن شئت كفيتك مؤونتها.

وكان للفتاة في الجاهلية حق اختيار خطيبها إلا في بعض الحالات ، وإذا ذكر عنه ما يهجنه أو وصف ما ينبو الطبع عنه ، أو علمت من الأمر على ما يحول دون الزواج به أن ترد خطبته ، وليس لأهلها على ما يبدو أن يستاقوها قسراً إليه. وفي سبيل ذلك أبت الخنساء بنت عمرو بن الشريد أن تساق إلى دريد بن الصمة ، وكان سيد قومه وفارسهم وشاعرهم ، لأن بينهما من تفاوت السن ما يرنق صفو العيش و يسيء طبع العشير.

ومن ذلك لما أقبل سهيل بن عمر وأبو سفيان بن حرب على عتبة بن ربيعة يخطبان إليه ابنته هند ، أعرض عليها أمر كل منهما، وأخبرها عن بينة أمره في نفسه وأسرته وعشيرته ، فآثرت أبا سفيان فزوجت منهُ.

وكان من حق النساء أن يجلسن إلى خطابهن من الرجال ، ويجاذبنهم عقد الأمر وشجون الحديث.

وكان يخطب الرجل إلى غير عشيرته ، وحجتهم في ذلك أن القرائب من النساء أولد للنجباء من الأولاد ، فأما بنات العم فلا يلدن إلا ضعاف الأجسام والأحلام.

وكان من مذاهب العرب في الجاهلية : أن المرأة منهم كان إذا عسر

عليها خاطب النكاح ، نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها ، وحجلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً وتقولك : يا نكاح أبغي النكاح قبل الصباح ، فيسهل أمرها وتتزوج عن قرب.

على أن من العرب من كان يؤثر بنات العم لأنهم أصبر على نبوة الخلق وريب الزمان، وكان بنو عبس يؤثرون ، وقد سئلوا أي النساء وجدتم أصبر؟ فقالوا: بناتِ العم.

وكانت المرأة تطلق الرجل ، كما كانت تختاره ، فكن يحولن أبواب أخبيتهن وإن كانت إلى الشرق فإلى الغرب ، أو كانت إلى الجنوب فإلى الشمال، وإذا لم يكن ذوات أخبية فلهن أساليب يدللن بها الرجل على الطلاق.

وكانت عَمْرة بنت سعد ، ومارية بنت الجعيد العبرية وعاتكة بنت مرّة السلمية ، وفاطمة بنت الخرشب الأنمرية ، والسؤاد العنزية ، وسلمى بنت عمرو بن زيد النجارية ، وهي أم عبدالمطلب بن هاشم ، إذا تزوجت الواحدة منهن رجلاً ، وأصبحت عنده كان أمرها لها ، وتكون علامة ارتضائها من الزوج أن تعالج له طعاماً إذا أصبح.

وكانت المرأة إذا توفى زوجها عنها دخلت حفشاً ولبست شر ثيابها ولم تمس طيباً حتى تمر بها السنة ، ثم تؤتي بداية حمار أو شاة أو طائر فتتفضُ به ثم تخرج فتعطي بعره فترمى ، ثم تراجع بعد ما شاءت من طيب أو غيره.

وكان نكاح الإستبضاع معمولاً به أحياناً عند العرب قبل الإسلام ، فكان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها أي حيضها أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه أي اطلبي منه الجماع لتحمل منه.. ويعتزلها زوجها ولا يمسها أبداً حتى يتبين حملها من ذلك الرجل التي استبضعت منه ، فإذا تبين حملها

أصابها زوجها إذا أحب ، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد أي اكتساباً مـن ماء الفحلة ، لأنهم كانوا يطلبون ذلك من أكابرهم ورؤسائهم في الشـــجاعة أو الكرم أو غير ذلك وكان السر في كون ذلك بعيد الطهر أن يسرع علوقها منه.

وكان نكاح المقت لغة البعض والكراهية واصطلاحاً أن يــتزوج الولــد امرأة أبيه ، وكان من عادات العرب في الجاهلية إذا مات الرجل قـــام أكــبر أولاده ، فألقى ثوبه على امرأة أبيه فورث نكاحها ، فإن لم يكن له فيها حاجــة يزوجها بعض أخوته بمهر جديد ، فكانوا يتوارثون النكاح كما يرثون المـــاء ، وإن شاؤوا زوجوها لمن أرادوا وأخذوا صداقها ، وإن شاؤوا لم يزوجوها بـــل يحبسونها حتى تموت فيرثونها أو تفتدي نفسها.

ومن اللاتي تزوجن أبناء أزواجهن بعد وفاتهم في الجاهلية : يسرة ابنــه مرّ أخت تميم بن مرّ وكانت تحت خزيمة بن مدركة بن إلياس بـــن مضــر ، فخلف عليها ابنه كنانة بن خزيمة.

وناجية ابنة جرم بن ريان من قضاعة وكان تحت سامة بن لؤي ، ثـــم هلك فخلف عليها ابنه الحارث بن سامة.

وكان النكاح البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل تنزل لـــي عــن إمرأتك وأنزل لك عن إمرأتي وأزيدك.

وروي عن عائشة بنت أبي بكر الصديق الحديث الآتي : يجتمع النـــاس الكثيرون في الجاهلية فيدخلون على المرأة، لا تمتنع ممن جاءها، وهن البغايـــا كما ينصبن على أبوابهن رايات تكون علماً ، فمن أرادهن دخل عليهن، فـــإذا حملت القافة ، ثم ألحقوا بالذي يردن فالتاط به ، ودعى ابنه لا يمتنع عن ذلك.

وكان بعض العرب يكرهون إماءهم على البغاء ، فكان عبد الله بن أبي

سلوك يكره جاريتهُ على البغاء ، فأتت النبي ﷺ فشكت لهُ فأنزل الله تعالى ﴿ لا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً ﴾ الآية[١].

واشتهرت بعض القبائل في الجاهلية بممارسة الزنا فصالحهم النبي ﷺ أن يسلموا على أن يزنوا ولا يربوا وكانوا أهل الزنا ورباً[٢].

وقيل : إن امرأة كانت تؤجر نفسها ، وكان لها بنات تخاف أن يأخذن أخذها ، فكانت إذا غدت في شأنها تقول لهن : احفظن أنفسكم وإياكن أن يقربكن أحد ، فقالت إحداهن تنهانا أمنا عن البغاء وتغدو فيه[٣].

وكانت طلحة الهذيلية فاجرة في شبابها حتى عجزت ، ثم قادت حتى اقعدت ، وسئلت من أنكح الناس؟ قالت : الأعمى العفيف ، فحدث عوانه بهذا الحديث ، وكان مكفوفاً ، فقال : قاتلها الله عالمة بأسباب الطروقة وكانت تقول إذا أنا من فأحرقوني بالنار ، ثم أجمعوا رمادي في جرة واتربوا به كتب الأحباب ، فإنهم يجتمعون لا محالة ، وأتوا به الفاتنين يذرون منهُ على أجراح الصبيان ، فإنهن يلهجن بالحب ما عشن[٤].

وكان الرجل إذا أراد سفراً يعتمد إلى رقم وهو نبات، فقعدهُ ، فإن رجع ورآه معقوداً اعتقد أن امرأته لم تخنهُ وإن رآه محلولاً اعتقد أنها خانتهُ.

وأما المرأة العربية قبيل الإسلام كأُم ، فإن الطفل على أثر ولادته تبدأ تربيتهُ بتسميته ، وكانت تشْرك زوجها في تسمية ابنها.

---

(١) ابن حجر العسقلاني : الإصابة في معرفة الصحابة.

(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان.

(٣) الميداني : مجمع الأمدان ١٨٩/١.

(٤) الميداني : مجمع الأمدان. ٤٧/٢.

ثم يأتي دور الرضاع ، وهنالك تمهد طفلها لما هو أهل لهُ من عظمة الحياة ، فتردد لهُ في إرضاعه ومداعبته ، ألفاظ الشرف والسؤدد والمجد والكرم وللنساء في سبيل ذلك طائفة من الأناشيد القصار يغنين بها أولادهن ويرقصنهم بها.

أما البنات فهن لأمهاتهن لزاماً ، ولا تزال الفتاة عاكفة على أدب أمها حتى تحمل إلى زوجها.

وكان عمل المرأة على نوعين ، فنوع شامل ينضوي تحته النساء جميعاً كغزل أصواف الغنم وأوبار الإبل، والضرب على المعازف من دفوف وطبول وصنوج ومزاهر ومزامير وطنابير وأشباهها ، وبذلك كن يلهون في أفنيتهن أيام دراستهن ومجامعهن ، وبذلك كن يخرجن متبرجات لملاقاة بطل مظفر ، أو عند نبوغ شاعر مبين.

وكان المرأة تقوم بأمر البيت ، ما إليه من إعداد المطاعم ورعاية الخيل والإبل.

وأما أعمال الارتزاق ، فكانت المرأة تعمل في بعض الصناعات المحلية كصنع رماح البحرين ، وقد اشتهرت بذلك ردينة ، والتجارة كخديجة بنت خويلد فكانت ذات متاجر واسعة.

وهنالك أعمال يتناول ذوات الخصاصة من النساء دفاعاً للحاجة واستدفاعاً لذل الأودية وبيعها ودبغ الجلود وتنميق الحصير وانتجاع الأسواق وارتياد مختلف الأحياء لابتياع التمر والعسل والسمن أو بيعها واستبدالها بأمثالها وغير ذلك.

ومن النساء من اتخذت النياحة على الموتى عملاً ومهنة ، ومنهن من

همهن تعرف الغيب وكشف حجب المستقبل ، ولهن في ذلك وسائل .

ومنها الكهانة والعرافة،ومنهن من ينفث العقد،وتلك إحدى قواعد السحر.

وهنالك المراضع ، وكانت النساء من البادية يأتين المدائن والقرى مـلاء الأثداء ليرضعن ولدان الحضر ويتعهدن منابتهم بين ملاعب البـدو ومضـارب الخيام.

والطيب عندهن على صنفين: أعواد يتبخر بها، ودهن يدهن به ، ومـن الثاني العنبر والمسك والغالية وهي أزكى صنوف الطيب عندهن.

وأما بيت المرأة العربية فلم يكن بيتها على سواء في تكوينها ونظامـها ومادتها فهي تختلف باختلاف مواطنها وأقدار ذويها ، فأهل البادية كانت بيوتهم خياماً تضرب ثم تطوى ، وقل إن كانت من الحجر أو اللبن.

وأما المدن فمستقر الدور والقصور ، وهي لا تقل في شيء عما سـواها في مختلف الأقطار والأمصار المجاورة لهم.

وأما أثاثها ومتاعها ففيها من الفرش الحصير ومنه المنمق المنقـوش ، والبساط هو كل شيء بسط ليجلس عليه وهو أنواع ، الطنافس والوسائد وغـير ذلك.

ولنساء العرب مظاهر من الوفاء ، فإذا انتزع الموت منها أليفاً صميمـاً أو عزيزاً عظيماً فهي تسير في شعاب من الأحزان.

وإن نساء العرب في مواقف العرب الحزن طبقات بعضها فوق بعـض فهنالك المتجملة بالصبر التي تشتفي بالبكاء وتكتفي بالرثاء ، ثم تأتي بعد هـذهِ الصائفة وهي التي ترفع صوتها وتدعو بدعوى الجاهلية كوالولداه والكبداه ، ثـم

الشاقة التي تنجي على حبيب جلبابها شقاً وتمزيقاً ، والحالقة التي تحلق شعرها فلا تبقي على بقية منهُ.

هذا موجز عن المرأة العربية قبيل الإسلام ، وكفتاة وزوجة وأم ونصيبها من الحياة العامة ، وقد تشاركها المرأة العربية في صدر الإسلام وبعده ، ولا سيما المرأة العربية في البادية ، حيث ظلت بعيدة عن الاختلاط في أكثر الأزمنة ، فكان ذلك عاملاً قوياً على الاحتفاظ ببعض العادات و الأخلاق التي اكتسبتها من قديم الزمان[1].

(١) "المرأة في عالمي العرب والإسلام" سمر كحالة ٦/٧-١٧.

تغيير مفاهيم العرب للمرأة بفضل الإسلام

غيَّر الإسلامُ مفاهيم بعض العرب الذين كانوا يرون البنتَ حملاً فادحاً لفرطِ ما يشفقُ من وصمة الذلِّ ووسم العار إذا وهنت نفسها أو ذهبت السباء بها فكان بين أن يستبقيها على كره لها ومضض منها وترقب لموتها ، أو يفزع إلى الحفرِ فيقذفها في جوفِها ويهيل الترابَ عليها.

تغيرت مفاهيمُ هؤلاء العرب بفضل الإسلام ، فقد حدَّثوا أن عمرو بن العاص دخل على معاوية بن أبي سفيان ، وعنده بنتٌ له يلاعبها ، فقال له : أنبذْها عنك يا أمير المؤمنين ، فوالله إنهن يلدن الأعداء ، ويقربن البعداء ، ويؤدين الضغائن ، فقال معاوية: لا تقل ، فما نَدَبَ الموتى ، ولا تفقد المرضى ، ولا أعان على الحزنِ مثلهن.

ولقد مُنِيَ بعضُ العرب في جاهليتهم باتقادِ الغيرة حتى جاوزوا بها طورها ، حتى قادت فريقاً منهم إلى قذف زوجته في عرضها ، فرفعوا خصومتهم ، واحتكموا في أعراضهم إلى فريق الكهان والكواهن ، فقطعها الإسلام إلاّ أن تكون على علم وبينة وجعل عقوبة قاذف المحصنات ثمانين جلدة ولا تقبل له شهادة أبداً.

ولذلك تحامى المسلمون مواطن الظن ، ومداحض التُّهم ، حتى عَدُّوا الأعتساف في الغيرة سمةً من الحمق لا يستحق صاحبُها أن يُسوَّد أو يُطاع، وذم كثير من المسلمين التورط في الغيرة وتوكيل الريب والظنون بالمرأة.

وإليك مثالاً من الاحتكام إلى الكهان في الجاهلية ، كان الفاكهة بن

المغيرة المخزومي أحد فتيان قريش ، وكان قد تزوج هند بنت عتبة ، وكان لــه بيت للضيافة يغشاه الناس فيه بلا إذنٍ ، فقال يوماً في ذلك البيت وهند معه، ثــم خرج عنها وتركها نائمة ، فجاء بعضُ من كان يغشى البيت ، فلما وجد المــرأة نائمة ولى عنها ، فاستقبله الفاكهة بن المغيرة ، فدخل على هند وأنبهها ، وقال : من هذا الخارجُ من عندك؟

قالت : والله ما انتبهت حتى أنبهتني ، وما رأيت أحداً قط.

قال : الحقي بأبيك ، وخاض الناسُ في أمرها ، فقال لها أبوها: يا بنية ، العارَ وإن كان كذباً ، أنبئيني شأنك ، فإن كان الرجل صادقاً دسستُ عليــه مــن يقتله فيقطع عنك العار ، وإن كان كاذباً حاكمته إلى بعضِ كُهان اليمن.

قالت: والله يا أبت إنه لكاذب.

فخرج عُتبةُ ، فقال : إنك رميت ابنتي بشيء عظيم ، فإما أن تُبيــن مــا قلت ، وإلا فحاكمني إلى بعض كهان اليمن.

قال : ذلك لك.

فخرج الفاكهة في جماعة من رجال قريش ، ونسوة من بني مخـــزوم ، وخرج عتبه في رجال ونسوة من بني عبد مناف.

فلما شارفوا بلاد الكاهن ، تغيَّر وجه هند ، وكسف بالــها ، فقــال لــها أبوها : أي بنية ، ألا كان هذا قبل أن يشتهر في الناس خروجنا ؟

قالت : يا أبت ، والله ما ذلك لمكروه قبلي ،ولكنكم تأتون بشراً يخطــئ ويصيب ، ولعلَّه أن يتسمني بسمة تبقى على ألسنة العرب.

فقال لها أبوها : صدقت ، ولكني سأَخْبُرهُ لك ، فصفر بفرسه ، فلما أدلى

عمد إلى حبة بر فأدخلها في احليله ، ثم أوكى عليها وسار ، فلما نزلوا على الكاهن أكرمهم ونحر لهم .

فقال له عتبة : إنا أتيناك في أمر ، وقد خبأنا لك خبيئة فما هي ؟

قال : برُة في كمرة.

قال : أريد أبينّ من هذا.

قال : حبة بُر في إحليل مُهر.

قال : صدقت . فنظر في أمر هؤلاء النسوة ، فجعل يمسح رأس كل واحدة منهن ، ويقول: قومي لشأنك حتى إذا بلغ إلى هند مسح يده على رأسها وقال : قومي غير رفحاء ولا زانية وستلدين ملكاً يسمى معاوية.

فلما خرجت ، أخذ الفاكهة بيدها ، فنترت يدها من يده وقالت : إليك عني والله لأحرصن أن يكون ذلك الولد من غيرك ، فتزوجها أبو سفيان فولدت له معاوية.

فجاء الإسلام ومنع مثل ما كان عليه الجاهلية وطالب بالبيِّنة وعاقب القاذف كما سلف.

وحرص الإسلام على المسلم أن يسبي مسلمة ، مهما عصفت بالقوم عواصف الفتن وفرقتهم شعب الأهواء ، فأزال بذلك أشدَّ مواطن الروع والفزع في حياة المرأة العربية ، فأصبحت ناعمة في دارها ، آمنة في تربها مبتهجة بين لِدَّتها وعشيرتها ، بعد أن كان القاهر يستبيحُ حمى المقهور ويستاق نساءه حواسرَ الرؤوس ، بين ذلك الغربة وعار السبأ.

ومن حسنات الإسلام على المرأة المسلمة : فبعد أن كانت النساء لا يؤول

لهن من ميراث الرجل شيء ، اختص النساء بنصيب مما ترك الرجل ، فذلك قوله تعالى :

﴿ للرجالِ نصيبٌ مما ترك الوالدان والأقربون ، وللنساءِ نصيبٌ مما تركَ الوالدانِ والأقربون مما قل أو كثر نصيباً مفروضاً﴾.

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم المثل الأعلى في معاملة المرأة ، فكان يقول: "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي".

كما حثَّ النبي صلى الله عليه وسلم على حسن تبعل المرأة لزوجها ، وطلب مرضاته واتباعها موافقته ، كما أمر الرجل على أن يكون أتمَّ ما يكون من الرحمة والرفق ، وأن لا يشقَّ عليهن ولا يكلفهن فوقَ ما تحتمل نفوسهن.

وأما المرأة المسلمةُ في الحياة العامة ، فعلاوةً على تدبير المنزل والشؤون الخاصة بها ، فكانت تسيرُ مع الرجل جنباً لجنب في ساحات الوغى وتحت ظلال السيوف تروى ظمأه وتأسو جرحه ، وتجبّرُ كسره ، وترقأ دمه ، وتثير حميته ، وتهيجُ حفيظته ، وربما غشيت حر القتال ، اصطلت جمرة الحرب وصالت بين الصفوف ، فكانت لها مواطنُ صادقات ومواقع صالحات.

المرأة في الإسلام لها حق الاختيـــار

نظرة إلى المرأة في الحضارات القديمـــــة :

❖ فشريعة مابو في الهند لم تكن تعرف المرأة حقاً مستقلاً عن حق أبيـــها أو زوجها أو ولدها في حالة وفاة الأب أو الزوج ، فإذا انقطع هـــؤلاء جميعـــاً وجب أن تنتهي إلى رجل من أقارب زوجها في النسب ، ولم تســتقل بــأمر نفسها في حالة من الأحوال ، فهي تملك صفة الإنسانية التي تعطيها الحق في تكوين شخصيتها الخاصة بها .... وأشد من نكران حقّـــها فـــي معــاملات المعيشة ، نكران حقها في الحياة المستقلة عن حياة الزوج ، فإنـــها مقضـــي عليها بأن تموت يوم موت زوجها ، وأن تُحرق معه على موقد واحد.

❖ وشريعة حمورابي التي اشتهرت في بابل كانت تحسبها في عداد الماشية المملوكة ، ويدل على غاية مداها في تقدير مكانة الأنثى أنها كانت تفـــرض على من قتل بنتاً لرجل آخر أن يسلمه ابنته ليقتلها أو يملكها إذا شـــــاء أن يعفو عنها.

❖ وكانت المرأة عند اليونان الأقدمين مسلوبة الحرية والمكانة في كل مـــن يرجع إلى الحقوق الشرعية ، وكانت تعتبر مثل سائر الأثاث والمتاع.

❖ ومذهب الرومان الأقدمين كمذهب الهنود الأقدمين في الحكم على المـــرأة بالقصور ورفض إنسانيتها، وكان شعار حضارتهم: ((قيد المـــرأة لا يـــنزع ونيرها لا يخلع)).

❖ وكـــان للمرأة في الحضارة المصرية القديمة حظ من الكرامة يجيز لها

الجلوس على العرش، ويعطيها مكان الرعاية في الأسرة ، ولكن الأمة المصرية كانت من الأمم التي شاعت فيها عقيدة الخطيئة بعد الميلاد وشاع فيها اعتقاد الخطيئة الأبدية أن المرأة هي علة تلك الخطيئة وخليفة الشيطان ، وشرك الغواية والرذيلة ولا نجاة للروح إلاّ بالنجاة من حبائلها.

❖ أما منزلة المرأة في الديانات السماوية التي تقدمت الإسلام ، فالحكم المنصوص عليه في حق الميراث أن تحرم البنات ، ما لم ينقطع نسل الذكور ، وأن البنت التي يؤول إليها الميراث لا يجوز أن تتزوج من سبط آخر ولا يحق لها أن تنقل ميراثها إلى غير سبطها.

فقد كانت بعض طوائف اليهود وتعتبر البنت في مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحق في أن يبيعها قاصرة.

واليهود يعتبرون المرأة لعنة لأنها أغوت آدم ، وقد جاء في التوراة : "المرأة أمرّ من الموت وإن الصالح أمام الله ينجو منها ، رجلاً واحداً بين ألف إن وجدت ، أما إمرأة فبين كل أولئك لم أجد"

❖ أما عند المسيحيين : فقد قال القديس "ترتوليان" : إنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة لصورة الله (أي الرجل).

وقال القديس "سوستام": إنها شر لابد منه ، وآفة مرغوبة فيها ، وخطر على الأسرة والبيت محبوبة فتاكة ، ومصيبة مطلية مموهة.

وفي القرن الخامس اجتمع مجمع "ماكون" للبحث في المسألة التالية : هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه ؟ أم لها روح؟!

وأخيراً قرروا أنها خلو من الروح الناجية من عذاب جهنم ما عدا أم المسيح.

ولما دخلت أمم الغرب في المسيحية ، كانت آراء رجال الدين قد أثــرت في نظرتهم إلى المرأة ، فعقد الفرنسيون في عـــام ٥٨٦ للميـــلاد مؤتمـــراً للبحث: هل تعد المرأة إنساناً أم غير إنسان؟ وأخيراً قرروا أنها إنسان خلقـت لخدمة الرجل فحسب!!!.

ولما قامت الثورة الفرنسية (نهاية القرن الثاني عشر) وأعلنت تحريـــر الإنسان من العبودية والمهانة ، لم تشمل بحنوها المـــرأة ، فنــص القـــانون المدني الفرنسي على أنها ليست أهلاً للتعاقد دون رضا وليها إن كانت غـــير متزوجة ، وقد جاء النص فيه على أن القاصرين هم : الصبـــي والمجنـــون والمرأة !!.

- وأما موقف المجتمعات العربية قبل ظهور الإسلام مـــن المـــرأة ، فلـــم يعترف العرب الجاهليون لها بصفة الإنسانية ، فاشتركوا في الزوجات مثلمـا كانوا يشتركون في المال والمتـــاع، وأوضح دليل على ذلك بقـــاء بعـض التقاليد الشاذة في الزواج عندهـــم حتى ظهور الإسلام ، كـــزواج الرهـــط ، وهو أن يتزوج رجال كثيرون امرأة واحدة ، وزواج الإســـتبضاع وهـــو أن يدفع الرجل زوجته إلى أمير أو عظيم ليستولدها رغبة في إنجاب ولد.

وهذان النوعان لا يزالان موجودين بصفة مطلقة دائمة في بعض البـــلاد التبت وغيرها ، وكان عند العرب موقتاً ومقيداً بما ذكرنا.

ومنها : السفاح بالبغاء العلني ، وكان عند العرب خاصـــاً بالإمـــاء دون الحرائر.

ومنها : إتخاذ الأخدان ، أي الصواحب العشيقات ، وكان عرب الجاهليـــة يستترون به ويعدونه ما ظهر منه لؤماً وخسة، وهذان النوعان عامان شـــائعان

في بلاد الأفرنج كلها جهراً، وقد سرى فساده منهم إلى بلاد الشرق التي غلب نفوذهم عليه أو على حكامها كالهند وغيرها، وقد قررت حكومة فرنسية أخيراً جعل أولاد الأخدان كالأولاد الشرعيين في الميراث وغيره بعموم الفساد فيه.

ومنها : نكاح المتعة ، وهو المؤقت وقد شاع في بلاد الإفرنج أخيراً ويسمونه نكاح التجربة وتبيحه الشيعة الإمامية من المسلمين.

وأحب أن أعرّف زواج المتعة وبيان بطلانه : وهو أن يتزوج الرجل المرأة لمدة محدودة تكون طالقاً بإنتهائها ، أسبوع ، أو شهر أو سنة ، وأنه من كبائر الإثم ، بل هو والزنا سواء لا فرق بينهما ، لأن أساس الزواج الدوام والاستقرار ، والتوالد والمحافظة على النسل ، وتربية الأولاد ، وذلك زواج متعة وقتية ، تماماً كالزنا ، وليس من ورائه إلا التفكك والدمار.

ولقد كان جائزاً في أول الإسلام حينما كان يغيب المسلم عن أهله زمناً ، وتشتد عليه الغربة، ولا يجد من يرعى أمره . وكان ذلك أمراً سائغاً في الجاهلية ، ولكن الإسلام الذي يتدرج في تشريعاته قرر على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه إبن ماجه :

"أيها الناس ، إني كنت أذنت لكم في الاستمتاع ، ألا وإن الله قد حرمها إلى يوم القيامة"[1].

وقد ورد عن النبي عن ست مرات في ست مناسبات ليتأكد التحريم ويظهر أمره للمسلمين ولا يثبت به ميراث بين الزوجين ، لأنه باطل ، وما بني على باطل فهو باطل ، ولأنه يقصد به الشهوة ولا يقصد به التناسل ، ولا

---

(١) أخرجه الإمام أحمد وابن ماجه (النكاح) ٢١، والدرامي ١٤٠/٢ والبيهقي ٢٠٣/٧ ، و"شرح السنة" ١٠٠/٩ ، و"الصحيحة" (٢٨١) للألباني.

المحافظة على الأولاد ، ثم هو يضر بالمرأة ، ويحيلها إلى سلعة تنتقل من يـد إلى يد ، كما يضر بالأولاد ، حيث لا يجدون المأوى الـذي يستقرون فيه ويتعهدهم بالتربية والتأديب.

وهكذا كل من تزوج إمرأة ونيته طلاقها بعد استمتاعه بـها لفترة من الزمن، وإن كان الفقهاء يقولون بجواز العقد ، ويقع صحيحاً ، إذا لم يشترط في صلب العقد الطلاق ، ولكن الله سبحانه يقول: ﴿ وإن تبدوا ما في أنْفِسكُمْ أوْ تُخْفوه يُحاسِبكُم به الله﴾.

وهكذا الكتمان غش وخداع ، وفيه من المفاسد العبث بـهذه الرابطة المقدسة، التي هي أعظم الروابط البشرية ، والتنقل بين مراتع الشهوات . ولعن الرسول ﷺ الذواقين والذواقات..

ومنها : نكاح البدل والمبادلة، وهو أن ينزل كل منهما عن امرأته للآخر.

ونكاح الشغار : وهو أن يتزوج كل من الرجلين الأخر بنته أو أخته أو غيرهن ممن تحت ولايتها بدون صداق ، وهذان النوعان مبنيان على قاعدة حسبان المرأة ملكاً للرجل يتصرف فيها كما يتصرف في بهائمه وأمواله ، ولا يزالان يوجدان في بعض الشعوب الفاسدة أو البهيمية الهمجية الغجر ، والغبن في كل ذلك على النساء فهن اللاتي يحملن أثقاله وأوزاره الجسمية والأدبية والمالية.

وغيره كثير ، هذا عدا عن عادة الوأد ، فقد كان الرجل يدفن البنت حية في التراب ، أو يخنقها ثم يقوم بدفنها!!

- أما الإسلام : فقد كان ثورة على هذه المفاهيم البالية السقيمة ، وأتى بمبادئ جديدة حول المرأة وهي :

١. إن المرأة كالرجل في الإنسانية سواء بسواء ، يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيُّها الناس اتَّقُوا ربَّكم الذي خلقكُمْ منْ نفسٍ واحدة﴾ (النساء : ١)

وقال ﷺ : "إنما النساء شقائق الرجال"[١].

٢. دفع عنها اللعنة التي كان يلصقها رجال الديانات السابقة بها ، فلم يجعل عقوبة آدم بالخروج من الجنة ناشئاً منها وحدها ، بل منهما معاً.

يقول تعالى في قصّة آدم : ﴿فأزلَّهما الشيطان عنها فأخرجَهُما مما كان فيه﴾ (البقرة :٣٦).

وقال تعالى عن آدم وحواء :

﴿ فوسْوسَ لهما الشيطان ليبْدِيَ لهما ما وُرِيَ عنهما من سَوْآتِهِمَا ﴾ (الأعراف : ٢٠).

وقال تعالى عن توبتهما :

﴿ قَالا ربَّنا ظلمنا أنفسنا وإنْ لمْ تغفِرْ لنا وترحمْنا لنَكُونَنَّ من الخاسرِين﴾ (الأعراف : ٢٣).

بل أن القرآن في بعض آياته قد نسب الذنب إلى آدم: ﴿وعصى آدم ربه فَغَوَى﴾ (طه :١٢١).

ثم قرر مبدأ آخر يعفي المرأة من مسؤولية أسها حواء وهو يشمل الرجل والمرأة على سواء:

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٥٦/٦ ، وأبو داود (الطهارة) ب ٩٤، والترمذي (١٩٣) ، والبيهقي ١٦٨/١، وابن المبارك في "الزاهد" (٦٣) ، و"التمهيد ٣٣٧/٨ ، و"الصحيحة" (١٧٨).

﴿ تلكَ أُمَّةٌ قد خلتْ لها ما كسبَتْ ، ولكم ما كسبْتمْ ، ولا تسئلون عما كـانوا يعملون﴾ (البقرة : ١٣٤).

٣. إنها أهل للتدين والعبادة ودخول الجنة إن أحسنت ، ومعاقبتها إن أسـاءت كالرجل سواء بسواء.

قال تعالى : ﴿ من عملَ صالحاً منْ ذَكَرٍ أو أنْثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل : ٩٧).

وقال تعالى :﴿ منْ عملَ سيئةٍ فلا يجزى إلا مثْلها ومن عمل صالحاً مـن ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلونَ الجنة يرزقون فيها بغير حسـاب﴾ (غافر : ٤٠).

وقال تعالى :﴿ ومن يعمل من الصالحاتِ من ذكرٍ أو أنثى وهـو مؤْمـنْ فأولئكَ يدخلون الجنةَ ولا يظلمون نقيرا﴾ (النساء : ١٢٤).

وقال تعالى :﴿ فاستجابَ لهم ربُهم أنِّي لا أضيع عمل عامل منْكم من ذكر أو أنْثى بعضكم من بعض﴾ (آل عمران : ١٩٥).

وانظر كيف يؤكد القرآن الكريم هذا المبدأ في الآية الكريمة التالية :

﴿ إن المسلمينَ والمسلماتِ ، والمؤمنين والمؤمنات ، والقانتين والقانتات، والصادِقين والصادِقات ، والصابرين والصابرات ، والخاشعين والخاشـعات، والمتصدقين والمتصدقات ، والصائمين والصائمات ، والحافظين فروجـهم والحافظات ، والذاكرين الله كثيراً والذاكرات ، أعدَّ الله لهم مغفـرةً وأجـراً عظيماً﴾ (الأحزاب : ٣٥).

وقال تعالى : ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار

خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيمْ﴾ (التوبة : ٧٢).

٤. حارب التشاؤم بها والحزن لولادتها كما كان شأن العرب ولا يزال شأن كثير من الأمم ، ومنهم بعض الغربيين، فقال تعالى منكراً هذه العادة السيئة:

﴿وإذا بشِّر أحَدُهمْ بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سُوءِ ما بُشِّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾ (النحل : ٥٩-٦٠).

٥. حرم وأدها وشنع على ذلك أشد تشنيع فقال تعالى : ﴿ وإذا المَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بأي ذنب قُتِلتْ﴾ (التكوير :٩).

وقال تعالى : ﴿قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم﴾. (الأنعام : ١٤٠).

٦. رغب في تعليمها كالرجل، قال ﷺ : "أيما رجل كانت عنده وليدة (جارية) فعلّمها فأحسن تعليمها ، وأدبها فأحسن تأديبها"[١].

وقال ﷺ : "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[٢] – قولة كل مسلم : يشمل الرجل والمرأة على سواء ، وفي رواية : " طلب العلم فريضة على كل مؤمن" [٣] وأيضاً المؤمن يشمل الرجل والمرأة على سواء.

---

(١) أخرجه البخاري ١٩٥/٣ و ٨/٧ والحاكم ١٢٩/١ ، و "شرح السنة" ٥٥/١ ، و"مشكل الآثار" ٣٩٥/٢ ، وسعيد بن منصور (٩١٤) وابن منده في "الإيماه" (٥٥) و (٥٦).

(٢) أخرجه الطبراني ٢٤٠/١٠ ، و "مسند أبي حنيفة" (٢٠) و "جامع مسانيد أبي حنيفة" ٢٣/١، و ٨٣ و٩٣و٩٤ و "البداية ٣٢٢/١١ والمريسي في "نقض الدرامي على المريسي" (١٣٧) و (١٤١) وابن عدي ٢٠٩١/٦ و"الفيه والمتفقه" ٤٤/١.

(٣) أخرجه إبن ماحه (٢٢٤) و "المجمع" ١١٩/١ و ١٢٠ والطبراني في "الصغير" ١٦/١، و"تاريخ جرجان" (٣١٦)، و "تاريخ اصفران" ، ٥٧/٢ و ١٥٦ وإبن عساكر ٢٧٨/٦ ، و"الحلية" ٣٢٣/٨ ، والخطيب ٢٧٥/١٠ ، وإبن عدي ٢٥٢٨/٧.

٧. أعطاها حق الإرث: أماً ، وزوجة ، وبنتاً : كبيرة كانت أو صغـيرة أو حملاً في بطن أمها.

عن جابر قال : جاءت إمراة ببنتين لها فقالت: يا رسول الله ، هاتان بنتا ثابت بن قيس قُتِلَ معك يوم أحد وقد استفاء عمهما مالهما وميراثهما كلــه ، فلـم يدع لهما مالاً إلاّ أخذه ، فما ترى يا رسولا الله ؟ فوالله لا تنكحان أبداً إلا ولـهما مال ، فقال النبي ﷺ : "يقضى الله في ذلك" فنزلت سورة النساء : ﴿يوصيكـم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثَيَينْ فإن كن نساءً فوق اثنتين فلهن ثلثا ما تــرك ، وإن كانت واحدةً فلها النصف ، ولأبويه لكل واحدٍ منهما السدس مما ترك إن كان له ولد ، فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمِّه الثلث ، فإن كان له إخــوةٌ فلأمّــه السدسُ ، من بعدِ وصيةٍ يوصى بها ، أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تـــدرون أيــهم أقرب لكم نفعاً ، فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ (النساء : ١١) ، فقـال الرسول ﷺ : "أدعوا إليَّ المرأة وصاحبها ، فقال لعمهما: أعطهما الثلثين ، وأعط أمهما الثمن ، وما بقي فهو لك"[١].

٨. ونظم حقوق الزوجين ، وجعل لها حقوقاً كحقوق الرجل ، مـع رئاسـة الرجل لشؤون البيت ، وهي رئاسة غير مستبدة و لا ظالمة.

قال تعالى :﴿ولهنَّ مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليــهن درجــة﴾ (البقرة : ٢٢٨).

أما رئاسة الرجل : فلكونه هو المكلف شرعاً بالإنفاق على أسرته ومن ثـم فهو صاحب الحق في الإشراف عليهم ورعايتهم إذ مـن الإنصـاف والعرفـان

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٥٢/٣ ، وأبو داود (٢٨٩١) والبيهقي ٢٢٩/٦ ، ٢١٦، والحـاكم ٣٣٤/٤ ، و ٣٤٢ ، والدار قطني.

بالجميل أن نجعل القوامة للرجل لأنه هو الذي ينفق من ماله على أهل بيته ويرعى شؤونهم ويقوم بالعبء الإقتصادي كله ، فمن العدل تولية من ينفق على من لا ينفق مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ الرجال قوامونَ على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾ (النساء : ٣٤).

إذ جعل الإنفاق سبباً للقوامة على الأسرة.

والرجل أقوى على التحمل الصعاب والصدمات والكوارث التي تقابل الأسرة ، فالمرأة بطبيعتها التي طبعها الله عليها كأم مرهفة الحس، عاطفية ، سريعة التأثر ، شديدة الانفعال، وتلك الصفات الطيبة وضعها الله في المرأة لتقوم بواجبها نحو رعاية أبنائها وشمولهم بعطفها وحنانها ، أما الرجل فلا يندفع نحو عاطفته وإنما يفكر ويتأمل ثم يحكم العقل في كل شيء قبل أن يقدم عليه.

وصفات القوامة والرياسة متوافرة في الرجل بطبيعته أكثر منها في المرأة .. ولقد أقام الإسلام القوامة على أساس من الرحمة والعطف والمحبة والمشاركة في المسؤولية ، ولم يقمها على القهر والتسلط وقيدها بما يحفظ المرأة حقوقها وكرامتها، فإذا كانت المرأة غير متزوجة كان على ولي أمرها أن يحافظ عليها ويصونها ، وأن يوفر لها كل ما تحتاج إليه حتى لا تضطر إلى القيام بعمل غير مناسب أو بإراقة ماء وجهها فيما تأباه كرامتها ، ويمنعها حياؤها ، فالقوامة هنا قوامة رعاية وحسن تنشئة وليست قوامة استبدادية.

عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : "كل نفس من بني آدم سيد ، فالرجل سيد أهله ، والمرأة سيدة بيتها"[١].

---

(١) أخرجه إبن السني (٣٨٢) و "صحيح الجامع" ٤/١٨٣ للألباني.

إن قوامة الرجل على المرأة قاعدة تنظيمية تستلزمها هندسة المجتمع واستقرار الأوضاع في الحياة الدنيا ، ولا تسلم الحياة في مجموعها إلا بالتزامها ، فهي تشبه قوامة الرؤساء وأولي الأمر فإنها ضرورة يستلزمها المجتمع الإسلامي والبشري ، ويأثم المسلم بالخروج عليها مهما يكن من فضله على الخليفة المسلم في العلم أو في الدين إلا أن طبيعة الرجل تؤهله لأن يكون هو القيم فالرجل أقوى من المرأة وأجلد منها في خوض معركة الحياة وتحمل مسئولياتها فالمشاريع الكبيرة يديرها الرجال ، والمعارك الحربية يقودها الرجال ، ورئاسة الدولة العليا يضطلع بها الرجال .

وهكذا ترى الأمور الكبرى والمصالح العامة يوفق فيها الرجال غالباً ، ويندر أن تفلح فيها إمرأة إلا أن يكون ورائها رجل.

هذا وإن النطاق الذي تشمله قوامة الرجل ، لا يمس حرمة كيان المرأة ولا كرامتها ، وهذا هو السر العظيم في أن القرآن الكريم لم يقل : (الرجال سادة على النساء) وإنما اختار هذا اللفظ الدقيق : ﴿ قوامون﴾ ليفيد معنى سامياً بناءً ، يفيد أنهم يصلحون ويعدلون ، لا أنهم يستبدون ويتسلطون .

فنطاق القوامة محصور إذن في مصلحة البيت ، والإستقامة على أمر الله ، وحقوق الزوج ، أما ما وراء ذلك فليس للرجل حق التدخل فيه كمصلحة الزوجة المالية ، فلا يتدخل الزوج فيها بغير رضاها ، وليس عليها طاعته إلا في حدود ما أحله الله ، فإن أمرها بمعصية فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ، وما لم تخل المرأة بحق الله تعالى ، أو بحق الزوج فليس له عليها سبيل إلا سبيل التكريم والاحترام.

بل إن حسن معاشرة الرجل زوجته وحسن خلقه معها من أعظم مقاييس

كمال الإيمان وسلامة الدين قال ﷺ : "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لنسائه"[١].

وكما أن للرجل حقوق على المرأة ، فللمرأة أيضاً حقوق على الرجل منها:

١. العشرة الحسنة :

قال عليه الصلاة والسلام : "خيركم خيركم لأهله ، وأنا خيركم لأهلي"[٢].

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع : ((... ألا واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عوان عندكم ، ليس تملكون منهن شيئاً غير ذلك ، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة –أي ظاهرة– فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع ، واضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ، إلا أن لكم على نسائكم حقاً ، ولنسائكم عليكم حقاً ، فأما حقكم على نسائكم فلا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذَن في بيوتكم لمن تكرهون ، ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن))[٣].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ، ٤٥٠و٤٧٢ و٥٢٧ ، وأبو داود (٤٦٨٢) ، والدرامي ٣٢٣/٢ ، والحاكم ٣/١ ، والطبري في "الصغير" ٢١٨/١ و "موارد الظمآن" ، (٦٣١١) ، و (١٩٢٦) ، و"المجمع" ٣٠٣/٤ و ٢١/٨ و٢٢ "الحلية" ٢٤٨/٩، والبخاري في "التاريخ الكبير" ١٣٠/٢ ، وابن السني (٦٤) والآجري في "الشريعة" (١١٥) و "التمهيد" ٢٣٧/٩و٢٤٤و"تاريخ أصفهان" ٦٧/٢، وابن أبي شيبة في "الإيمان" (٨) و(١٤) و(١٧) و(١٨) و (١٩) و(٢٠) و(٤٢) (١٢٥) والبيهقي في "الإعتقاد" (١٧٨) وعبدالله بن أحمد في "السنة" (٩٠) والنسائي في "عشرة النساء" (٢٧٢) والترمذي (١١٦٢) وقال : حديث حسن الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥) ، وابن ماجه (١٩٧٧) ، والدارمي ١٥٩/٢ ، والبيهقي ٤٦٨/٧ ، والطبراني ٣٦٣/١٩ ، و "المجمع" ٣٠٣/٤ و ١٧٤/٩ و"موارد الظمآن" (١٣١٢) و (١٣١٥) و "مشكل الآثار" ٢١١/٣، و "الصحيحة" (٤٦٢) و (١١٧٤) و (١٨٤٥).

(٣) أخرجه الترمذي (١١٦٣) و (٣٠٨٧) وابن ماجه (١٨٥١) ، والنسائي في "عشرة النساء" (٢٨٧). وأخرج الشطر الأول من الحديث : البخاري ١٦١/٤ و ٣٤/٧ ، ومسلم (الرضاع) ٦٠ ، وابن ماجه (١٨٥١) ، والبيهقي ٢٩٥/٧.

وقال ﷺ : "لا يفرك -أي لا يبغض- مؤمنٌ مؤمنة ، إن كره منها خُلُقاً رضي منها آخر"[1].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : "دعاني رسول الله ﷺ والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد -في يوم عيد- فقال لي : "يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم؟" فقلت : نعم ، فأقامني وراءه ، فطأطأ لي منكبه لأنظر إليهم ، فوضعت ذقني على عاتقه ، وأسندت وجهي إلى خده فنظرت من فوق منكبيه وهو يقول : "دونكم يا بني أرفدة" ، فجعل يقول : "يا عائشة ما شبعت؟" فأقول : لا ، لأنظر منزلتي عنده حتى شبعت[2].

وعنها أيضاً قالت :"قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك أو خيبر ، وفي سهوتها ستر ، فهبت ريح ، فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب ، فقال : ما هذا يا عائشة؟ قالت : بناتي ، ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع ، فقال : ما هذا الذي أرى وسطهن؟ قالت : فرس ، قال : وما هذا الذي عليه ؟ قالت : جناحان ، قال : فرس له جناحان؟ قالت : أني سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة؟ قالت : فضحك حتى رأيت نواجذه"[3].

وعنها أيضاً : إنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر ، وهي جارية قالت : لم أحمل اللحم ، ولم أبدن ، فقال لأصحابة "تقدموا" فتقدموا ، ثم قال : "تعالي أسابقك" فسابقته فسبقته على رجلي ، فلما كان بعد ، خرجت معه في سفر ، فقال

---

(١) أخرجه مسلم (الرضاع) ب ١٨ رقم ٦١ ، وأحمد ، ٣٢٩، والبيهقي ٢٩٥/٧.

(٢) أخرجه البخاري ٢٠/٢ و ٤٧/٤ ، ومسلم (العيدين) ب٤ رقم١٩ والبيهقي ٢١٨/١٠، والنسائي في "عشرة النساء" (٦٥) ، (٦٦) و (٦٧) و (٦٨) و (٦٩) و (٧٠) و (٧١) و(٧٢).

(٣)أخرجه أبو داود (الزكاة) ب٤ ، و(الأدب) ب٦١، والحاكم ٣٩٠/١ ، والبيهقي ١٢٩/٤ و ٢١٩/١٠، وابن سعد ٤٢/٨، والدار قطني ١٠٥/٢، وابن عساكر ٦١/٢، والخطيب ١٠٢/١١ و"دلائل النبوة" ٣٤٥/١.

لأصحابه : "تقدموا" ثم قال :"تعالي أسابقك" ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم ، وبدنت ، فقلت : كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال ؟ فقال : "لتفعلن" فسابقته ، فجعل يضحك وقال : "هذه بتلك السبقة"[1].

وعنها أيضاً قالت : "إن كان رسول الله ﷺ ليؤتى بالإناء فأشرب منه وأنا حائض ، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع فيَّ، وإن كنت لآخذ العَرْق فآكل منه ، ثم يأخذه فيضع فاه على موضع فيّ"[2].

وعن جابر بن عبدالله ، وجابر بن عمير قالا : قال رسول الله ﷺ : "كل شيء ليس فيه ذكر الله فهو لغو وسهو ولعب ، إلا أربع خصال : ملاعبة الرجل إمرأته ، وتأديب الرجل فرسه ، ومشية بين الغرضين، وتعليم الرجل السباحة"[3].

قال إبن كثير : "وكان من أخلاق النبي ﷺ أنه جميل العشرة ، دائم البشر ، يداعب أهله ، ويتلطف بهم ، ويوسعهم نفقته ، ويضاحك نساءه.

وقال الغزالي في آداب المعاشرة وما يجري في دوام النكاح[4]،حسن الخلق معهن ، واحتمال الأذى منهن ، ترحماً عليهن ، لقصور عقلهن.

ثم قال : وأعلم أنه ليس حسن الخلق منها كف الأذى عنها ، بل احتمال الأذى منها ، والحلم عند طيشها وغضبها ، اقتداءً برسول الله ﷺ ، فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام ، وتهجره الواحدة منهن يوماً إلى الليل ، وراجعت امرأة

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/٣٩ و ٢٦٤ ، وأبو داود (٢٥٧٨) و "الصحيحة" (١٣١) والبيهقي ١٠/١٧و ١٨ ، و"مشكل الآثار" ٢/٢٦٠ و٢٦١ والنسائي في "عشرة النساء" (٥٦) و (٥٧) و(٥٨) و (٥٩).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٦/٦٢ ، وأبو داود (٢٥٦) والنسائي ١/٥٦ و ١٧٨، وأخرجه مسلم ١/١٦٨ – ١٦٩.

(٣) أخرجه الإمام أحمد ٤/١٤٨ ، والحاكم ٢/٩٥ ، والطبراني ١٧/٣٤١ ، والدارمي ٢/٢٠٥ و "الصحيحة" (٣١٥) والنسائي في "عشرة النساء: (٥٢) و (٥٣) و (٥٤)٢/٢٨٣ ، وإبن عساكر ٧/٤٣٠.

(٤) "إحياء علوم الدين" ٤/٧٢٠ –٧٢٢.

عمر رضي الله عنه فقال : أتراجعينـــي؟ فقــالت : "إن أزواج رســول الله ﷺ يراجعنه ، وهو خير منك"[1].

ثم قال الغزالي : إن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة ، فهي التي تطيب قلوب النساء، وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن ، وينزل إلـى درجات عقولهن في الأعمال.

قال لقمان رحمه الله تعالى : ينبغي للعاقل أن يكون في أهله كالصبي ، وإذا كان في القوم وجد رجلاً.

ويستحب للرجل إذا وجد فراغاً ووقتاً أن يشارك المرأة في خدمة البيــت ، فإن هذا من حسن المعاشرة المأمور به.

قالت عائشة –وقد سئلت عنه ﷺ– ما يعمل في بيته : "كان يكون في مهنـة أهله ، يقم بيته ، ويرفو ثوبه ، ويخصف نعله ، ويحلب شاته"[2].

٩. نظم قضية الطلاق بما يمنع من تعسف الرجل فيه واستبداده فـي أمـره فجعل له حداً لا يتجاوزه ، وهو الثلاث ، وقد كان عند العرب ليس له حد يقـف عنده ، وجعل لإيقاع الطلاق وقتاً ، ولأثره عدة تتيح للزوجين العودة إلى الصفـاء والوئام.

قال تعالى:﴿ الطلاق مرتان ، فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ (البقـرة: ٢٢٩).

١٠. حد من تعدد الزوجات ، فجعله أربع ، وقد كان عند العرب وعند غـيرهم من الأمم التي تبيح التعدد غير مقيد بعدد معين.

---

(١) من حديث أخرجه البخاري في كتاب "المظالم" باب الغرفة والعلية.

(٢) أخرجه البخاري ١٧٢/١، و٨٥/٧ ، والترمذي (٢٤٨٩) وأحمـد ١٢٦/٦ و٢٠٦ ، والبيـهقي ٢١٥/٢ ، و"دلائل النبوة" ٣٢٧/١ ، وابن المبارك في "الزهد" (٣٤٨) ، وابن سعد ٩١/٢/١.

يشن الغربيون المتعصبون من رجال الدين والاستشراق والاستعمار حملة قاسية على الإسلام والمسلمين بسبب تعدد الزوجات ، ويتخذون منها دليلاً على اضطهاد الإسلام للمرأة واستغلال المسلمين لها في إرضاء شهواتهم ونزواتهم.

على أي طراز يفكر الذين يصدون مثل هذا الحكم؟ ألا يرون أن هذا القانون عمل لشعب كان يمرح في أحط ضروب الإباحة ، وأنه ألغى نفسه به مقيداً لا يستطيع أن يتجاوز أربع نسوة؟ إني أقرأ في العهد القديم (التوراة) أن صديق الله الذي ينبض قلبه طباقاً لإرادة الله ، كان معدداً للزوجات ، وزيادة على هذا ، فإن العهد الجديد (الإنجيل) لا يحرم تعدد الزوجات إلا على من كان أسقفاً أو شماساً ، فإنهما هما المكلفان أن يكتفيا بواحدة ، وإني لأجد كذلك تعدد الزوجات في الكتب الهندية القديمة ، وما يتهمون الإسلام إلا لأنه من السهل على الإنسان أن يشنع على عقائد الخير ويشهّر بها ، ولكن كيف يجوز أن يجرؤ الغربيون على الثورة ضد تعدد الزوجات المحدود عند الشرقيين ما دام البغاء شائعاً في بلادهم؟ ومن يتأمل فلا يجد وحدة الزوجة محترمة إلا لدى نفر من الرجال الطاهرين ، فلا يصح أن يقال عن بيئة إن أهلها موحدون للزوجة ما دام فيها إلى جانب الزوجة الشرعية خدينات من وراء ستار.

فالإسلام لم يكن أول من شرع تعدد الزوجات ، بل كان موجوداً في الأمم القديمة كلها تقريباً: عند الأثينيين ، والصينيين ، والهنود ، والبابليين ، والأشوريين ، والمصريين ، ولم يكن له عند أكثر هذه الأمم حد محدود ، وقد سمحت شريعة "ليكي" الصينية بتعدد الزوجات إلى مائة وثلاثين امرأة ، وكان عند أحد أباطرة الصين نحو من ثلاثين ألف امرأة!

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام كان عنده زوجتين ، وقد أعلمتنا السنة

أن نبي الله سليمان عليه السلام كان عنده مائة إمرأة وفي رواية أخرى سبعين إمرأة والأدلة على ذلك كثيرة.

جعلها قبل البلوغ تحت وصاية أوليائها، وجعل ولايتهم عليها ولاية رعاية وتأديب وعناية بشؤونها وتنمية لأموالها لا ولاية تملك واستبداد.

١١. وجعلها بعد البلوغ كاملة الأهلية للإلتزامات المالية كالرجل سواء بسواء ومن تتبع أحكام الفقه الإسلامي نرى فرقاً بين أهلية الرجل والمرأة في شتى أنواع التصرفات المالية كالبيع ، والإقامة ، والخيارات ، والسلم ، والصرف ، والشفعة ، والإجارة ، والرهن ، والقسمة ، والبينات ، والإقرار، والوكالة ، والكفالة ، والحوالة ، والصلح ، والشركة ، والمضاربة ، والوديعة ، والهبة ، والوقف ، والعتق ، وغيرها.

في هذه المبادئ نعلم أن الإسلام أحل المرأة المكانة اللائقة بها في ثلاثة مجالات رئيسية هي :-

١. المجال الإنساني : فاعترف بإنسانيتها كاملة كالرجل وهذا ما كان محل شك أو إنكار عند أكثر الأمم المتمدنة سابقاً.
٢. المجال الاجتماعي : فقد فتح أمامها مجال التعلم وأسبغ عليها مكاناً اجتماعياً كريماً في مختلف مراحل حياتها منذ طفولتها حتى نهاية حياتها ، بل إن هذه الكرامة تنمو كلما تقدمت في العمر : من طفلة إلى زوجة ، إلى أم ، حيث تكون في الشيخوخة التي تحتاج معها إلى مزيد من الحب والحنو والإكرام.
٣. المجال الحقوقي : فقد أعطاها الأهلية المالية الكاملة في جميع التصرفات حين تبلغ سن الرشد ، ولم يجعل لأحد عليها ولاية من أب أو زوج أو رب أسرة.

"طبيعة تكوين المــرأة"

مما لا شك فيه أن المنهج الإسلامي يتبع الفطرة في تقســيم الوظــائف وتقسيم الأنصبة بين الرجال والنساء ، فالفطرة الإلهية ، جعلت الرجل رجــلاً ، والمرأة مرأةً ، وأودعت كلا منهما خصائصه المميزة ، لتنــوط بكــل منــهما وظائف معينة لا لحسابه الخاص ، ولا لحساب جنس منها بذاته. ولكن لحســاب هــذه الحياة الإنسانية التي تقوم وتنتظــم، وتستوفي خصائصها وتحقق غايتــها - من الخلافة في الأرض وعبادة الله بهذه الخلافة- عن طريق هذا التنوع بيــن الجنسين والتنوع في الخصائص والوظائف وينشــأ تنــوع التكــاليف وتنــوع الأنصبة، وتنوع المراكز لحساب تلك الشركة الكــبرى والمؤسســة العظمــى ...المسماة بالحياة(١).

فالاختلاف في التكوين والخصــائص يقابلــه اختــلاف فــي التكليــف والوظائف ولفهم ذلك كان لابد لي من بيان الفروق بين الرجل والمــرأة حتــى يسهل علينا فهم دور كل منهما ، والوظائف المنوطة به لتأديتها في هذه الحيــاة على أكمل وجه . ورد دعوى القائلين بالمساواة المطلق بين الرجل و المرأة.

فالفرق بين المرأة والرجل يمكن أن نقسمها في كتابنا هذا إلــى ثلاثــة فروق وهي :

١. فروق جسدية تكوينية.

٢. فروق عقلية سلوكيــة.

٣. فروق نفسية وجدانية.

---

(١) دستور الأسرة في ظلال القرآن ، ص٣٣، ط٢٠.

وإليك تفصيلها بالكامل :

أولاً : الفروق الجسدية (التكوينيـــة) :

إن أهم ما يميز المرأة من الرجل تكوينها الجسدي فهي تملك الأجـــهزة والأعضاء ما يتناسب مع وظيفتها في الحياة الإنسانية ، وهو أمر واقع ملمـــوس وقد ورد في القرآن الكريم اختلاف الذكر عن الأنثى . فيما حكاه علـــى لســان امرأة عمران قال تعالى : ﴿إذا قالت امرأة عمران ربي إني نذرتك ما في بطنـي محرراً ، فتقبل مني إنَّك أنت السميع العليم ، فلما وضعتـــها قــالت : رب إنـــي وضعتها أنثى ، والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى﴾.[1]

والشاهد في الآية قولهُ : ﴿ وليس الذكر كـــالأنثى﴾ ، أي فـــي تحمـــل مسؤولية البدانة وخدمة بين الله لما يتطلب ذلك من جهد بدني وعقلي.

قال الإمام القرطبي رحمهُ الله في تفسيرهُ للآية: (وهذهِ الصالحـــة إنمـــا قصدت بكلامها ما تشهد به بينه حالها ومقطع كلامها ، فإنها نذرت خدمة المسجد في ولدها ، فلما رأتهُ أنثى لا تصلح وأنها عورة اعتذرت إلى ربها من وجودهـــا لها على خلاف ما قصدتهُ منها) [2].

وفسر ابن كثير رحمه الله قوله : ﴿ وليسَ الذكر كالأنثى﴾ أي في القـــوة والجلد في العبادة وخدمة المسجد الأقصى[3].

وقيل:

(للرجال زيادة قوة في النفس والطبع ما ليس للنساء ، لأن طبع الرجال

---

(١) سورة آل عمران : ٣٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٤ ، ص٦٨.
(٣) تفسير القرآن العظيم ، ج١، ص٣٥٩.

غلب عليه الحرارة واليبوسة ، فيكون فيه قوه وشدة وطبع النساء غلب عليه الرطوبة والبرودة فيكون فيه معنى اللين والضعف فجعل لهم حتى القيام عليهن بذلك)[١].

وهكذا نرى أن القرآن قرر الاختلاف بين الذكر والأنثى ، فإذا ما انتقلنا إلى ما قاله العلماء والأطباء ووظائف الأعضاء ، ووجدنا أنهم اكتشفوا الكثير من الفروق الجسدية بين الذكر والأنثى.

يقول الدكتور محمد علي الباز : إن الفروق الفسيولوجية (الوظيفية) والتشريحية بين الذكر والأنثى أكثر من أن تحصى وتعد، فهي تبتدئ بالفروق على مستوى الصبغات (الكروموسومات) التي تتحكم في الوراثة وترتفع إلى مستوى الخلايا ، وكل خلية في جسم الإنسان توضح لك تلك الحقيقة الفاصلة بين الذكورة والأنوثة – وتتجلى الفروق بأوضح ما تكون في نطفة الذكر(الحيوانات المنوية) ...

ونطفة المرأة (البويضة) ثم ترتفع الفروق بعد ذلك في أجهزة الجسم المختلفة من العظام وإلى العضلات وتتجلى في اختلاف الأجهزة التناسلية بين الذكر والأنثى.

ولا تقتصر على الجهاز التناسلي ، وإنما تشمل جميع أجهزة الجسم[٢] ، ويكمل الدكتور وصفهُ للفروق التي تمتاز بها المرأة عن الرجل ويقول :

"تختلف الأعضاء التناسلية للرجل والمرأة اختلافاً يعرفه كل إنسان ، فللمرأة رحم منوط به الحمل ، فإن لم يكن حمل فدورة شهرية وطمث (حيض)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ، ج٥، ص١٦٩.

(٢) عمل المرأة في الميزان ، ص١٧.

وللمرأة أثداء لها وظيفة جمالية كما لها وظيفة تغذية الطفل منذ ولادته إلى فطامه بأحسن وأنصف وأليق غذاء .

ليس هذا فحسب ، ولكن تركيب العظام يختلف في القوة والمتانة وفي الضيق والسعة وفي الشكل والزاوية"[1].

ويمتاز حوض السيدة عن حوض الرجل بالنسبة لقيامة بوظيفة هامة إضافية (الحمل) فتطلب منه بعض الضروريات اللازمة التي لا يحتاج إليها حوض الرجل فنمو الجنين في الحوض داخل الرحم ، وطرق تغذيته وحفظه ثم مروره بتجويف الحوض ومن مخرجه وقت الولادة مما يستلزم بعض التغيرات والتعديلات التي يسهل معها إتمام الولادة بالنسبة للأم والطفل وتنحصر كل هذه التغيرات في أن يكون تجويف حوض السيدة أوسع وأقصر وأن تكون عظامه أرق وأقل خشونة وأبسط تضاريساً.

كل هذه الفروق الجسدية ظاهرة للعيان... فصدق الله حين قال : ﴿ وللرجال عليهنَّ درجة﴾.

وسبحانه الذي خلق الزوجين الذكر والأنثى .. وجعل بينهما هذه الفروق الجسدية التي تؤهل كل واحد منهما للقيام بواجبه ووظيفته التي خلقهُ الله من أجلها.

ثانياً: الفروق العقلية والسلوكية:-

لقد ثبت في الكتاب والسنة العديد من الفروق العقلية بين الرجل والمرأة ولقد راعى التشريع ذلك في العبادات والمعاملات والتكاليف الشرعية.

---

(١) نفس المرجع السابق ص ٦٦.

يقول تعالى : ﴿ واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإنْ لم يكنْ رجليـــنْ ، فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء أن تضل إحداهمـــا فتذكـــر إحداهمـــا الأخرى﴾.

وقد جاءت السنة تؤكد هذه الحقيقة نقصان عقل المرأة ، وذلك كمـــا ورد عن عبد الله بن عمر : عن الرسول ﷺ أنهّ قال : "يا معشـــر النســـاء تصدقـــن وأكثرن الاستغفار ، فإني رأيتكن أكثر أهل النار"..... فقالت امرأة منهن جزلـــه وما لنا يا رسول الله أكثر أهل النار قال : "تكثرن اللعن وتكفرن العشير ، ومـــا رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن" قالت : يا رســـول الله ومـــا نقصان العقل والدين؟ قال :"أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل ، فهذا نقصان العقل، وتمكث الليالي ما تصلي وتفطر في رمضان فـــهذا نقصـــان الدين"[١].

قال الإمام النووي رحمه الله : نقصان العقل : أي قليلات الضبـــط[٢] . ليس معنى ذلك أنها أحط قدراً من الرجل بل هناك في المقابل لا تعتـــبر شـــهادة الرجل في الأمور التي تخص النساء.

(فالمرأة إن نقصت في غير ميدانها ، واكتملت في شؤونها فكان ذلـــك نقصاً يعوضه كمال آخر وكان تركها الصلاة والصيام في الحيض والنفاس نقصاً في أعمال الدين . لا تلام عليه ولا تؤاخذ فيه)[٣].

إن اختلاف طريقة التفكير والسلوك لدى الفتى والفتاة أمر ملاحظ ولـــو

---

(١) صحيح مسلم / كتاب الإيمان ج١ ، ص٨٦ ، ٨٧.

(٢) النووي /صحيح مسلم بشرح النووي ٦٧/٢.

(٣) كمال أحمد عون/ المرأة في الإسلام ، ص١٢٨ ، ط٢٠.

دقق كل واحد منا في حياة أبنائـه أو المحيطين له ، فنجد الفرق واضحاً وهـذا ما لمسته من تجربتي كأم لكلا النوعين . فالأولاد يمتـازون بكـثرة الحركـة والتنقل والعنف ولا يبالون بالأمور الجمالية الدقيقة بعكس البنات فإنهـن يملـن إلى الهدوء والاهتمام بالمظاهر الجماليـة بعكـس الأولاد ويتصفـن بالرقـة والنعومة.

يقول الدكتور عسكر رياض : (لذلك يسبق إدراك البنت الحادثـة قبـل الفكرة ، بينما يأتي إدراك الذكر للفكرة قبل إدراكه للحادثة).

ومن ثم تميزت النسوة بالاهتمام بالأشياء من حولهن مباشرة ، في حيـن ينصرف اهتمام الرجال إلى ما هو أبعد ، ويقدر ما تبهـر المـرأة بالأشـكال الظاهرة الجمالية الشكلية ، بقدر ما ينصرف الرجل إلى ما هو أخفى وأعمق[1].

ومما يعتبر اكتشافاً مذهلاً أن تخزين المعلومات في الدماغ يختلف فـي الولد عنه في البنت ، ففي مخ الفتى تتجمع القدرات الكلامية في مكان مختلـف عن القدرات الهندسية والفرغية ، بينما هي موجودة في كلا فصي المـخ لـدى الفتاة، ومعنى ذلك أن الدماغ للفتى أكثر تخصصاً من مخ أخته ، وتقول الدراسـة إن أغلب الأولاد يميلون إلى كثرة الحركة وشيء من العنف ، بينما (على حيـن) تميل أكثر الفتيات إلى السكينة والهدوء وقلة الحركة.

يقول العقاد : (نحن نعتقد أن المرأة لا تعيرهـا هـذه المفاضلـة فـي الخصائص العقلية بين الجنسيين ، لأنها لم تحرم ما يقابل هذه الخصـائص فـي مجال الحس و العطف و البداهة الفطرية ، حباها من مزايا جنسها ما اشـتملت عليه من كنوز غالية ترشحها (الأمومة) الإنسانية كلها ولا تقتصـر بـها علـى

---

(١) نفسية . المراهق وتربيته ، ص٥١.

أمومة الأبناء و البناتَ . هي (أم النوع الإنساني وليس من الضـــروري لـــها أن يكون مع هذه الأمومة المكرمة أن تكون أباه)(١).

ثالثـــاً : الفروق النفسية والوجدانيــــة

إن الفروق النفسية والمشاعر الوجدانية تتبع الوظائف العضوية وبمـــا أن للمرأة خصائص عضوية تختلف بها عن الرجل اختلافاً واضحاً فـــإن ذلـك يترك أثراً واضحاً على نفسية المرأة ووجدانها.

فإن أهم ما تمتاز به المرأة نفسياً العاطفة الرقيقة والحنان البالغ وحـــب التضحية من أجل الآخرين فهي أسرع تأثراً وانفعـــالاً وأدق شـعوراً بالألـــم والفرح.

ولهذا لم يتعرض القرآن الكريم لنفسية المرأة بطريقة البحـــث المجـرد وإنما قدم صورة المرأة متحلية بخصائصها متميزة بمميزاتهـا . فكلما ذكـــرت الأم وصفت بالعطف والحنان وتحمل الأعباء والآلام والمكارة في سبيل جنينـــها يقول تعالى: ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمهُ وهناً على وهن وفصالهُ فـــي عامين أن أشكر لي ولوالديك إلي المصير﴾.(٢)

ويقول في آيةٍ أخرى:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمهُ كرهاً ووضعتهُ كرهاً وحملهُ وفصالهُ ثلاثون شهراً﴾.(٣)

---

(١) المرأة ذات اللغز ، ص٥٨

(٢) سورة لقمان : ١٤.

(٣) سورة الأحقاف : ١٥.

وكلما ذكرت الزوجة قدمت في صورة السكن والمودة والرحمة.

يقول تعالى : ﴿هو الذي خلقكمْ من نفس واحدة وخلــق منــها زوجــها ليسكن إليها﴾.(١)

وقال جل وعلا : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتســكنوا إليها وجعلَ بينكُمْ مودة ورحمة﴾.(٢)

وقد تحدثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشـــريفة عــن بعــض الصفات الانفعالات التي عرفت به المرأة ، وأصبحت صفة من صفاتها وجــزءاً من طبيعتها وتكوينها النفسي كالحياء والغيرة وحب الزينـــة ، والضعــف فــي الخصومة وقوة الانفعال والاندفاع الكيد والسخرية ، وسأجمل في بيان كل صفــة من هذه الصفات خوفاً من الإطالة :

أولاً : صفة الحيـــاء

الأنثى بطبعها وبحكم أنوثتها وفطرتها النقية الصافية مجبولة على الحياء وتنمو هذه الصفة بحيث تصبح جزءاً منها إذا تربت في محيط يلتزم بالفضيلـــة والأخلاق الحميدة وهي صفة حميدة بل هي أجمل صفة تتحلى بها المــرأة ، لأن هذا الخلق يضفي عليها رقة وجمالاً .

وقد أوضح القرآن الكريم صفة المرأة النقية وفطرتها الصافية الســليمة في معرض قصة النبي موسى عليه السلام ولجوئه إلى مدين ، وما قام به مــن سقيا غنم المرأتين وتوليه بعدها إلى الظل.

---

(١) الأعراف : ١٨٩.

(٢) الروم : ٢١.

قال تعالى:﴿ فجاءته إحداهما تمشي على استحياءٍ قالت إن أبي يدعوك ليجزيك ما سقيت لنا﴾ (القصص : ٢٥).

وصفها الله بصفة الحياء الذي يدل على نقاء فطرتها وكمال أنوثتها وشرف عنصرها.

فعلى المرأة أن تنمي وتحافظ على صفة الحياء في نفسها وتنميتها بتقوى الله ، ومراقبته والخوف من عقابه لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان.

ثانياً : الغيرة

وهي كراهة شركة الغير في حقه ، وهي صفة غالبة في النساء و هي أشد ما تكون بين الزوجين هذا في حق الآدامي ... أما في حق الله فهي بمعنى أن يأتي الزمن ما حرم الله عليه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله ﷺ :" إن الله يغار ، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله"(١).

يقول الإمام البدو العيني في وصف الغيرة لله عز وجل :

"معنى غيرة الله تعالى عن الفواحش ، والتحريم لها ، والمنع منها ، لأن الغيور هو الذي يزجر عما يغار عليه. وقد بين ﷺ :" ومن غيرته حرم الفواحش : أي أنهُ زجر عنها ومنع منها"(٢).

أما الغيرة بين الزوجين فهي واردة ومطلوبة بحكم طبيعة البشر وهي محمودة في الحالات العادية التي لا يترتب عليها ضرر أو اتهام بالباطل أو

(١) صحيح البخاري ، كتاب النكاح ٧/٤٥.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٢٠/٢٠٥.

اختلاف الأكاذيب فالشرط فيها أن لا تتجاوز إلى الريبة فتصبح مذمومة (وهي الغيرة العمياء الحمقاء). وقد امتازت سيدتنا عائشة بالغيرة لشدة حبها لرسول الله ﷺ ووجداً منها عليه رضي الله عنها .

ومن جملة ما تقدم نستنتج أن صفة الغيرة ملازمة للمرأة ، وهي دليل صحة إن كانت في حدود المعقول ، بحيث تحفظ العلاقة بين الزوج وزوجته علاقة المحبة والمودة التي تشيع الرحمة والسكون والطمأنينة في محيط الأسرة.

ثالثاً :حب الزينة

إن المرأة مفطورة على حب الزينة في كل بيئة وعصر منذ القدم بحكم أنوثتها وميلها النفسي لإظهار فتنتها وجمالها نراها تتخذ جميع الوسائل التي تبرز مفاتنها و تزيد من جمالها وتقف الساعات الطوال أمام المرأة تتجمل وتعتني بنفسها.

وقد أباح الله للمرأة أن تتزين وتتحلى بشتى أنواع الزينة والحلي من ذهب وفضة ولؤلؤ ومرجان على شرط أن يكون تزينها وتجملها لزوجها لا لغيره من الرجال الأجانب ، وذلك سداً لذرائع الفتنة والفساد يقول تعالى :﴿ وهو الذي سخّر البحر لتأكلوا منهُ لحماً طرياً ، وتستخرجوا منه حلية تلبسونها﴾.(١)

(المقصود بالحلية هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسها لبس نسائهم ، لأنهن من جملتهن).

ويقول تعالى :﴿ أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾.(٢)

---

(١) النحل : ١٤.

(٢) الزخرف : ٨.

رابعاً : ضعف الخصومـــــة.

فقد عرفت النساء بأنهن سريعات الانفعال بحكـــم طبيعتـــهن الحساســة والعاطفية وتغلب صفة الحنان والتأثــر (لذا فإنهن يضعفـــن عنـــد الخصومـــة ويفقدن الحجة ولا يستطعن مجاراة الخصوم... وهذه الصفة لازمة لهن بحكـــم وظيفة الأمومة والزوجية التي يقمن بها وهي صفة محبوبة عند الرجل ، لأنـــها تبعث في نفسه الزهو والفخر بقوته.

خامساً : قوة الاندفاع وسرعة الانفعال

نظراً لتكوين المرأة النفسي فإنها تمتاز بشدة التأثر في الناحية النفســـية وبشدة الحساسية وقوة الانفعال وعدم التريث وقد ورد بيان ذلـــك فـــي الســـنة الشريفة ، فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال : خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فصلى الناس معه.... إلى أن قال : قـــال رســول الله ﷺ "رأيت النار فلم أر كاليوم منظراً قط ، ورأيت أكثر أهلها النساء" قالوا : لم يـــا رسول الله؟ قال:"يكفرن" قيل : يكفرن بالله؟ قـــال :"يكفـــرن العشـــير ويكفـــرن الإحسان لو أحسنت إلى إحداهن الدهر ، ثم لأن منك شيئاً قالت : ما رأيت منـــك خير قط"[1].

(ولكن ليس معنى ذلك أن كل النساء كذلك ، فقد قدم لنا القرآن الكريـــم صورة مختلفة لنماذج من قوة الاندفاع لنسوة ذكرهن.)

فسرعـــة الانفعال والحساسية المرهفة تجعل من المرأة متسرعـــة في

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٣٥٩/١ وابن خزيمة (١٣٧٧) والطحاوي في "مشكل الآثار" ٢٢٧/٤ والشافعي (٧٨) وابن الجارود (٢٤٨).

إصدار الحكم وجحود في النعمة ونكران في الجميل وهو أمر ملاحظ واقع في مجتمع النساء ، لذلك ورد التحذير والتهديد لمثل هؤلاء النسوة اللاتي ينكرن الجميل ويجحدن الإحسان الذي يقدمه لهن الأزواج مع أن الواجب هو مقابلة الإحسان بالإحسان.

وأخيراً نقول إن التباين بين خصائص كل منهما إن هو إلا من عوامل التكامل والتناسق والتوازن الرائع الذي هو أساس الإنسانية واستمرارها تتجلى فيه حكمة الخالق الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى [١].

---

(١) مشكلات المرأة في المسلمة المعاصرة .. د. مكية مرزا.

"مكانة الأم في الإسلام"

ليس من شك في أنَّ الإسلام قد عني عناية خاصة بالمرأة باعتبارها نصف المجتمع وعضواً هاماً له أثره في الحياة.

ومن عناية الإسلام بها امتنانه على الرجل بها زوجة تشع المودة والرحمة ، ومهاداً يجد فيه السكينة والطمأنينة ، وأماً تربي الأولاد وتصنع رجولتهم وتبني مستقبلهم وتهيئهم للحياة الفاضلة الكريمة .... قال تعالى : ﴿ ومن آياته أن خلق لكم منْ أنفسكم أزواجاً لتسكُنوا إليها وجعلَ بينكم مودة ورحمة إنَّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾. (الروم : ٢١)

ولئن تعارف الناس في السنين الأخيرة على الاحتفال بما يسمى "عيد الأم" من كل عام تكريماً للأم وتقديراً لرسالتها في الحياة ، فإن الإسلام الحنيف منذ ظهوره قد أعلى منزلتها وشرف فيه الأمومة المليئة بالعواطف الكريمة والمشاعر النبيلة وقدر فيها رسالتها الخالدة التي تؤديها بالجهد المتواصل والتعب المضني وتبذل فيها الكثير من وقتها وراحتها وتضحي فيها بصحتها وأعصابها ... فلقد جاء رجل إلى رسول الله ﷺ وقال له : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال : "أمّك" قال: ثم من؟ قال : "أمك" ، قال: ثم من؟ قال : "أمك"، قال: ثم من؟ قال : "أبوك"[1].

---

[1] أخرجه البخاري ٢/٨ ، ومسلم (البر والصلة) ٢/١، والنسائي (الطهارة) ب١٣٣، و(الحيض) ب٣، وأبو داود (الطهارة) ب١٠٧، والترمذي (١٨٩٧)، وابن ماجة (٣٦٥٨) ، وأحمد ٣٢٧/٢ و ٥/٣ ،والبيهقي ١٧٩/٤ و ٢/٨ و٣ ،والحاكم ١٥٠/٤ ، والخطيب ٢٦٦/٣ و١٠ /٢٧٦ ، والطبراني في (الكبير) ٤٠٥/١٩ , وابن أبي الدنيا في(العيال) (٧١٨).

وفي سبيل تكريم الإسلام للأم وإعلاء شأنها، أمر بطاعتها ، والإحسان إليها ، واحترامها ، وإيثارها بالخير والبر والمعروف ، قال تعالى :﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمّه وهناً على وهنْ وفصاله في عامين أنْ أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير وإنْ جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب إليَّ ثم إليَّ مرجعكم فأنبئكم بما كنت تعملون﴾ (لقمان ك ١٤-١٥).

قال ابن عباس : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث لم تقبل منها واحدة بغير قرينتها :

إحداها قوله تعالى :﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

والثانية قوله تعالى :﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه.

والثالثة قوله تعالى :﴿ أنْ أشكر لي ولوالديك إليَّ المصير﴾ فمن شكر الله ولم يشكر والديه لم يقبل منه.

إن الأم إنسان كريم وأسمى ما فيها إنسانيتها الرفيعة وقد قضت سنة الله تعالى أن تجعل كرامتها منوطة برعاية أماناتها وإن تجعل سعادتها مرهونة بأداء وظائفها أماً وزوجة وربة بيت..

فهي كأم تصنع الطفل رجولته وخلقه وتنشئه على الفضائل الكريمة ، وتغرس في نفسه روح المثابرة والجد وحب الدين والوطن كما تثبت في فتاتها روح الأنوثة والخلق والعفة والاحتشام ومن أجل ذلك استحقت أن تكون طاعتها من طاعة الله وتحت أقدامها الجنة..

وهي كزوجة المصدر الروحي للحياة البيتية والسعادة الزوجيـــة ولـــذا كانت أفضل ذخر يعتد به الإنسان في حياته كما يقول النبـــي صلـــى الله عليـــه وسلم: "ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحـــة إن أمرها أطاعته ، وإن نظر إليها سرته ، وإن أقسم عليها أبرته ، وإن غاب عنـــها حفظته في نفسها وفي ماله"[1].

وليس هناك من عمل لهذه الأم أسمى مقصداً وأشرف غايـــة وأجـــدى لأسرتها ومجتمعها من تلك الرسالة العظيمة التي هيأها الله لها ورسمها لأدائها ، ولكن ممـــا يؤسف له أن نجد الكثير من الأمهات قد تخليـــن عـــن مســـئوليتهن وتركن أولادهن وأهملن رعاية أطفالهن وخرجن من بيوتهن وهجرن ميدانـــهن الطبيعي إلى ميادين الحيـــاة وإلى مضمار العمل يقول بعضهم : إنـــها تكـــاليف الحياة الباهظة توجب على المرأة أن تعمل إلى جانب زوجها مســـاعدة لـــه !!! وكأنهم بذلك يتحكمون في معايير السعادة ويمسخونها مادية بحتة... ويحولـــون تلك العلاقة الروحية التي أقـــام الإسلام عليها دعائم الأسرة إلى علاقـــة تنشـــد التعقيد والتلفيق وتعبد مطالب البدن.

حقيقة قد يرتفع مستوى المعيشة بين الزوجين العاملين ولكـــن ســـينحط حتماً مستوى التربية والخلق في الأسرة ، ثم إن الفارق الكبير بيـــن المســـتوى الخلقي لهذا الجيل والمستوى الخلقي للجيل الماضي إنما مرجعه إلى أن الأم قـــد هجرت بيتها وأهملت طفلها وتركته إلى من لا يحسن تربيته .

إن المجال الحيوي للمرأة هو الأسرة التي هي في أشـــد الحاجـــة إلـــى التكوين والإصلاح والنهوض بها فوق أدران الجهل والتأخر والانحطاط ، وفـــي

---

[1] أخرجه إبن ماجه (١٨٥٧) والطبراني في (الكبير) ٨/٢٦٤.

هذا المجال وحده يجب أن تعمل المرأة بكل ما أوتيت من قوة وذكـــاء وثقافــة ومعرفة وأن توفر جهودها لإقامة دعائم الأسرة وإعداد الجيل الصـــالح لخــير الوطن ونفع الأمة ففي ذلك كسب عظيم لحياة المجتمع بأسره.

وإن ترك الأولاد في رعاية الخدم مضيعة لأخلاقهم وقضاء على دواعي الخير فيهم وتوجيه لسلوكهم إلى ناحية الشر والفساد والأولاد بطبيعتهم مفطورين على المحاكاة والتقليد ، وحينئذٍ سيتلقون من الخدم ألفاظــهم البذيئــة وعاداتــهم القبيحة ، وأخلاقهم الهابطة ، وقد يقعون في بعض الأحيان فريسة لهم وضحيــة لعبثهم ورجسهم وقد صدق من قال :

ليس اليتيــم من انتهــى أبـــــواه

من هم الحياة وخلّفـــاه ذليــــــلاً

إنّ اليتيم هو الذي تلقى لـــــــــه

أمًّا تخلت أو أباً مشغـــــــــــولاً

فإذا أراد الناس أن يكرموا الأم حقاً فليعودوا بها إلـــى البيــت لــتزاول مشاعر الأمومة ووظائفها الأصيلة ولترعى أماناتها بما فطرها الله عليـــه مــن العطف والحنان وبما اكتسبته من الثقافة والعلم حتى تخرج للأمة الجيل الصـــالح والأولاد النافعين ، وبذلك تكون هذه الأم جديرة بما تستحق من التكريم[١].

---

[١] أنظر "الإسلام" مقالة للشيخ حامد محمود إسماعيل ٧٥١/١٣ العدد ٤٦ من السنة الثالثة والثلاثون.

"رُقِيُّ الأمــة من رقي الأمهات"

إذا نظرت إلى أية أمة من الأمم ترى أنها جماعة من النـــاس تربطـــهم غالباً روابط الدين والوطن والجنس ، ولا تكون الأمة سعيدة حقاً إلا بأفرادهـــا ، فإن صلحوا صلحت وإن فسدوا فسدت ، فهم أعضاؤها ، وبهم حركتها وسكونها وعليهم رقيها وعزها ، وبهم شقاؤها وضياعها ... الأمة برجالـــها العـــاملين ، وسيداتها ذوات اليقين ، وفتياتها أولات العلم والدين.

نعم بهؤلاء تسعد وترقى ، إذ هم عمادها وسندها الذي عليـــه ترتكـــز ، ونورها الذي به تستضيء ، وهاديها الذي به تهتدي.

ولما كانت الأم هي الدعامة الأولى التي ترتكز عليها الأمم فـــي تربيـــة أبنائها ، وجب أن تكون عاقلة رشيدة مدبرة حكيمة مهذبة كاملة . ولقد صـــدق نابليون حين قال :

"لن تستفيد فرنسا مجدها ، ولن تبلغ عظمتها إلا بالمرأة الصالحـــة" لأن الإنسانية كلها توغلت في أسباب في العمران اشتد التنافس بين أفرادها وأصبحت حياتهم مجالدة صراعاً ، فلكي يتمكن الإنسان من أن يشق له طريقاً وسط هـــذ الجلاد يجب أن يربَّى تربية خاصة في دوره الأول – دور الطفولة والتكويـــن– وهو دور الأم ، فإذاً مكانتها سامية ، ومنزلتها عالية ، إذ بيدها صـــوغ جيـــل المستقبل وإعداده للحياة الكاملة .

الأم مدرســة إذا أعددتـــهـــــا
أعددت شعباً طيب الأعـــــراق
الأم أستاذ الأساتذة الأُلـــــــى
شغلت مآثرهم مدى الآفـــــاق

ولما كان أكثر العهد الأول للطفل بالمنزل وبين أحضان الأمهات ، وجب عليهن أن يكن ذوات خلق شريف ، وعادات حسنة ، وأن يتمكن بدينهن ويعتصمن بقوته ، ويتبعن سنته ، ويأتمرن بأمره ، وينهين بنهية، كيف لا وهو الذي يغرس في أنفسهن حب الفضيلة ، وينأى بهن عن مواطن الزلل ، وهو خير هاد للفتاة إلى التحلي بالحياء والوقار وترك التبرج الممقوت، وعدم التشبه بالأجنبيات فيما لا ينبغي والمرأة التي تكون بهذه المثابة لا ريب توجه همها إلى تربية أولادها وترقية مداركها ، وإنبات عقولهم إنباتاً حسناً ، وتغذيتهم بلبان علومها النافعة المفيدة .

ولنذكر بعض ما للغربيات في تربية أبنائهن تربية صحيحة ، فإنهن لا يتكلمن أمامهم ببذئ القول ولا يفعلن على مرأى منهم إلا ما يعود عليهم بالمنافع الجليلة ، إذ الطفل مولع بمحاكاة ما يراه من عمل أو يسمعه من قول ، مغرم بالاستفسار عن كل ما يحس به ، فالواجب على المربية أن تقوم بتغذية تلك الغرائز – وخصوصاً غريزة حب الاستطلاع فهي أول ما يتحرك من غرائز الطفل -بما يبرزها وينميها من الأفعال الجليلة ، والسجايا الشريفة ، والخلال الحميدة بطرق محسة وغبارات مستملحة ، كإلقاء القصص والحكايات المفيدة عليهم ، وبذلك يشب الطفل وقد طبع على العادات الحسنة والخلال السامية، وبذا يرجى منه أن يكون رجلاً عاملاً يفيد أمته ووطنه وبلاده.

وقصارى ما أقول :

إن سعادة الأمم وهناءتها متوقفان على الأمهات الصالحات ، والفتيات الطيبات ، حيث يُنشئن للأمة أولاداً صالحين ، وأفراداً نافعين ، فتتكون منهم أمة صالحة ، وشعب مجيد.

"النســاء نصف مجموع الأمَّة وهيهات أن ينهض مجموع شل نصفه

إنَّ تعدد مناحي الحياة وتشعب مقاصدها ، وكثرة ضروب الحضارة فيها كل ذلك جعل الحاجة جد ماسة إلى تربية البنات ، قال أحد الملوك يوماً لسـيدة تولت مدة طويلة إدارة معاهد العلم والتربية النسوية : "ماذا ينقص فتياتنا ليتم تهذيبهن؟" قالت : "الأمهات".

أجـل: هذا جواب بليغ جامع على اقتضابه جيب تفهم معنـاه وإنعام النظر في مرماه ، فإذا كان الرجل الذي سيكون له أكبر تأثير في مستقبل أبنـاء جلدته ليس إلا صنـع يدي أمه ، وثمرة تربيتها ، فلا تعجبن أيتها الفتيـات إذا كان يعلق على أمر تربيتكن مثل هذه الأهمية العظمى حتى تصبحـن أمـهات كاملات قادرات على تربيـة رجال المستقبل ، والأمم نسيج الأمـهات ، ومـا النفس إلا كالأرض إذا أهملـت وتركت بواراً لا تنبت إلا العوسـج والعليـق ، وإن عني بها أخرجت الخير والطيبات ، فإذا أردنـا أن نعـد الفتـاة للنهضـة اللائقة بنا تماماً فلنفتح لها باب العلم على مصراعيه ولا ننسى قول الشاعر:

وإن يفتها التحلي وهي في صغـر

بالعلم ذاقت عذاب الجهل في كبر

لأن العقل المثقف أكثر إدراكاً للواجبات وأقدر على تأديبها من غيره.

لذلك لا نفتأ نردد على مسامعك أيتها الفتاة أن تأخذي من العلوم قسـطاً وافراً -من غير اختلاط أو سفور أو خلوة- ومن الأخلاق السامية حظاً كبـيراً ، إذ العلم بلا أدب كالشجر الذي لا يثمر.

لا تحسبنَّ العلم ينفع وحـــــده

ما لم يتوج ربه بخـــــلاقِ

أفليس جديراً بمن عرفت هذا ، أن توجه همتها إلى تكميل نفسها وترقية مداركها ، وإنبات عقلها إنباتاً حسناً بما تحرزه من المعلومات السامية والثمرات الغالية ، لأني أعلم وكل الناس معي أنه ما من إنسان ذي عزيمة صادقة وجــه همته إلى غاية من الغايات إلاّ أدركها وعاد منها بالصفقة الرابحة.

ولكن هناك أمران يجب ألا يغربا عن بالك قط ، الأول : أن لا تدعــي الدرس ينسيك واجباتك النبوية أو الزوجية أو الوالدية ، فإن منزلتها أسمى مــن كل منزلة سواها. الثاني : أن تتحاشي الإدعاء فــلا تتخــذي علومــك وســيلة للمفاخرة والمباهاة بل دعي أعمالك وآثارك الحميدة تنم عن معارفك.

والعلم إن لم تكتنفه شمائــــل تعليــه كان مطيــــة الأخـــلاق

ولا مندوحة عن العلم لبــروز الفتاة ورقيها من الوجهة الأدبية ، فــإن إدارة الشؤون المنزلية تستوجب من الفطنة والحنكة ، وســداد الــرأي وحســن التدبير ، والحكمة ما تستوجب الشــؤون العامة –إن مهمة ربــة البيــت فــي عصرنا مهمة خطيرة ، إذا يطلب منها أن تنظم حاجات البيت، وتضبط حســابه وتشمل بغبايتها من فيه فتتعهد وليدها بالتربية والنظافة ، وترعى كيــف تنظــم أوقات عملها وفراغها ، فلا تترك فرصة تمر دون أن تستفيد وتفيــد غيرهــا ، فكيف تجيد ترتيب غرفها وأدواتها ؟ وكيف تحسن تجــهيز الغــذاء لعشــيرتها وأبنائها؟ وكيف تقتصد في مالها وثروتها؟ وكيف تكون مصدر هناءة وســعادة

لأسرتها ولأمتها ووطنها؟ وجب عليها أن تعرف كيف تعاشر زوجها وأولادها وقومها فتكون راعياً عادلاً ، وحافظاً أمينا ، ومرشداً وفياً وبراً رحيماً ومدبراً رشيداً.

نعم ، إن القيام بهذه الواجبات الدقيقة ليس من الأمور السهلة التي تدرك عفواً وبلا عناء – لذا أكرر على مسامع فتاة اليوم ذكر المعارف التي يجب عليها إحرازها والصفات التي يطلب من أم الغد التحلي بها ، وفي الواقع أليست الأم هي التي توطد في البيت أركان الترتيب والنظام الأدبي؟ أليست هي التي تسهر بعين لا تنام على شؤون المنزل وتوزيع العمل وإنجازه في الوقت اللازم وبالشروط المطلوبة فتوفر لذويها الراحة الرفاهية . أليس إليها مرجع تدريب الفتاة على واجباتها في الأسرة – وتدريب الفتى على واجباته في العالم الحي؟

ينفثن في الفتيات من روح الشجاعة والثبات

حيث إذن ، قد ثبت أن الأم هي المصدر الأول الجميع هذه العواطف والميول وهي المدرسة الأولى التي ينمو فيها الطفل جسماً وعقلاً ، خصوصاً وأن النساء نصف شعب مجموعة الأمة ، وهيهات أن ينهض مجموع نصفه أشل وعبثاً يحاول الارتقاء إذا لم يعالج بالعلم شلل ذلك النصف ، لذا وجب علينا أن نربي الفتاة على المبادئ الحميدة ، ونعدها لتصير ربة منزل مكملة الصفات تكون لها اليد الطولى في تشييد أركان الأسرة ورفع عماد الأمة والوطن.

"اللباس الشرعي للمرأة المسلمة
والفائدة المرجوة منه"

شروط الحجـــاب :-

١. استيعاب جميع البدن إلا ما استثنى.

٢. أن لا يكون زينة في نفسه.

٣. أن يكون صفيقاً لا يشف.

٤. أن يكون فضفاضاً غير ضيق.

٥. أن لا يكون مبخراً مطيباً.

٦. أن لا يشبه لباس الرجل.

٧. أن لا يشبه لباس الكافرات.

٨. أن لا يكون لباس شهرة.

المرأة بلا حجاب ، مدينة بلا أسوار:

قال بعضهم: إن المدينة يا ابنتي تبقى محصنة أمينة ، ما دامت الأسوار تمنعها بأعمدة متينة فإذا هوت جدرانها نفذ العدو إلى المدينة.

يقول الشيخ محمد متولي الشعراوي (١١٦) : على الفتاة التي تزعم أن الدين يحجر عليها في لباسها ، في زينتها ، في حياتها ، أن تعلم جيداً أنه كيف أراد الدين أن يؤمن شيخوختها في الهرم ، وعند سن اليأس؟ إذاً ، أول صدمة تقع في كيان المرأة عند سن اليأس عندما تنقطع عنها الدورة الشهرية ، وفي

هذه الأوقات الحرجة ، لما تذوي نضارة المرأة ، ويخبو جمالها ، نراها محتاجة إلى عطف زوجها وحنانه وبرّه ، وهي ضعيفة مسكينة كثيرة التفكير في المصير المؤلم من ناحية أخرى لأنها لم تعد تُشْبِعُ غرائز الزوج.

فعلى الفتاة أن تعلم أن الإسلام إنما أراد أن يؤمن هذه الشيخوخة الذابلة المنهكة ، وأن يدفع إليها البشر والتفاؤل والأمان.

فعلى هذه الفتاة أن تعلم أنها لن تظل جميلة طول عمرها ولا فاتنة ساحرة مدى حياتها ، فإذا ما ذبلت تلك الزهرة بتقدم العمر، وانمحت نضارتها ، واعتصرت محاسنها ، ولم تعد تصلح لإثارة غرائز الزوج ، وهي ليست في مستوى الإهاجة ، ونزل إلى الشارع فرأى فتاة في خير عمرها ، وفي كامل زينتها ورونقها ، جرت شهوته إلى غمار المقارنة بين ما ينظر في الشارع وما يراه في البيت وبين هذا وذلك تتكالب عليه الهموم والحسرات ، ولا نعتقد أن هذه المقارنة ستسر أي امرأة، فنظرة الرجل في الشارع إلى حسنٍ ظاهر سافر مبتذل تبدد رصيد الحب بينه وبين زوجته ، ولو لم ير في الشارع لم التهبت مشاعره ، ولا تنبَّهت غرائزه ، من هنا تنحل الأسرة الزوجية ، وتتفكك المودة العائلية.

فاعلمي أيتها الفتاة ، أن الذي منعك من أجلك ، والذي منع ليحافظ عليك وبمقدار ما أغوت المرأة رجالاً بمقدار ما زهد فيها رجال ، وبمقدار ما رغب فيها أناس بمقدار ما رغب عنها أكثر منهم ، وبمقدار ما استمالت من نفوس فإن الله يذل آخرتها في الدنيا ، بأن ينصرف الكل عنها انصرافاً مزرياً محتقراً ، والذي كان يتمنى أن يحظى بنظره واحدة لو رآها لبصق عليها.

إن النساء عندما يتحجبن جميعاً فإنه لن يغرى الأزواج بغير نسائهم ،

لأنهم لن يروا مفاتن غيرهن ، مما يكفل السعادة الزوجية المنشودة للجميع ، كما أن اختلاط الرجال بالنساء أثناء الزيارات البيتية وغير ذلك ، يدفع الرجل في سره إلى أن يقارن بين زوجته وغيرها من الحسن ، وطريقة الحديث ، والحركات والتصرفات ، ولما كانت النساء في مثل هذه المجالس يبدين أفضل ما لديهن من طرق ، ويتصنعن الرقة المتناهية واللطف ، فإن فتنة الأزواج بهن تشتد حتى ولو لم يُظهروا لزوجاتهم ذلك ، فيكون المصاب بالاختلاط أعظم ضرراً ، وأبعد أثراً ، وأطول تأثيراً من مجرد النظر في الشارع ، ولهذا وجب على النساء الاحتجاب عند الخروج ، وعدم الاختلاط أثناء الزيارات ، والرحلات وغير ذلك ، بل يكون للنساء مجالسهن وللرجال مجالسهن وهذا من صالح الطرفين.

"ارتداء الملابس القصيرة وأخطاره"

قال الله تعالى : ﴿ يا أيُّها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾

يأمر الله نبيه الكريم – صلوات الله وسلامه عليه– أن يأمر نساءه وبناته ونساء المؤمنين عامة إذا خرجن لحاجتهن أن يغطين أجسامهن ورؤوسهن وجيوبهن– وهي فتحة الصدر من الثوب– بجلباب كاس فيميز من هذا الذي يجعلهن في مأمن من معابثة الفساق أو ممن في قلوبهم مرض فلا يتعرضون لهن بأذى أو ريبة.

الزي الإسلامي للمرأة ومزاياه:–

والزي الإسلامي للمرأة هو أن تلبس ما يستر جسدها جميعه بملابس واسعة غير ضيقة ولا شفافة حتى لا تظهر ثنيات الجسم وتفاصيله مع السماح لها بكشف الوجه واليدين حتى الرسغين.

ولا يخفي ما يبلغه مجتمع من العفة والطهارة إذا خرجت فيه النساء لقضاء حاجتهن حيث سمح لهن رسول الله ﷺحين قال لعائشة رضي الله عنها : "أنَّه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن على أن يكن محتشمات الملبس".

ولقد عرف كثير من المصلحين والباحثين فساد كثير من شباب العصر إلى تعمد المرأة الخروج كاشفة أجزاء من عورتها ظلت تزيد وتزيد فلم يبق إلا القليل المستور من جسدها ، وانبرى هدامون عديدون يفسرون ظاهرة كشف المرأة لعورتها وربطوها بنفسية المرأة وحبها للظهور والتبرج وعرض أجزاء

من جسدها ثم استمتاعها بما يقع على سمعها من كلمات الغزل والإطـراء مـن العابثين والفاسقين ... ووجدت المرأة من يقوم على تشجيعها بعدم ستر عورتـها بجهاز ضخم منظم يشتمل على مصممين للأزياء الحديثـة ، ودور الملبوسـات الخليعة ومجلات ومسابقات وعروض (وفانيز) وكلها تخضع لتمويل وإشـراف اليهود طبقاً لما ورد في بروتوكولاتهم من إفساد العبـاد وملء أوقاتهم بالفـارغ من القول وجذب انتباههم بالتافة من العمل باسم التطـور والرقـي والمدينـة و(آخر خطوط الموضة) ليظلوا بعيدين عن أمورهم الهامة ومشاكلهم الملحـة ، فضلاً عن امتصاص الأموال الطائلة .

والغريب أن تكاليف الثياب القصيرة أغلى بكثير من تكـاليف الثيـاب المحتشمة البسيطة... ولكن قـال تعالى :﴿ إن الذين كفروا ينفقـون أموالـهم ليصدوا عن سبيل الله ، فسينفقونها ، ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبـون والذيـن كفروا إلى جهنّم يحشرون﴾.

وصدق الله العظيم ...ثم تكون عليهم حسرة.

فبالإضافة إلى مجتمع يسيطر عليه الفساد والانحلال حين تتخلى المـرأة عن ثياب العفة والنظافة، وما يخسره هذا المجتمع نتيجة سلوك نسائه ثم شـبابه بالإضافة إلى ذلك فإن الإحصائيات الحالية تشير إلى انتشار مرض السـرطان الخبيث في الأجزاء العارية من أجساد الفتيات اللائي يلبسن الملابس القصيرة.

وقبل أن أذكر تفاصيل ذلك أود أن أقدم له بأن الله جلت قدرتـه خلقنـا وهو أعلم بخلقه وأمرنا باتباع أمور تجلب لنا النفع ونهانا عن أشياء تجر علينـا الخراب و العذاب ، وفوق نفعها أو ضررها لنا فهي اختبار لمـدى طاعتنـا لله سبحانه وتعالى ... قد لا يبدو لنا من الوهلة الأولى مدى النفع أو الضرر مـن

أمر إلهي ولكن المؤمن الحق يؤمن به ويتبعه دون جدل أو نقاش ، وبمرور السنين أو الدهور تتجلى الحكمة الإلهية فيما أمرنا باتباعه أو اجتنابه ، ذلك هو الإيمان بالغيب.

قال تعالى :﴿ الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون﴾ وقال تعالى﴿ ليعلم الله من يخافه بالغيب﴾، فالمعروف أن العقل يعتمد على الحواس التي هي محدودة مقيدة وما لا تدركه الحواس لا يدركه العقل . وليس معنى ذلك أن نلغي نعمة العقل والتفكير فلم نؤمر بذلك بل على النقيض أمرنا بالتدبير والتفكير واستعمال عقلنا في غير ما شطط أو ضلال ، ونلزم العقل الأصول والقواعد خشية التردي في الهاوية (كما يحدث الآن للحضارات الأجنبية في أوروبا وأمريكا وآسيا).

(ومع ذلك كله تجد فينا من لا يصيخون السمع إلى صوت الدين ، وهم يلحدون في آيات الله فيميلون بها عن وجهها حيناً ، ويجادلون فيها أشد الجدال حيناً آخر، ولكنهم يخضعون لهذه المزاعم الداعرة ويرونها فوق النقاش والمراد. هؤلاء قوم لا تقوم عندهم الحجة بالقرآن ، ولكنها تقوم بهذه الظنون والأوهام فإذا عارضتهم بالثابت من قول الله سبحانه وتعالى -وهم يزعمون أنهم مسلمون- لووا رؤوسهم وقالوا : نحدثك في العلم فتحدثنا في الدين ، كأن هذه الأوهام اثبت عندهم من القرآن ، وعلى كل فسنحدثهم بالعلم لعل فيه عبرة لهم وهداية ، فلقد نشر في المجلة الطبية البريطانية أن السرطان الخبيث (الميلانوما الخبيثة) Malignant Melanoma-- والذي كان من أندر أنواع السرطان أصبح الآن في تزايد وأن عدد الإصابات في الفتيات في مقتبل العمر يتضاعف حالياً ، حيث يصبن في أرجلهن وأن السبب الرئيسي لشيوع هذا

السرطان الخبيث هو انتشار الأزياء القصيرة التي تعرض جسد النساء لأشعة الشمس فترات طويلة على مدار سنة ، ولا تفيد الجوارب الشفافة أو (النايلون) في الوقاية منه ، وناشدت المجلة أطباء الأوبئة أن يشاركوا في جمع المعلومات عن هذا المرض وكأنه يقترب من كونه وباء..

قال تعالى:﴿وإذ قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم﴾

ولقد حل العذاب الأليم – أو جزء منه – في صورة السرطان الخبيث بل أخبث أنواع السرطان ، وهذا المرض ينتج من تعرض الجسم لأشعة الشمس وأشعة فوق البنفسجية فترات طويلة وهو ما توفره الملابس القصيرة في الحياة العادية أو أزياء البحر على الشاطئ ويصيب كافة الأجناس بنسب متفاوتة، ويظهر ألا كبقعة صغيرة سوداء، وقد تكون متناهية الصغر غالباً في القدم أو الساق (وأحياناً بالعين) ثم يبدأ بالانتشار في كل مكان واتجاه ، بينما هو يزيد وينمو في مكان ظهوره الأول ، فيهاجم العقد الليمفاوية بأعلى الفخذ ويغزو الدم ويستقر في الكبد ويدمرها ، وقد يستقر في كافة الأعضاء ومنها العظام والأحشاء بما فيها الكليتان ، ولربما يعقب غزو الكليتين البول الأسود نتيجة تهتك الكلى بالسرطان الخبيث الغازي... وقد ينتقل للجنين في بطن الأم.

ولنا أن نتصور حالة إنسان مصاب بكل هذا يتمنى الموت فيه خلاصاً من الآلام والدمار.

ولا يمهل هذا المرض صاحبه طويلاً ولا يمثل العلاج بالجراحة فرصة للنجاة كباقي أنواع السرطان الخبيث.

علماً بأن هذا السرطان الخبيث لا يستجيب إطلاقاً للعلاج بجلسات الأشعة.

وبعد ، فعلى الرغم من أن التدخين يسبب سرطان الرئـــة ، وســـرطان المثانة ، وأمراض القلب والتهاب الشـــعيبات الهوائيـــة المزمـــن إلا أن نســـبة المدخنين ثابتة بل لربما في تزايد وأقصى ما فعلته الجهات الصحية في أوروبـــا أن أجبرت شركات الدخان أن تكتب عبارة (التدخين قد يضر بالصحة!) وذلـــك على كل علبة من الدخان.

وعلى الرغم من أن أمراض الخمر كثيرة جداً وقاتلة فأقصى ما فعلتـــه الجهات الصحية المسؤولة في بعض البلدان أن حذرت الناشئة من تعاطيها.

وعلى الرغم من أن أمراض الزنا (الأمراض السرية) أبـــادت ملاييـــن الناس رجالاً ونساءً عبر السنين إلا أن الزنا منتشر.

وعليه فلا نتوقع أن يبدأ المسؤولون في نصح الفتيـــات بعـــدم ارتـــداء الملابس القصيرة إلا بعد أ، تسقط الضحايا منهن بالآلاف .... ضحايا الاستغلال والمصالح الخاصة والكسب الحرام على حساب أرواح البشر.

فإلى فتياتنا ولمن يشجعن على التخلي عن الزي الإسلامي محاكاة وتقليدا قد تبين لنا أن التقليد ضار بل يؤدي إلى الهلاك في الدنيا وفـــي الآخـــرة ... فسواء مـــن الناحية المادية فالأثمان باهظة ومرتفعـــة ، وأمـــا مـــن الناحيـــة الاجتماعية تفكك وميوعة وضلال.

أما من الناحية الصحية فالعذاب البدني والموت المحقق ولعذاب الآخـــرة أشد وأبقى.

قال تعالى :﴿ تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجـــري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد

حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾.

وعلى فتياتنا المسلمات أن يفوتن الفرصة على دعاة الفساد وأن يتمسكن بتعاليم دينهن الحنيف فذلك يكسبن رضاء الله ويسلمن دنيا وينجين آخرة.

"هوس الموضة وصرعات العصر"

من صرعات هذا العصر : التشبه بالرجال والتشبه بالنساء.

وقد لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال.

وقال عليه الصلاة والسلام :"ليس منا من تشبه بالرجال من النساء ، ولا من تشبه من النساء بالرجال".

ولعن رسول الله ﷺ الرجل يلبس لبس المرأة ، والمـــرأة تلبـــس لبـــس الرجل.

ولعل مـــن أهم أسباب هذا النهي والتحذير الشديد ما للثياب والأوضـــاع من أثر خطير في النفس ينتقل إلى السلوك ، فإذا تشبهت المرأة بالرجل مـــالت إلى أعماله وتطبعت بطبيعته ففقدت أنوثتها.

وكذلك الحال عند الرجل ، وفي ذلك -كما لا يخفى- تبديـــل للفطـــرة ، وخراب أي خراب.

هذا ومن أهم ما تنبغي الإشارة إليه بمناسبة خطر التشبه ، أن في جســم الإنسان غدداً تفرز هرمونات الأنوثة وهرمونات الذكورة ، وتزيـــد هرمونـــات الأنوثة على هرمونات الذكورة وبالعكس تبعاً للسلوك والتشبه ، فـــإذا تشـــبهت المرأة بالـــرجل سواء في الألبسة أو الحركات و العادات والميول زادت هـــذه الغدد من إفراز هرمونات الذكور وأخذت طباعها تشبه طبائع الرجل ، وكذلـــك الحال عند الرجل.

ومعنى هذا أن تغيير سلوك المرأة يؤثر في إفراز هذه الهرمونات ، فإذا سلكت مسلك الرجل وتشبهت بالرجال في لباسها وحركاتها وأعمالها زادت هرمونات الذكورة على هرمونات الأنوثة ، وأصبحت المرأة تشبه الرجل ، وفي ذلك قلب للمفاهيم ومسخ للفطرة ، وإضاعة لأعظم طبائعها ، فتغدو كالرجل ، فلا ترضي نفسها ولا ترضى رجلها.

ملابس النساء

لا حرج على السيدة أن تلبس الحرير وغيره ، كما لا حرج عليها في أن تلبس الثياب بأي لون كانت ، ولا حرج عليها في أن تتحلى بالذهب والفضة ، سواء كان ذلك سواراً أو خاتماً أو ساعة ، وكل الذي ينبغي هو أن تكون ثيابها غير مظهرة لبدنها ، ولا ممثلة لجسدها فمتى كانت الثياب ساترة غير ممثلة للبدن ، جازت . أما إذا كانت غير ساترة للبدن أو كانت ممثلة له تمثيلاً يجلب النظر ، فإنها تكون غير جائزة.

أما الرجال : فقد حظرت الشريعة الإسلامية عليهم لبس الحرير في غير ضرورة ، كما حظرت عليهم التحلي بالذهب والفضة. أما ألوان الثياب فالخطب فيها يسير ، وإن كره بعض الأئمة لبس بعض الألوان ، وأجازت لهم التختم بالفضة لا بالذهب ، لنهيه ﷺ عن خاتم الذهب ، وكذلك خاتم الحديد والصفر والنحاس مكروه للنساء والرجال ، ويجوز للرجال التمتع بالأحجار الكريمة ، كاللؤلؤ والياقوت ، على شريطة ألا يتحلى بها كتحلي النساء ، وعلى الجملة فإن للرجل أن يتمتع في لباسه بكل ما لم تحظره الشريعة ، وبشرط أن يكون ذلك في حشمة ووقار لائقين بالرجال وخاصة بزي الرجال والله أعلم.

أما هوس الموضة والموديل :

فلا ريب أن هذا الانحراف الذي أصاب المجتمع الإسلامي في مجال الزينة واللباس كان بعيد الأثر في إضعاف الأسرة ، وإصابتها بالوهن ، لأنه زلزل كثيراً من الضوابط التي تحمي وجودها وكيانها ، ولا ريب أن وراء مؤامرة الأزياء والزينة قوى كبرى تعتمد على السيطرة الاقتصادية وهدم المجتمعات وتقليد الغانيات ، هذه القوى التي تملك بيوت الأزياء وتخترع كل يوم زياً جديداً تلبسه أجمل الفاتنات ، من شأن هذه المؤامرة أن تفسد حياة الأسرة وتزلزل ميزانية البيت وقد فرضت نفوذها على موارد المجتمعات فكان لها خطرها الشديد ، وآية الخطر في هذه الزينة واللباس انتقلت من المنفعة والضرورة إلى الزخرف والهوى ، وأن عملية الكشف والعرى قد حلت بديلاً من الستر والتغطية تحت تأثير رغبات الظهور، وعبادة الجمال والأجساد ، وقد جرى كل هذا تحت تأثير فلسفة العرى التي أشاعتها التلمودية واليهودية لإغواء الفتيات والرجال على الكشف والعرى والإباحة ، ومن ثم كان إغفال الحشمة وبروز الأزياء والأخلاق ، وذلك وهم خطير فإن للملابس علاقات بالشخصية والخلق وهي علاقة جذرية أساسية لا سبيل إلى إنكارها ، فإن الملابس هي التي تعطي الشخصية طابعها ، وملابس البيت في الإسلام غير ملابس الشارع ، وملابس الرجال غير ملابس النساء ، ولابد من وضوح الفوارق بينهما ، وملابس الشجاعة تعطي الشجاعة ، وملابس الخنوثة تعطي الرخاوة ، وملابس الممثلين والجوكي تفقد الإنسان طابع الإيمان برجولته ووقاره.

ولقد كانت قصة "الموضة" خدعة كبرى تكشفت لكل من حاول الاتصال بها.

يقول صلاح حمدي (الجمهورية ١٢-٢-١٩٦٩) إنه ذهب إلى باريس

ليدرس خطوط (الموضة) وعاد منها بعد ستة شهور ليقول بأعلى صوته ليس هناك في بلاد الموضة ما يسمى موضة.

لقد خدعونا باسم الموضة وضحكوا علينا لترويج بضاعتهم ولكنهم أبداً لا يستعملونها في بلادهم والدليل أني لم أجد في باريس ولا في أوربا كلها فتاةً ، أو سيدة تلبس (الميني جب) أو (الميكروجب) أو تلبس الفساتين الضيقة التي يستجير منها الجسد ، لم أر هناك أثراً لما يغرق الأسواق على شكل بضائع مستورة.

وتعلمت أن الموضة قبل كل شيء كما يؤكدها مصممو الأزياء هي كل ما يتلاءم من ملابس وتسريحات مع ظروف كل بلد الاجتماعية والمناخية وأيضاً مع تقاليدها وتاريخها.

وقال : إن المرأة المصرية مع الأسف خيالية أكثر من اللازم وليست لها شخصية فهي تجري وراء الموضة بدون وعي، فهي تلبس (الثوب) رغم قصر قامتها وسمنة ساقيها ، وتلبس الميني رغم بروز والمنحنيات الطبيعية في جسمها لقد تركت حضارتنا الأصيلة لتجري وراء كل ما يرد من الخارج سواء في اختيارها للألوان التي تلائم بشرتها أو نوع النموذج المناسب لقوامها أو لنوع القماش الموجود في السوق.

والسبب أن المرأة حين تختار موديلاً معيناً تنسى نقطتين هامتين :-

الأولى:أن الصورة في أي كتالوج يلعب بها خداع التصوير دوراً كبيراً.

الثانية : أن الموديل له نسب معينة لا تتفق مع مقاييس المرأة المصرية.

وهكذا نجد أن المرأة المسلمة مخدوعة أشد الخداع إزاء ذلك.

وأذاع الدكتور هوي دير هولت بياناً قال فيه: إن ملابس النساء الحديثة لها علاقة كبرى بانتشار مرض السل الرئوي ، وحجته في ذلك أن البنات اللواتي تختلف أعمارهن بين خمس عشرة سنة وخمس وعشرين سنة ، ولعهن ولعاً شديداً بانتشاح الملابس الضيقة دون أن يدركن أن ضيق الملابس يضعف القوة الجسدية ويعرقل الدورة الدموية ، حتى تصير الفتاة في مثل هذه الحال معرضة لذلك الداء الوبيل، وختم بيانه بقوله : أنه يجب على البنات أن يعدلن عن لبس الملابس الضيعة حتى ينشأن قويات البني سليمات من الأمراض ، ويكن متى تزوجن صالحات لإنتاج ذرية قوية البنية ، لأن العقل السليم في الجسم السليم (مجلة المصور سنة ١٩٢٧، عدد١٥٣).

وذكر الدكتور J.Hericourt : إن ألبسة النساء في هذا العصر حالة استرعت أنظار رجال الصحة والمحافظين عليها ، فهي ألبسة للزينة والتبرج أكثر منها للصحة ، وأصبحت خاضعة لما يطرأ عليها من تجدد وتبدل غير محدودين كتعرية الصدر والمشد الذي يسبب أخطاراً صحية عظيمة الشأن.

وخلاصة القول أن هذا التجمل وتطوره كان غايته لفت نظر الرجل إلى المرأة الذي يلعب ذلك دوراً مهماً في تحريض الشهوة التناسلية عند الرجال فينغمسون فيها متخبطين في تلك التهيجات والتحريضات التي سببها البصر والنظر إليها.

إن المرأة أكثر تجملاً بكثير من الرجل ، ويتكيف التجمل باختلاف المكان والزمان ، خلافاً للجمال الطبيعي ، فتكفيه كلفة قليلة جداً أما الجمال الصناعي فيتكيف كل يوم بسرعة زائدة وغريبة ، وتكون الغاية القصوى على الغالب منه تحريض الحب.

قال الباحث الألماني فون فالتير برونير : إن موضة هذه الأيام غيرت نظر الرجال إلى النساء وجعلتهم يُعرضون عن كل امرأة جاوزت سن الأربعين مهما بالغت في التبرج والتضمخ بالطيوب ، وارتداء أفخر الملابس ، وأصبح الرجال لا يهيمون إلاّ بالفتيات من سن الرابعة عشرة إلى العشرين ، وهذا يخالف ما كان عليه الحال في الأزمنة الماضية ، حيث كان الرجال يحبون النساء وهن في أول العقد الرابع من سني حياتهن ، حيث يجلسن على عرش الجمال ، ويتمكن في القلوب ويقتلن العاشقين بسهام لحظاتهن الحادة ، وقد أورد الكاتب تأييداً لكلامه أسماء عدة نساء اشتهرت في تاريخ الغرام والوجد والهيام ، وبرهن على أنه ولا واحدة منهن تقيدت بقيود مودة هذه الأيام ، بل كان لجمالها الطبيعي الجذاب الفضل في امتلاك قلوب الرجال.

ويقول المثل المغربي :

إن المرأة الفتانة الجميلة لا عمر لها وإن السنين لا تؤثر في الجمال الخلاب .

ويقول الكاتب المذكور : إن نساء هذا العصر من سن ١٥ إلى ٥٠ متشابهات متماثلات في الثياب المأخوذة من المنسوجات الرفيعة ذات الألوان البراقة اللامعة.

وقالت ديانا كوبر : لاستعمال الثلج الصناعي وتدليك البشرة به تأثير في الاحتفاظ بالجمال.

وقالت بولا نغري الممثلة الأمريكية: من أهم شروط الجمال أن تنهض الفتاة من سريرها حالما تستيقظ من نومها.[1]

---

(١) انظر كتابنا "المنكير والبديكير"ص٢٥.

"تدهور أخلاق المـــرأة "

لقد أرجع الباحثون تدهور أخلاق المرأة إلى أسباب تتعلـــق بشـــخصها وأخلاقها ونشأتها وتكوينها ، وإن كان لطبيعة المرأة أثر في أخلاقهـــا وذلـك بقدر الأثر الذي لطبيعة الرجل في أخلاقه ، والإنسان حسبما تعود وحسبما نشأ ، فمن شب كريماً شاب كريما ، ومن ربي على اللؤم صار لئيماً.

السبب الحقيقي لتدهور أخلاق المرأة هو تبلد طبع الرجل ، الرجل هـــو المسؤول الأول والمسؤول الأخير عما تشهده من مهازل اجتماعيـــة خطيـــرة كادت تؤدي بكياننا ، وتقضي إلى ضياع قوميتنا وآدابنا كأمة شرقية مسلمة لـــها عاداتها الموروثة وأخلاقها الكريمة.

لقد جعل الله للرجل القوامة على المرأة ، حيث قال جل شأنه:﴿ الرجـال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالـــهم﴾ (النساء : ٣٤) ولقد كان الرجل فيما مضى يحسن القوامة على المرأة فـــيرعى حقها ويدبر أمرها ، ويحفظ شرفها ، ويصون عرضها ، ويحمي عفافها ، ويدفع عنها كل سوء وشر ، ويجلبها إلى كل خير ونعمة ، ويعمل على إسعادها فـــي الدنيا والآخرة محققا قوله ﷺ :"أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقـــاً وخيـــاركم خياركم لنسائهم"[1].

كان الرجل في بيته كالوالي العادل ولاه الله أمر أهله ، فـــهو يعاملــهم بالحزم والحسنة لا تخفي عليه خافية في سلوك ولده أو ابنته التـــي لا تعـرف

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤٥٠/٢ و ٤٧٢ و ٥٢٧ والدارمي ، ٣٢٣/٢ وأبــو داود (٤٦٨٢) ، وابن أبي الدنيا في "العيال" (٦٥٨) والبزار ٢٧/١.

الطريق إلا حين تخرج معه ، ولا تختلط بأجنبي منها ، ولا تجرؤ على التحدث مع الجار القريب ولا مع النازل البعيد.

هكذا كان سلوك الرجل فكان مصداقاً لقول رسول الله ﷺ :"كلكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته"[1] في هذا الوقت كان الشرف محفوظاً والعرض مصوناً والأخلاق مقاماً صرحها.

ولكن هكذا سنة الزمان ، تمضي الأجيال تعقبها الأجيال ، وتدول دول وقوم أخرى قال تعالى:﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾. (الرحمن : ٢٧) تقضي ذلك الماضي بناسه ، وأسرع في المضي بأهله وأظلنا بعدة زمن أظلم فيه ليل الفتن ، وانطمست معالم السنين ، وهجر الناس الدين، وطغى سيل المدينة الحديثة على ما بقى من أخلاق المسلمين فانحدرت بهم في مهاوي الشهوات ، واركستهم في جحيم الضلالات ، وتطاير منها شرر الفساد ، فنجم بين الناس الإلحاد ، وذهبت منهم النخوة ، فانحازوا عن مسالك الشرف والعزة ، وأصبحوا صرعى على مذابع الهوان والذلة ، وفترت في الرجل حدة الطبع ، وخمدت نار الحمية فترى في مهاوي الفسق والفجور، وهان عليه أمر نفسه وأهله ، وهكذا فسد الراعي ففسدت الرعية.

ما كنا نرى فيما مضى رجلاً ذهبت منه الغيرة الشرقية ، والمحت فيه النخوة العربية يصطحب زوجته وأخته وابنته إلى المصطاف حيث يخلع الجميع لباس الحياء ويلبسون لباس الخزي والعار ، فتتجرد المرأة مما يستر فخذيها وصدرها وظهرها، في تلك المباءة مباءة التهتك الفاضح فيترك الرجل محارمه وذوات قرابته من النساء لاهيات لاعبات نائتات مفتونات ، وينصرف إلى حيث

---

(١) سبق تخريجه.

امرأة أجنبية منه يرميها ببذيء الكلام ويطارحها ساقط القول مما لا يخرج عن معنى الهيام والغرام ، تاركاً عرضه ملكاً مشاعاً للجميع ، ونهباً مقسما في يد كل غوي فاجر ، فهل رأيتم أقبح أو أشنع من هذا لا ورب العزة إنها لإباحية قذرة ، وبهيمة ساقطة.

ماذا تصنع الفتاة إذا وجدت في أخيها الفتى شاباً خنثاً خلع جلباب الحياة والرجولة ، وتحلى بلباس الأنوثة فلم يعنى إلا بتحليق وجه وترجيح حاجبيه وتلميع شعره وتنسيق ملابسه وتضيقها بحيث تلتصق بالجسم وتصف التقاطيع ، ثم هو بعد ذلك يخرج من المنزل في الصباح ليأوي إليه في ساعة متأخرة من الليل ، وقد عاد ورائحة الخمر تنبعث من جوفه وعربدته تقلق الأهل والجيران ثم ما ذنبها وقد رأت في أبيها رجلاً ضعيفاً يؤم البيت لينام، هل يرجى لفتاة هذه أسرتها أي إصلاح؟ لا لابد أن تهوي إلى الحضيض ، ولابد أن تفقد أعز ما تملك من شرف وعفاف بعد أن تجد من الحرية المطلقة مشجعاً على الفساد وتجد فيها فسحة لتعانق الشبان وتراقص الرجال.

جرثومة الفساد تبدأ عملها في الصيف ، حيث الحرية على الشواطئ ، وحيث الحرية خارج القطر في أوروبا وغير أوروبا ، في خارج القطر تجد الفتاة أنشأها جو الخلاعة خلقاً آخر فيه إغراء ، وفيه فتنة وفيه مسايرة لنزوة الشباب ، في هذا الجو من الإباحية المجرمة و الحرية القاتلة التي ليس عليها فيها أي رقيب فيشبع أمامها مجال الاستهتار ، وتضعف أمام القوى التي تجذبها من كل ناحية ، فتزل قدمها وتهوي إلى حيث تراقص الإفرنج في المراقص وتحاصرهم في المنازل ، غير آبهة بقتل كرامتها وكرامة أمتها التي ابتليت بها وبمثيلاتها ، ثم تعود إلى بلادها فتنفث فيها سموم ما عرفته من تلك المخازي

المهلكة والتقليد الضار لأنها -ويا للأسف- من بنات الأسر الكبيرة ، وبنات الأسرة الكبيرة أمثلة تحتذي عند بنات الأسر الصغيرة وهكذا ينتشر الوباء المهلك وباء المدينة الكاذبة ، المتبجحة ، المجرمة ، الفاجرة.

أما على الشواطئ ، فهناك الخطر الداهم المحدق بكيان المجتمع يحرضهم تتلاطم أمواجه فيه الرجال وفيه النساء ، وفيه الشبان وفيه الفتيات ، وفيه الصبية الصغار من أولاد وبنات ، تحتك هذه بذاك وتصطدم هاتيك الفتاة بهذا الفتى ، وما هي إلا اعتذار من هنا وقبول الاعتذار من هناك، حتى يبدأ الابتسام ، يتلوه الكلام، وهكذا يتم التعارف في أقل من لمح البصر ... على هذا المنوال ينقضي الصيف فتنزل فيه كثرات ثم يعود القوم إلى مدنهم، فتستأنف العلاقة من جديد في الملاهي والحدائق العامة ، وفي طرقات الضواحي، فإن تمت العلاقة بالزواج كان زوجاً فاسداً لا أساس له ولا استقرار فيه، وإن انقطعت العلاقة جددتها مع شاب جديد، وهكذا تنتقل الفتاة من أحضان هذا إلى أحضان ذاك حتى ينتهي بها الأمر حتماً إلى ضياع شرفها ، فيسدل الستار على فضيحة من تلك التي نسمع عنها كل يوم في الصحف وفي المجلات.

وهناك مرض جديد يسمى (المودرنزم) واسميه أنا (التعصر) و(مجاراة الزمن) طغى هذا المرض على أخلاق النساء كما طغى على أخلاق الرجال ، فالمرأة تتهتك والرجل يسايرها بل هناك ضلال من الرجال ينثر على الناس آراءه ، ونرجوه سبحانه ، أن يبيد من بيننا خضراءه ، ويعمل جاهداً على هدم الأخلاق ومحو التقاليد وإفشاء الرذيلة بين الناس بالكتابة المبتذلة في المجلات الماجنة التي تنشر القصص المثيرة والصور العارية ، وتستحسن أفعال المتهتكات وتصف الراقصات بأنهن آنسات مهذبات، هذه المجلات الماجنة ،

تنخر في جسم الأمة نخر السوس في الجلد السليم فإن لم تبطش بـــها الحكومـــة ويعرض عنها الجمهور ، استفحل أمرها وزاد خطرها فمن ضحاياها ضعـــاف النفوس.

تقليد جديد في الزواج ، عندما تبلغ الفتاة سن الزواج تصبح شغل أبويـها الشاغل ، فالأب لا يعرف شيئاً عن البنت ، والأم تترك لفتاتـــها الحبـل علـــى الغارب تحادث من تشاء ، وهي من جانبها لا تفتأ تحدث الناس عن جمال ابنتها وأخلاقها حتى يمل الناس هذا الحديث ، وتحس الفتاة في أبويها تلـــك الرغبـــة الملحة في تزويجها وتراهما يتركان لها حرية في الخروج مـــع الشـــبان إلـــى الخلوات وغشيات دور اللهو معهم بمجرد أن يعدها هؤلاء بالزواج، وهكذا يظل الشاب بصحبة الفتاة إلا الوعد الشفوي فكثير ما يملها لأنه عرف عنها أشياء قـد لا ترتاح إليه نفسه ، كما أنه يرى في طيشها واندفاعها وحصوله عليها بكلمة ما يجعله يشك في صلاحيتها لأن تكون زوجة مسؤولة عن بيتها وأولادها ، فـــلا تلبث نفسه أن تعافها ولا يخسر في هذا إلا الفتاة وأهلها . أما ذو الوعد الكـــاذب فقد أغرته سهولة الحصول على الفتاة فزودها بالوعود الكاذبة لقضاء حاجة فـــي نفسه ، وهكذا تكون الضحية في الحالتين هي الفتاة الساذجة ، والمســؤول هـــو الأب أولاً والأم ثانياً.

علاج هذه الحالة أن يكون الرجال رجالاً وأن يرجعوا في معاملاتهم مع النساء إلى الأسس التي وضعها الدين الحنيف فيمنع اختلاط المرأة بالرجل منعـــا باتاً حفظاً للفضيلة وصانة للأخلاق الكريمة قال رسول الله ﷺ :"لا تسافر لمرأة مسيرة يومين ليس معها زوجها أو ذو رحم محرم"[١].

(١) أخرجه البخاري ٢٥/٣ و ٥٦ و أحمد ٧١/٣.

كما قال ﷺ :"لا يخلو رجل وامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان"[١].

من هذه الأحاديث الشريفة ومن التجربة القاسية التي تمر بها بعض المجتمعات في هذه الأيام ترون أن الاختلاط أصبح ضرره بليغاً.

والواجب على كل عاقل في هذه الأمة أن يحاربه حتى تستأصل شأفته ، ولا بد أن يأتي اليوم قريباً ، يمنع فيه اختلاط الجنسين منعاً باتاً.

فلا نرى في بعض الجامعات للأسف إلا مكاناً لإفساد الأخلاق ولا نجد من بين الطلاب إلا وقف جهده على التعرف إلى هذه ، وكيفية التحدث إلى تلك، فيقضي العام لتحقيق هذه الغاية ويرسب الطالب المسكين فيملأ الدنيا ضجيجاً محتجاً بصعوبة الامتحان ، ويعلم الله أن لا صعوبة هناك، لئن كان بعض الفتيات يقفن حجر عثرة في سبيل نجاح شباب الأمة وجنود الوطن ، لقد وجب على أولي الأمر في الجامعة أن ينتزعوا بالشجاعة ، ويقضوا على هذه البدعة الضارة.

إن أوروبا اليوم تئن من الرذيلة فيبذل رجال الحكم فيها قصارى جهدهم للقضاء عليها . ففي ألمانيا حرم الهر هتلر أن تزين النساء وجوههن بالأصباغ في الشوارع والمحلات العامة ، كما أوجد من الشرطة رجالاً كل مهمتهم أن يصحبوا النساء إلى منازلهن عندما يمسي المساء كما أنه حتم على الرجال الزواج وشجعهم بكل الطرق وفرض العقوبات الصارمة على من ترى من النساء متهتكة أو خارجة عن حدود الحياء والحشمة ، ولهذا تجد ألمانيا قد نهضت في فترة وجيزة من الزمن ، وأصبحت قوة لها أثرها في أوروبا ، وقد

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٢٢٢/١ ، والترمذي (١٧١١) و (٢١٦٥) والبيهقي في "السنن" ٩١/٧ والحاكم ١١٤/١.

فعل موسوليني مثل فعل هتلر لأن الأخلاق عماد الأمم وما فشت الرذيلة في أمة إلا استكان أهلها وفسد حالها وبدلها الله بعد عزها ذلاً قال تعالى :﴿وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القـــول فدمرناهـــا تدمـــيراً﴾ (الإسراء : ١٦).

وأحب أن أختم حديثي بتوجيه الكلمة الأخـــيرة إلـــى أنصـــار الرذيلـــة وأصحاب المبادئ العادمة الذين يحبذون الآداب المكشوفة ويجاهرون بمذهـــب اللذة للذة ، وغير هذه العقائد الفاسدة التي توقعهم فيها رعونة الشباب وميوعـــة الصبايا ، والأدب الصحيح هو ما ينم عن شعور سام ويترجم عن عاطفة نبيلـــة ويخدم أغراضاً تعود على المجتمع بالسمو والرفعة ، فإن خدم الأدب غير تلـــك الأغراض فلا يسمى أدباً ، إنما يسمى تبذلاً ويجب هنا أن أشير إلى أن أصحاب المبادئ الهادمة لا يعتنقونها في البداية حتى يتوبوا منها توبة نصوحاً في النهاية لأنها مبادئ تؤذي شباب الأمة وتسوقهم إلى الهاوية فتنهتك أجسادهم وتقضـــي على أموالهم وتضعف فيهم قوة الإنتاج العقلية والجسدية وبالجمعة فإنها تذهـــب الشباب وتسرع بصاحبها إلى الهرم والشيخوخة .

وما علينا لإصلاح ذلك الخطأ وردع هذا الفساد ، إلا أن نرجع بالنـــاس إلى تقاليدها القومية وتعاليمها الدينية ، وأن نعيد للفتاة المسلمة سيرتها الأولـــى ونعني بتربيتها على آداب الدين. ونحول بينها وبين ذلك التقليد الغربي المشـــين، وأن يحتم على الرجل أن يحقق في نفسه معنى الرجولة فلا يخضع بالقول أمـــام المرأة في موضع يتطلب الحزم والشدة ؟ كما لا يقسو عليها حيث يطلب الليـــن والمرؤة حتى لا ييئسها من عدله ورحمته بذلك يمكن أن نســـتعيد مجـــد أمتنـــا ونسترد عزها وسلطانها(١).

---

(١) "مجلة الإسلام" السنة الخامسة ، العدد ١٩ سنة ١٩٣٦، ص٤٥.

"خلاعة النســـاء تقودنا إلى الهاوية"

لست أعجب لشيء من شئون حياتنا عجبي لهذا الداّء الدوي الذي غشـي كل دار ، وغزا كل أسرة ، وسرى في بيئتنا العربية سريان النار في الهشـــيم ، ووقف إزاءه المصلحون حيارى مشدوهين لا يدرون ماذا يصنعون ؟ وأعني بــه تلك الخلاعة الفاضحة ، وذلك التبرج المشين الذي هتك الحِجال عن المصونـات وأبرز من الخُدور المخبئات ، وسوّى بين الحرة والأمة ، وأقامت النســـاء فـي الشوارع والميادين سوقاً حافلة تنتهك فيها الحرمات جهاراً ، وتباع الأعـــراض بين السّماح ، إنك أصبحت لا ترى إلا بما يُقذي العين، ويصـــدع الفـؤاد مـن مظاهر للسّفور والاستهتار، لا تبرأ منها الطفلة اللاعبة، والفتاة الفاتنة، والمـرأة النَّسف، والعظور الشمطاء ، كأن ذلك مما أوجبته الشرائع السماوية ، وفرضتـه القوانين الوضيعة ، وأكده العرف العام حتى يعد الخروج عليه معرّة تندى لـــها الجباه ، وتنكس الرؤوس ، لقد دالت دولة الثياب الســـابغة الســاترة لأطــراف السيدات ، واختفى على أثرها اللثام الكثيف ، وحل محلة نقاب كثـــوب الريـــاء يشف عما تحته ، فإلا يكن هو السفور بعينه فهو أشد منه فتنه ، ولم تقف النساء عند هذا الحد ، فقد نزع السواد الأعظم منهن الخمار ، وخلعن العذار ، وبـرزن للناس شبه عاريات أما التأطر في المشي ، والتخلّع في الحركـــات ، وغشـيات الملاهي والمراقص ، والاختلاط بالرجال ، فشيء يطول وصفــــه ويسـتفيض حديثه ، فيالك فتنة سافرة ، كصاحبتها تهدد بالشر المستطير ، وتنـــذر بـالويل والثبور .

لقد فسدت المشاعر ، وماتت الضمائر ، وسقمت العقول ، فأصبح الفتى

وقد كان حريا أن يتحدث بنعمة الله عليه : ﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ يفاخر بالفسوق ويجاهر بالعصيان ، ويعد من التمدين أن يصاب بالزهري والسيلان هذا بعض ما تعانيه الفضيلة في هذه الأيام القاتمة التي غاض خيرها وفاض شرها فسمي الخليع ظريفاً والماجن لطيفاً والفاتك متمديناً والتقي الورع متأخراً والناسك العفيف بليداً جامداً والعالم وضيعاً خاملاً فلا حول ولا قوة إلا بالله ، ولقد كان لذلك أثره السيئ في شئون الأمة عامة : ففشت الأمراض السرية ، وانحطت الأخلاق وضعفت النخوة والحمية وأضرب الشبان عن الزواج لتيسر قضاء الإربة وعدم الثقة بطهر الفتيات ، وبذا أصبحت الأمة مهددة بضياع الثروة وذبول الصحة وانحلال الأسرة وتصدع المجتمع وما بقاء أمة أصيبت في كل عناصر حياتها؟

وما تأثير التبرج في شئونها الاقتصادية فحدث عنه ولا حرج : فلقد حدا بالنساء إلى الإكثار من الأزياء ، والتفنن فيها إلى حد مدهش ، واستُنزفت تبعاً لذلك الأموال العربية لتعمر بها الجيوب الأجنبية ، ورأينا في كل يوم بل كل لحظة نموذجاً جديداً "موضة" تتحفنا به باريس، وهكذا انصرف النساء عن القيام بتربية الأولاد ، وتدبير المنازل إلى الخلاعة ومقتضياتها ، والهيام على وجوههن في كل واد ، وإرهاقهن للأزواج بما لا طائل تحته ، تلك حال شاذة تجب على الأمة إزالتها بم تملك من حول وطول، لأنها مخالفة للشرع والعقل والذوق ، وفي بقائها ضياع الأموال والأنفس والثمرات : أن الشرع فلأنه يحرّم على المرأة أن تبدي زينتها لغير من ذكرهم الله سبحانه في كتابه ، الحكمة في ذلك جلية واضحة ، وقد وصى تعالى نساء نبيّه وهن في الذروة العليا من الطهارة والصون بقوله عز من قائل : ﴿ وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى ﴾ (الأحزاب : ٣٣)

وقال تعالى:﴿ يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ (الأحزاب : ٥٩)

وقال ﷺ : "صنفان من أهل النار لم أرهما بعد : قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات ، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا"[١].

وأما العقل فلأن العقول في أدنى الدرجات ، وأحط الدركات تستقبح أن تصير المرأة وهي في حوزة رجل خاص يضن بها الضن كله ويحرص عليها حرص الجبان على مهجته ، متاعاً مُشاعاً ونَهباً مقسماً بين النواظر والأبصار ، فحسن أن تتزين المرأة لزوجها في خلوتها وجلوتها بما تشاء ، وتتحلى بما تريد ولكنه قبيح ومُستبشع أن تهجر خدرها لتقيم من نفسها معرضاً متنقلاً يشهده العامة والخاصة ، ومن الغريب أنها في بيتها قد تكون غير آبهة للزينة ولا حافلة بالتجمل ، بل قد تكون مثالاً لقذارة البدن والثياب ، حتى إذا همّت بالخروج لم تدع شيئاً من ألوان الأصباغ ، ولا ضرباً من ضروب التطرية والتصنع إلا أفرغته عليها.

وأما الذوق فلأن رُكِّز في الطباع الكريمة والأذواق السليمة أن المرأة مكان الصيانة والحرز والمنعة ، وعلى هذا درج الشعراء قديماً وحديثاً في وصفها : فشبهوها بالدر المصون ، واللؤلؤ المكنون ، وقالوا : بيضة الخدر ، وربة الصون ، وذكروا تمنعها بالحراس والرقباء والأسنة والقنا ، واحتجابها حتى عن النسيم والشمس والقمر ، فتبذل النساء إلى درجة يزحمن الرجال فيها

---

(١) سبق تخريجه.

بالمناكب ، ويأخذن الطريق على الغادي والرائح من غير ضـــرورة إلا شـــهوة التبرج والسفور ، مما يمجه الذوق ويأباه الطبع وتنفر منه الفضيلة ، وقد خسرت المرأة بذلك أضعاف ما تظنه ربحته ، فقد مضى عهد كان فيه أصلـــب النـــاس وجها وأخشنهم طبعاً يرى المرأة فيعف طرفه إكراماً للأنوثة الطـــاهرة وينعقـــد لسانه أن ينطق بكلمة فحش أو بذاء ، حياء منها ومهابة بها ، فأصبحت النســـاء الآن هدفاً للألفاظ الجارحة تسيل بها ألسنة السفلة والأوغاد (والجزاء من جنـــس العمل) وأمسى الرجل بعد أن كان يجل الأنثى فيفسح لـــها الطريـــق إذا مـــرّت ويُخلي لها مكانه إذا حلّت ، لا يعني بشأنها ، ولا يحفل بأمرها.

والحق أن هذا الأمر قد أهم أرباب الشرف والكرامـــــة ، لأنــــه نذيـــر الإباحة وطليعة الفوضى الخلقية التي تأتي على ما ورثناه من دين قيـــم وخلـــق كريم وعادات شرقية حميدة ، وإذا كان هذا نصيباً مـــن مفاسد المدنية الغربيـــة في تلك السنين القليلة التي تم فيها الاختلاط فما الظـــــن إذا توالـــت عليـــــنا الأحقاب والأجيال؟

على أننا لا نقلـــد الأجانب إلا في المساوئ والمثالب ، فأمـــا حســـناتهم فنحن عنها معرضون ثم لنسأل أنفسنا في عجب ودهشة أليـــس لتلـــك الدمـــى الإنسانية السادرة في غيِّها مكفولة من أب أو أخ أو زوج أو قريـــب ألا يحـــدث الرجل نفسه بما يراه في الطرقات من مخاز يريد لها وجه الفضيلة فيحفزه ذلـــك إلى أن يحمي حريمه ويمنع حماه؟ ألا يجد فيما يشاهده صباح مساء وما يســـمع به من أسرار وأنباء مقنعاً يجعله يمسك بعرضه أن يزج به في هـــذا المعـــترك الضنك والمأزق المتلاحم؟ ولا يطوفن بعقل القارئ الكريم أننا نريد للمــــرأة أن تقبع في بيتها كالسجين المصفّد ، فلا تشم الهواء ولا ترى الخضرة والماء ، ولا

تتمتع بما أبدعته يد القدرة والصناعة مما يُقر العين ويبهج الفؤاد ، فالمرأة مخلوق محترم بل هي نصف الإنسان وربة المنزل وأم الولد ووزير الرجل ولها حقوق على الزوج لو نالتها لعاشت في عز سابغ وسعادة وارفة الظلال ، فلتخرج المرأة للزيارة والتنزه والاستراضة، ولكن ليكن معها حارس ذو محرم منها ، يدرأ عنها النظرات الحادة والكلمات الساقطة والمغازلات السمجة ويحميها من هجمات اللصوص لصوص الجمال لا الجِمال وسرّاق الأعراض لا العُروض وقُنّاص الخُود لا النقود أولئك الذين يقعدون على كل مرصد ليختل الصيد واقتناص الفريسة ، فلا تكاد تخلو منهم بقعة حتى أماكن العبادة ومزارات الأولياء فتباً لهم وسُحقاً.

ومن نكد الأيام أن نشأت في هذا الجيل نابتة هم زمانة الأمة وداؤها العُقام ، نبذوا فضائل الشرف وجهلوا آداب الغرب ، أخذوا يدعون جهرة إلى الإباحة ويبذرون بذرها الخبيث مظهرين المرأة بمظهر من فقد حريته وسُلب إرادته ، وما بهم شهد الله حب المرأة والعطف عليها ، ولكنهم يبغون وراء ذلك ما يطفي شهوتهم الثائرة ويشبع ذكورتهم الجائعة ، ولو كان في ذلك خراب البلاد وشقاء العباد ، ولا تعدم منهم فيلسوفاً سوفسطائياً يحاجّك بأن سفور المرأة واختلاط الجنسين يقتل الشهوة ويزرع العفة (وحب الشيء إلى الإنسان ما منع) وما درى أن هذا لا يطبق في كل الأحوال فكما أن رؤية الطعام الشهي والشراب العذب تُثير الرغبة فيهما ، فكذلك النظر إلى وجوه الغير يبعث على الفتنة ويحث على الصبابة ، شتان بين امرأة متحجبة لا يبدو منها ما يدل على حسن وجمال ، وبين أخرى سافرة عن محيا صبيح ووجه مقسم ، فأين يذهب بكم أيها الناس.

ذهاب المرأة إلى الكوافيـــــر

جاء الإسلام يحارب نزعة التقشف المتزمتة التي عرفـت بـها بعـض الأديان والنحل ، ودعا إلى التزين والتجمل في توازن واعتدال ، منكـراً علـى الذين يحرمون زينة الله التي أباحها لعباده . لهذه جعل أخذ الزينة من مقدمـات الصلاة :﴿ خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ (الأعراف : ٣١).

وإذا كان الإسلام شرع التجمل للرجال والنساء جميعاً فإنه قـد راعـى فطرة المرأة وأنوثتها فأباح لها من الزينة ما حرم على الرجل من لبس الحريـر والتحلي بالذهب.

ولكن الإسلام حرم بعض أشكال الزينة التي فيها خروج على الفطـرة ، وتغيير لخلق الله الذي هو من وسائل الشيطان في إغوائه للناس: ﴿ ولأمرنـهم فليغيرن خلق الله﴾ (النساء : ١١٩).

أما ذهاب المرأة إلى رجل أجنبي ليزينها ، فهو حرام قطعاً ، لأنَّ غـير الزوج والمحرم لا يجوز له أن يمس امرأة مسلمة ولا يرى مـن جسـدها ولا يجوز لها أن تمكنه من ذلك.

وفي الحديث الشريف:"لأن يطعن في رأس أحدكم بمخيط من حديد خـير له من أن يمس امرأة لا تحل له"[1]

وكثيراً ما يحدث أن تبقى المرأة وحدها في محل "الكوافـير" فـترتكب حراماً آخر ، وهو الخلوة بأجنبي.

---

(١) أنظر : "مجمع الزوائد" ٣٢٦/٤ ، و"الصحيحة" (٢٢٦).

وما أدى إلى هذا كله إلا الشرود عن نهج الفطرة والاستقامة والاعتدال الذي هو منهج الإسلام وحسب المسلمة الحريصة على دينها وإرضاء ربها أن تتجمل في بيتها بما أبيح لها ، وأن يكون همها التزين لزوجها لا للشارع ، كما هو بدع المدنية الوافدة التي تحركها اليهودية العالمية[1].

يقول الشهيد سيد قطب عند قوله تعالى: ﴿ والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلاً عظيماً ﴾ (النساء :٢٧).

وتكشف الآية الواحدة القصيرة عن حقيقة ما يريده الله للناس بمنهجية وطريقته ، وحقيقة ما يريد بهم الذين يتبعون الشهوات ، ويحيدون عن منهج الله –وكل من يحيد عن منهج الله إنما يتبع الشهوات– فليس هنالك إلا منهج واحد هو الجد والاستقامة الالتزام ، وكل ما عداه إن هو إلا هوى يتبع، وشهوة تطاع وانحراف وفسوق وضلال :

فماذا يريد الله بالناس ، حين يبين لهم منهجة ، ويشرع لهن سننه؟ إنه يريد أن يتوب عليهم ، يريد أن يهديهم ، يريد أن يجنبهم المزالق ، يريد أن يعينهم على التسامي في المرتقى الصاعد إلى القمة السامقة.

وماذا يريد الذين يتبعون الشهوات ، ويزينون للناس منابع ومذاهب لم يأذن بها الله ، ولم يشرعها لعباده؟ إنهم يريدون لهم أن يميلوا ميلاً عظيماً عن المنهج الراشد ، والمرتقى الصاعد والطريق المستقيم.

وفي هذا الميدان الخاص الذي تواجهه الآيات السابقة : ميدان تنظيم الأسرة ، وتطهير المجتمع ، وتحديد الصورة النظيفة الوحيدة ، التي يحب الله أن يلتقي عليها الرجال والنساء ، وتحريم ما عداها من الصور ، وتبشيعها وتقبيحها

---

(١) انظر : "فتاوي معاصرة" للشيخ القرضاوي ص١٢.

في القلوب والعيون... في هذا الميدان الخاص ما الذي يريده الله وما الذي يريده الذين يتبعون الشهوات؟

فأما ما يريده الله فقد بينته الآيات السابقة في السورة...

وأما ما يريده الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الغرائز من كل عقال : ديني ، أو أخلاقي ، أو اجتماعي ... يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كابح ، من أي لون كان ، السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب ، ولا يسكن معه عصب ، ولا يطمئن معه بيت ، ولا يسلم معه عرض ولا تقوم معه أسرة يريدون أن يعود الآدميون قطعاناً من البهائم ، ينزوي فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحيلة أو مطلق الوسيلة، كل هذا الدمار ، وكل هذا الفساد ، وكل هذا الشر باسم الحرية ، وهي في هذا الوضع ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة!

وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه ، وهو يحذرهم ما يريده لهم الذين يتبعون الشهوات ، وقد كانوا يبذلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المجال الأخلاقي، الذي تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف ، وهو ذاته ما تريده اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي الذي لا عاصم منه ، إلا منهج الله ، حين تقره العصبة المؤمنة في الأرض إن شاء الله.(١)

أما ذهاب العروس للكوافير ، فهو من منكرات العرس في زماننا هذا وقد شاع وصار في عرف الكثير معروفاً وليس منكراً، فترى العروس تذهب

---

(١) "في ظلال القرآن" ٢/٦٣١.

إلى الكوافيـــر فيقوم بتسريح شعرها، وتصفيفه رجل أجنبي غالباً وهــــو أمـــر حرام.

ولو فرضنا أن العامل في الكوافير امرأة فإن الحرمة تأتيها لأنه تشـــبه بالنساء الكافرات ولأنّ المقصود به التبرج وإظهار المفاتن والجمـــال وجمـــال التسريحة أمام الجميع وفيهم الرجال الأجانب عنها ، الذين لا يجوز لهم رؤيـــة شعرها فضلاً عن أن يكون بطريقة فيها إغراء وإثارة للشهوة.

يقول أستاذنا الفاضل الأب والأخ والصديق الحاج حسن عاشور أطـــال الله في عمره:

لم تعرف بلاد الشـــرق الإسلامي شيئاً اسمه "الكوافير" أو "المونوكـــير" أو "البديكير" أو "حلاق النساء" تلك العادة القبيحة الوافدة من مجتمعـــات الفســق وبلاد الفجور، ومواطن "أندية العراة".

هذه التقليعة الماجنة لم تكن مألوفة في بلادنا قبل هذه الغزوة التغريبيـــة الشرسة التي أفسدت مجتمعنا المسلم ، وخدشت حياء بناتنا ونسائنا في خدورهن.

إن الرجل الذي يسمح لابنته المراهقة أو غير المراهقة أن تُسلّم نفســـها لعامل "السيشوار" داخل مكان مغلق.. وهو شاب في مثل سنها أو أكثر أو أقـــل ليداعب خدها ، لا تلبث أن تتحول إلى نكتة خارجة ، أو دعابة فاجرة.. إن هـذا الرجل الذي يفعل ذلك رجل فقــد أهليته للأبوة والتوجيه والتربية حين رضـــي بأن يدفع بابنته إلى مكان مغلــق تحرسه من الداخل مجموعـــة مــن الذئـــاب البشرية.

ولماذا لا يتجرأ عامل الكوافير على مثل هذه التصرفات وقد جـــاء الأب بابنته إلى هذا المكان.

لماذا لا يتجرأ عامل الكوافير على مثل هذه التصرفات وقد صحب الزوج زوجته في سيارته حتى عتبات الكوافير ثم يتركها دون أن يقترب من باب المحل حين يصطدم بلافتة تقول :"ممنوع دخول الرجال" نعم ممنوع دخول الرجال .. وكأن المحل من الداخل قد خلا من الرجال.. إنً هذا الزوج الذي يصحب زوجته حتى باب الكوافير حتى يسلمها لقمة سائغة في أفواه الرجال هو زوج لا يؤتمن على عرضه ، فإن من البديهيات أن هذا الزوج يعلم تماماً أن صاحب الكوافير وعامل السيشوار لن يكتفي من زوجته بأن يربت على خدها ، أو يعبث بشعرها ... ولكنه سيتجاوز إلى ما هو أخطر من ذلك بعد أن فتحت له الأبواب على مصاريعها في ظل رضا الأب أو الزوج مما تعظم معه المصيبة، ويشتد به الخطب ، وتستباح به الحرمات ، وتنتهك به الأعراض!!!

العروس لا يمسها الزوج المسكين قبل الكوافير:

من صفات فسقه بعض النسوة وأفعالهن الشيطانية المزرية ، أننا نجد إحداهن إلى جانب ما تفعله من تبرج وابتذال ، قد تذهب إلى الكوافير – وهو رجل يقوم بتزيين المرأة ووجهها- فتراه يلمس شعرها ، ويتحسس وجهها ، ويديره بين يديه فبماذا يمكن أن نميزها عن أي امرأة بغير تتقلب في أيدي الرجال ، وتبيع جسدها بالمال؟ بل إن هذه ويا للأسف تدفع المال للرجل كي يتحسسها ... فوا إسلاماه.

وإن هناك بعض الفتيات ممن لم يلمسهن رجل من قبل ، تأتي إحداهن في ليلة الزفاف ، فيأبى عليها جهلها إلا أن تذهب للكوافير ليتحسسها قبل أن يلمسها الزوج التعيس الذي فقد مروءته ورجولته وغيرته ، فيذهب إليها ليتسلمها من عنده ، وهو يشعر بالسعادة والفخر ، بينما لو فكر في الأمر برهة ، أو استشعرت نفسه شيئاً من الشرف والرجولة والعفة والإباء، لأبى أن يقترن بتلك

التي سمحت لنفسها بتقليد المومسات الرخيصات،ولفضل أن يظل أعزب مدى حياته إن لم يجد امرأة شريفة صالحة لا تتصرف بمثل هذا التصرف المشين!

كما أنَّ بعضهن يتجاوزن ذلك الأمر المخزي إلى ما هو أشد منه، فيذهبن إلى أماكن متخصصة لتخسيس النساء، حيث يكشفن عن أجزاء حساسة من أجسادهن، ليقوم رجال متخصصون بإزالة الشحوم الزائدة من تلك الأماكن بالتدليك، أو باستعمال وسائل أخرى آلية، بالإضافة إلى إزالة الشعر من الجسم بواسطة الكهرباء.

إن تلك المعاصي فاقت معصية التبرج نفسها ، وإن القلم ليعجز عن جمع ما تستحقه هؤلاء النسوة المذكورات من صفات!!

ولأترك لأي شريف من الشرفاء تصور ما ينبغي أن أعبر عنه من كلام بشأنهن ويكفي أن هذا اللمس يعتبر من قبيل الزنى ، فقد وقعت أيدي هؤلاء الرجال المذكورين على أول باب من أبواب الزنى بأجساد هؤلاء النسوة بمجود لمسهن، فقد روي الشيخان عن أبي هريرة قال: "كتب على ابن آدم نصيبه من الزنى ، مدرك ذلك لا محالة ، فالعينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع ، واللسان زناه الكلام ، واليد زناها البطش ، والرجل زناها الخطى ، والقلب يهوي ويتمنى ، ويصدق ذلك الفرج ويكذبه"[1].

---

(١) أخرجه مسلم (القدر) ب٥ رقم ٢١، وأحمد ٣١٧/٢ ، والزبيدي في "الإتحاف" ٣٢١/٥ ، والألباني في "إرواد الغليل" ٣٧/٨، والعراقي في "المغنى عن حمل الأسفار" ٩/٣٤ ، والسيوطي في "الدر المنثور" ٣٦/٣ ، وابن كثير ٤٥/٦ وأخرجه أحمد أيضاً بلفظ "كل ابن آدم أصاب من الزنى لا محالة" ٣٤٩/٢ وابن خزيمة (٣٠).

وأخرجه أيضاً بلفظ"كل ابن آدم أصاب له حظه في الزنى" ٥٣٦/٢.

وأخرجه أيضاً بلفظ" زنى العين النظر" ٢٧٦/٢ ، ٣٢٩، ٥٣٦ ومسلم (القدر) ب٥ رقم٢٠ ، والبيهقي في "السنن" ١٨٦/١٠ ، و"المجمع" ٢٥٦/٦، والقضاعي في "مسند الشهاب" (٦٧) والزبيدي في "الإتحاف" ٣٢١/٥ والسيوطي في "الدر المنثور" ٤١/٥ و ١٢٧/٦ ، والفتح ٢٦/١١ و ٥٠٣ ، و "المطالب العالية" (١٥٢٩) ، والألباني في "إرواء الخليل" ٣٧/٨ ، والطبراني في "الكبير" ٩/١٨ وابن سعد ٥٤/٧.

قال النووي[1] : معنى الحديث ، إنّ ابن آدم قدّر عليه نصيب من الزنى فمنهم ما يكون زناه حقيقياً بإدخال الفرج في الفرج الحرام ، ومنهم من يكون زناه مجازاً بالنظر الحرام ، أو الاستماع إلى الزنى وما يتعلق بتحصيله ، أو باللمس باليد بأن يأن يلمس أجنبية بيده أو يقبلها ، أو بالمشي بالرجل إلى الزنى أو النظر أو اللمس أو الحديث الحرام مع أجنبية ، ونحو ذلك ، أو بالفكر بالقلب.

وبذلك كله نرى أن هذه المعصية فاقت التبرج.

وبها تسقط المرأة في براثن الشيطان الخفي ، لتصبح شيطانه ظاهرة للعيون تفوق في فسادها أو إفسادها ما يفعله الشيطان بأتباعه وكأن لسان حالها يردد قول القائل:

وكنت امرأ من جند إبليس فارتقى بي الدهر حتى صار إبليس من جندي

الرجال ينزلون عند أبواب المساجد نساءهم كاسيات عاريات على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف ، والعنوهن فإنهن ملعونات ، لو كانت وراءكم أمة لخدمت نساؤكم نساءهم كما يخدمن نساء الأمم قبلكم"[2].

وأخرج الطبراني عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

"سيكون في آخر أمتي نساء كاسيات عاريات رؤوسهن كأسنمة البخت العنوهن فإنهن ملعونات"[3].

---

(١) انظر : "مسلم بشرح النووي" ٢٠٦/١٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢٢٣/٢ ، و "المجمع" ١٣٧/٥ ، وذكره الذهبي في "الكبائر" ص١٥٦ وقال : حديث صحيح رواه الحاكم وابن حبان ، وانظر :"الفتح الرباني ٣٠١/١٣.

(٣) انظر : "الإشاعة لاشراط الساعة و "حكم الإسلام في الكوافير" ص٨٣.

وزاد في حديث آخر:

"لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها لتوجد من مسيرة كـذا وكذا"[1].

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "صنفان من أهل النار لـم أرهما – وذكر – ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسـهن كأسـنمة البخت المائلة ، لا يدخلن الجنة ، ولا يجدن ريحها ، وإن ريحها ليوجـد مـن مسيرة كذا وكذا".

وإنما جعلن : "كاسيات" لأن الثياب عليهن ، ومع هذا فهـن "عاريـات" لأن ثيابهن لا تؤدي وظيفة الستر لرقتها ، وشفافيتها ، فتصف مـا تحتـها ، كأكثر ملابس النساء في هذا العصر.

"والبخت" : نوع من الإبل ، عظام الأسنمة ، شبه رؤوسهن بها ، لمـا يرفعن من شعورهن على أوساط رؤوسهن وكأنه ﷺ كان ينظر من وراء الغيب إلى هذا الزمان ، الذي أصبح فيه لتصفيف شعور النساء ، وتجميلـها وتنويـع أشكالها محلات خاصة "الكوافير" يشرف عليها غالباً رجال يتقاضون على عملهم أبهظ الأجور، وليس ذلك فحسب، فكثير من النساء لا يكتفين بما وهبن الله مـن شعر طبيعي ، فيلجأن إلى شراء شعر صناعي تصله المرأة بشعرها ، وليبـدو أكثر نعومة ولمعاناً وجمالاً ، ولتكونن هي أكثر جاذبية وإغراء.

والعجب في أمر هذا الحديث أنه ربط بين الاستبداد السياسي والانحـلال الخلقـي ، وهذا ما يصدقه الواقع ، فإن المستبدين يشغلون الشعوب عادة ، بما

---

(١) قال الألباني في "حجاب المرأة المسلمة" ص٥٦: أخرجه الطبراني في "الصغير" ص٢٣٢، بسند صحيح ، وانظر : "الكنز" (٥١٠٥).

يقوى الشهوات ، ويلهي الناس بالمتاع الشخصي عن مراقبة القضايا العامة[1].

النهي عن تقليـــد الأجانب:

قال ﷺ : "من تشبه بقوم فهو منــــهم"[2] إن المتشـــبه بـــالأجنبي يفقــد الشخصية ، ويذهب بكيان الأمة ، وهو دليل على ضعفها ، فإن الضعيف هـــو الذي يقلد القوي ، وتقليد الكفار بالأزياء والعادات والسلوك الحياتي ، يؤدي إلــى تقليدهم في الأفكار والمعتقدات.

قال ﷺ : "لتتبعن سنن من قبلكم ، شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتــى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه ، وحتى لو أن أحدهم جامع امرأته فــي الطريق لفعلتموه"[3].

فأين أكثر المسلمين والمسلمات اليوم من هذا التوجيه العظيم ، إنهم ويــا للأسف يتشبهون بالأجانب في كثير من عاداتهم وملابسهم وزينتهم.

وعلاوة على ما تقدم ، فإن التقليد الأعمى ضياع للثروة القومية ، ودفــع كثير من النساء في النساء في طريق الفسق لتأمين هذه الموضـــات الشـــريرة ، فانتبهوا يا أهل العقول.

---

(١) "الحلال و الحرام" ص٨٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٢/٥٠ و ٩٢ ، وأبو داود (٤٠٣١) وابن أبي شيبة ٥/٣١٣ و ٣٢٢، وابن كثير ٨/٥٣ ، و"المجمع" ١٠/٣٧١ ، و"تاريخ أصبهان" ١/١٢٩.

(٣) أخرجه البخاري ٤/٢٠٦ و ٩/١٢٦ ، ومسلم (العلم) ب٣ رقــم ٦ ، وأحمــد ٢/٣٢٧ و ٤٥٠ و ٥١١ ٣/٨٤ و ٨٩ و الحاكم ١/٣٧ وابن عساكر ٤/٣٨٩ والطبراني فــي "الكبــير" ٦/٢٢٩ ، والآجري في"الشريعة" (١٩) (٢٠) والطبري ١-/١٢٢ ، وابن كثير ٤/١١٤ ،وابن ماجة (٣٩٩٤) وابن وضاح في "البدع" (٥٨و٥٩و٧١و٧٩و٨٥) وغيرهم.

علمنا مما سبق أن الكوافير قد يدخله التحريم، وهو الغالب فيه لأن فيه ما يغضب الله عز وجل ، ويحيد عن أوامر ونواهي الشريعة الإسلامية التي أبرزت كثيراً من الضوابط المهمة المبينة للفساد وسد الذرائع .

لذا فإن المهنة هي في أصلها لا تجوز لهذا العمل ، وخاصة أن صاحب الكوافير معرض لفعل المحرمات في سبيل الأجر الذي يحصل عليه ، وكل ذلك إذا كان صاحب الكوافير امرأة ، أما إذا كان صاحبه والقائم عليه رجلاً فالمصيبة أعظم وأجل من أن نذكر فيه تحريماً من أجل حرمات الكوافير ، لأنَ في هذا مدخل إلى الاختلاط والخلوة والجنس وغير ذلك من طرق الفساد المعروفة في هذه المجالات من العمل.

وقد سبق أن أفتى علماء الإفتاء للبحوث العلمية والإرشاد وعلى رأسهم فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز بحرمة مهنة حلق اللحى لما فيها من التعاون على الإثم لقوله الله تعالى:﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

فلا شك أن الحرمة في مهنة الكوافير أشد لتعاضد عامل الكوافير على مجموعة من المحرمات بدل واحدة ، النمص ، والوصل ، وتحمير الخدود والشفاة ، للكاسيات العاريات وغير ذلك ، فكل ما ذكرت دليل قوي بل قاطع على حرمة فتح هذه المحلات لأنها لا تعمل لغير هذه المحرمات ولا تكسب من غيرها والله المستعان.

وإليك نموذج مما يحصل داخل إحدى صالونات التجميل:

أصدرت جريدة "الرأي" في عددها (٨١٣٦) الأربعاء ٢٣ جمادى الأولى ١٤١٣هـ السنة الثانية والعشرون عمان – الأردن تحت عنوان :

((الشرطة تحتجز نحو ٢٠٠ فتاة في غارات على صالونات التجميل)).

داكا–رويتر احتجزت الشرطة ببنجلادش نحو ٢٠٠ فتاة وعملائهن مـن الرجال في حملة على صالونات التجميل في داكا التي قالت أنها كانت تسـتخدم كمواخير ، وقالت الشرطة أنها قامت بالغارات الاثنين بعد تقارير تفيد بأن العديد من صالونات التجميل في المدينة والتي يصل عددها إلى ٢٠٠ محـل تُعـرض أيضاً المتعة الجنسية على الزبائن ، وقال شرطي احتجزت الشرطة نحـو ٢٠٠ فتاة وعملائهن في يوم واحد ، وهذا يعطي فكرة عن عـدد الأشـخاص الذيـن يرتادون هذه الأماكن كل يوم.

في ذمة الله أيتها الأخلاق الفاضلة

إن الإنسان في حياته الحالية يصادم مشاكل كثيرة التعقيد لم يكن يسمع بكثرتها في الأزمان الغابرة كما هي عليه في الأيام الحاضرة.

لو رجعنا إلى العهد الماضي ودرسناه لوجدناه عهد إيمان ديني واعتقاد بالله والكتب المنزلة بل لوجدناه عهد إخاء وولاء ومحبة وصفاء ، إذ كانت الثروة ومغرياتها لم تسيطر على مشاعر الناس ولا على مخيلتهم وتفكيرهم ، فلقد كان جل هم رب البيت أن يعوله وأن يترك له إن تيسر بعد مماته ما يسر حاجته غير متطلع إلى تكوين ثروة ضخمة في أسرع وقت وأجرأ محاولة ، وكان للحشمة حدود لا تتعداها بين الرجال والنساء ، فالمرأة لا تخرج عن حد اللياقة كما نراها الآن خارجة عن حدود الأدب متخطية حدود الجنسية ضاربة بفروقها عرض الحائط إذ هي تعاقر بنت الحان وتدخن غير هيابة ولا وجلة.

فأين عهدنا اليوم من العهد البائد الدارس عهد الفضيلة والشرف والوفاء والحق يقال : إن الفروق أصبحت أكبر من أن تدخل تحت حصر ففي عصرنا هذا قامت المرأة وثارت ثورتها تطلب المساواة في القانون وفي المهن والصنائع ويا ليتها عند هذا الحد قد وقفت بل أرادت أن تكون مشتركة في الانتخابات العامة والترشيح كي تكون نائبة ولم تعلم أنها من أشد النوائب حين أرادت ذلك متجاوزة حدود الجنسية ودائرة الأخلاق المعروفة بأنها حليتها.

أقول ذلك ولا أدري متى تنتهي هذا الانتهاك للأخلاق الفاضلة.

والواقع أنه لا رجاء ترجوه عندهن ولا أمل تؤمله فيهن ، حيث كثرت خطاياهن وآثامهن ، واجترأن على فعل الموبقات ، وانغمسن في الشهوات

والمستلذات فلا توبة قلبية ، ولا إخلاص نية.

ويا ليت اللواتي قد قطعن مرحلة في العلم قد عملن بما علمن ، بل هن يأتين الفظائع جهاراً فتراهن قد وضعن على خدودهن الأحمر والأبيض ، ولبس الثياب المزركشة، وسرن في الطرقان يغازلن الشبان ، وفي المسارح والملاهي يجلسن لمعاقرة بنت الحان، ولم يعلمن أنه خير لهن أن يمتن من أن يحيين مثل هذه الحياة الممقوتة يتقلبن في نعيم المفاسد مطليات بنار الغرام، مكويات بمياسم الهيام ، ولأن تفيض روحهن في حومة وغى الأخلاق الفاضلة خير لهن من أن يخلدن في ساحة الفجور ، عفوك اللهم ، فهذه أخلاق متعلماتنا التي تخلقن بها فكن مع الرذائل عوناً وضعفاً في صفوف الفضيلة ووهنا – إلا من عصمت–.

فأي غيور على الشرف لا يتملكه الهلع والألم وتيار الفحشاء والمنكر لا يقف عند حدٍ ، فأين الشرف الرفيع ؟ وأين العفاف ؟ لقد أصبحنا كماً مهملاً في زوال النسيان عرضة لنوائب الدهر والحدثان.

واليوم ، وقد حلت الأخلاق الفاضلة حلول موسى في التابوت ، ويونس في جوف الحوت بين الضيق والشدة والوحشة والوحدة ، يجب علينا أن نأخذ بيدها ونقيم من أنقاضها أخلاقاً قويمة وإلا وجب علينا أن نقول : في ذمة الله أيتها الأخلاق الفاضلة.(١)

---

(١) "مجلة الإسلام" السنة الأولى العدد (٥٤) سنة ١٩٣٣ م.

"صفات نساء أهل النـــــار"

عن ابن عباس قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم :

"أريت النار ،فإذا أكثر أهلها النساء يكفرن " قيل: أيكفرن بالله ؟ قـــال: "يكفرن العشير، ويكفرن الإحساس ، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثـم رأت منك شيئا قالت : ما رأيت منك خيراً قط"...(١)

هذا الحديث يجلو لنا كثيراً من الغموض الذي فطرت عليه المرأة حتـى عدها علماء النفس و الاجتماع "لغزاً " لا يمكن حله ويكاد هذا الســر العجيـب الذي ركز في طبيعة المرأة ينحصر في نكرانها للجميل وعدم اعترافها بإحسـان العشير ، بمجرد أن ترى منه أية إساءة، ولا شك أن المرأة خلقت من (ضلـع) والضلع أعوج لا سبيل إلى تقويمه ، فإن حاولت تقويمه كسرته ، وإنها ناقصـة العقل والدين و كل هذا حال دون المرأة والكمال – وجعلته نسبيا فيها بالنسـبة إلى الرجال ، ولذا جعلت القوامة للرجال على النساء لقوله تعالى : ((بما فضـل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)) وحدوث الشريعـة الإسـلامية لكل حدوده، وأوصت الرجال بهن خيراً . قال تعالى :"ولهن مثل الذي عليـهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة " .

ولقد استمرت المرأة في جميع عصـور التـاريخ مهيضـة الجنـاح ، مهضومة الحق ، معدودة من سقط المتاع ، حتى أنقذها الإسلام بدستوره الحكيم من هذا الظلم الصارخ ، لا تخدعك تلك النعرة التي تثيرها الشـعوب اللادينيـة حيث ينـادون بمساواة المرأة بالرجل فإنها نعرة قامت على مزيج الشهـوات

---

(١) أخرجه البخاري ١٤/١ ولم أره لغيره.

والإباحية على انهم هضموها كثيراً من الحقوق التي منحها لها الإسلام .

ومع ما وضحته الشريعة الإسلامية للمرأة من حقوق ومزايا، لا سـبيل إلى إنهاض الإنسانية ،الا بالعمل بها فقد بينت بجانب ذلك جهات الغموض فـي المرأة ، من أنها كثيرة الكيد والخديعة وتحب الدس والحيلة ، وأنها تجحد نعمـة الزوج عليها وتكفر بها وتنساها مع كثرتها لأتفه إساءة تحصل منه لها .

مهما يكن من شيْ فخلاصة معنى الحديث الذي نحـن بسـبيله الآن أن المشروع الأعظم سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، يحـدث أصحابـه ويرشد أمته ، بأن الله تعالى أطلعه على النار فوجد أن اكثر أهلها من النساء.

ثم علل ذلك بقوله (يكفرن) فتساءل الصحابة متعجب من ذكـر الكفـر، ومستفهمين عنه هل هو الكفر بالله – فقالوا يا رسول الله (أيكفرن بالله) فأجابـهم المصطفى صلى الله عليه وسلم بأنهن كفرن دون الكفـر بالله وجحـود لنعمـة الزوج ويجحدن إحسانه إليهن بحيث لو مكث الزوج طيلـة حياته كلـها وهـو يغدق على زوجته من صنوف النعم والبر والخير غير باخل ولا مسـيء ولـو حدث وأن أسأت إليهـا مرة واحدة لقابلت كل هذا الإحسان والرفق بها طـوال هذه الأزمان بالجحود والنكران وقالت في غير خجل ولا حياء ما رأيـت منـك خيراً أبدا كأنها كانت تساء كل هذه المدة وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم ! "لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خـيراً قـط".

ولعل هـذا الإنكار وذلك الجحود راجع إلى ما بيناه آنفا، ففي الحديـث حث شديد للمرأة بـأن تكبح جماح نفسها عن جحود نعمة الـزوج فإنـها مـا استحقت الدخول في النار إلا بسبب ذلك لأن دخول النار لا يكـون إلا بسـبب

اقتران اكبر الذنوب واعظم الجرائم ومخالفة الزوج ونكران نعمته منها ، وفي الحديث "لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها"(١) كناية عن المبالغة في الطاعة والامتثال له حتى تكون حياتها سعيدة موفقة.

وإياك أن تفهم أن هذا الاعوجاج والجحود للنعمة مطرد في جميع النساء وإلا لما دخلت إحداهن الجنة ، كما لا تفهم أن الكمال بمعناه لم يكن إلا للرجال فحسب وإلا لما اصطفى الله من النساء الكاملات واللاتي هن أفضل من كثير من الرجال وأمثال فاطمة بن محمد ، وعائشة زوجة محمد ، ومريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وغيرهن فمن جاء الشرع بتفضيلهن.

نعم الأغلب في صنف الرجال الكمال والنبوغ ، والأغلب من صنف النساء النقص والضعف ، وهذا الكمال وذلك الضعف نسبي فقط ، فلا ينافي أن في النساء الوفيات الطيبات القانتات الطاهرات اللاتي لا يجحدن نعمة ولا يكفرن بعشير وإليك مثالاً من ذلك.

قال الأصمعي دخلت بعض مقابر الأعراب ، ومعي صاحب لي ، فإذا جارية على قبر تبكي ، وعليها من الحلي والحلل ما لم أر مثله فالتفت إلى صاحبي وقلت له: هل رأيت أعجب من هذه؟ قال : لا والله ولا أحسبني أراه، فقلت لها : يا هذه ، أراك حزينة ، وما عليك زي الحزن فأنشدت تقول:

فإن تسألوني فيم؟ حزني فإنني رهينة هذا القبر يا فتيان

وإني لأستحييه والقبر بيننا كما كنت أستحييه حين يراني

---

(١) أخرجه إبن ماجة (١٨٥٢) والحاكم ١٧٢/٤ ، و"المجمع ٣١٠/٤ و ٧/٩ والبغوي في "شرح السنة" ١٥٨/٩ وفي "التفسير" ٥٨/٥ و ٥١٨ وإبن أبي الدنيا في "العيال" (٧٣٢) و(٧٢٨) و (٧٢٩) و (٧٣٠) و (٧٣١).

ثم اندفعت في البكاء وجعلت تقول:

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بـــه بالا ويكثر في الدنيا مواساتـــي

قد زرت قبرك في حلى وفي حلــــل كأنني لست من أهل المصيبـــات

أروت آتيك فيما كنت أعرفـــــــه أن قد تسربه عن بعض هيئاتـــي

فمن رآني رأى عبرى مولهــــــــة عجيبة الزي تبكي بين أمـــوات

وقال الأصمعي أيضاً . دخلت المقابر ، فإذا أنا بامرأة تنوح على زوجها وهي سافرة ، فلما رأتني غطت وجهها ، ثم كشفت وقالت ، تخاطب زوجها.

لا صنت وجها وكنت صائنـــــــة أبداً ووجهك الثرى يبلـــــــى

يا عصمتي في النائبات و يـــــا ركني القوي ويا يدي اليمنـــــى

فأنت ترى إن كلتا المرأتين دانت لعشيرها (زوجها) بالوفـــاء والحـــب والاعتراف بالنعمة حتى بعد موته وانتقاله إلى الدار الآخرة ، فإن الأولى أبـــت أن تلبس حليها لمخلوق في الوجود إلا له ، وتناجيه في اعتراف حميم وإخلاص بليغ بقولها :

وإني لأستحييه والقبر بيننــــــــا كما كنت أستحييه حين يرانـــي

يا صاحب القبر يا من كان ينعم بـــه بالا ويكثر في الدنيا مواساتـــي

والثانية تصون زوجها عن غيره وهي تبكيه ، ثم يخطر ببالها أنـــه لا يصاب الآية – فتسفر عنه مبالغة في الاعتراف له بالجميل والنبل والوفاء ، فإذا كان هذا الحديث يحذر المرأة من دخول النار بسبب نكران نعمة الزوج ويرشـد

الأمة إلى ما في المرأة من غموض ونقص خلقي ، لأن أغلب النساء فيهن هــذه الخصلة المنكرة الذميمة ، فبأزاء هذا الحديث أحاديث أخرى استثنت الصالحـات القانتات الحافظات لغيبة أزواجهن حتى لا تؤخذه تلك القاعدة على إطلاقها.

ونعماً هي الشريعة الإسلامية ، كشفت أسرار الوجود ، ومظاهر الحيـاة في وضوح وجلاء ، مرغبة ومرهبة حتى يستقيم الكل فـــي صـــراط العزيـز الحميد، الله الذي له ما في السموات والأرض.

وها هي الشعوب التي أباحت للمرأة الخروج على طبيعتـــها ، أحسـت بالهزيمة تهدد كيانها ، وعادت تفكر من جديد في دستور حكيم يكفل للإنســـانية السعادة والهناء ، ولن يجدوه إلا في قانون السماء ، ودين الحق والنـــور(ديــن الإسلام) فطــرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيـــم ولكن أكثر الناس لا يعلمون[1].

---

(١) "مجلة الإسلام" السنة الثانية العدد ١٤ سنة ١٩٣٣م.

أكثر أهل النار النساء والسّـر في ذلك

عن عمران بن حصين رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : (أطلعـت في الجنة ، فرأيت أكثر أهلها الفقراء ، وأطلعت في النار فرأيت أكـــثر أهلــها النساء)[1].

كشف الله لنبينا ﷺ عن الجنة والنار في ليلة الإسراء والمعراج،عندمـــا رأى من آيات آية الكبرى ، ورأى حقائق الأشياء على ما هي عليه واطلع فـــي الجنة فرأى اكثر منازلها الفقراء ، واطلع في النار فرأى أكثر أهلــها النســاء ، ومما ينبغي أن يعلم في هذا المقام أن الله تعالى قد أعطى لنبينـــا صلــوات الله وسلامة عليه ليلة الإسراء علوماً ثلاثة علم اختصـــه بـــه فـــلا يعلمـــه إلا الله ورسوله، وعلم أمره بتبليغه للكافة ، وعلم خيرة بين تبليغـــه وكتمانـــه ، فكـــان يختص به من أصحابه من يرى عنده استعداد لإدراك سره، والعمل به، والنفـــع به، فليس الاستعداد عن كل الناس لفهم كل علم، وفق كل ذي علم عليم ولأجـــل أن نتفهم معنى هذا الحديث الشريف ينبغي لنا أن نفهم معنى الفقر، الذي يـــورث صاحبه الجنة ، ومن هم الفقراء الحقيقيون الذي يشير إليهم النبي ﷺ في هـــذا الحديث بأنهم الأغلبية من أهل الجنة ، ثم نفهم السر في أن أكـــثر أهـــل النـــار وأغلبية منازلها السفلى النساء ، ومن هن النساء ؟ وقد فسروا الفقر، بأنـــه قلـــة المال ، أو عدمة بالكلية وقالوا إن الفقراء ، جمع فقير "وهو من لا مال لـــه ولا

---

(1) أخرجه البخاري ١٤٢/٤ و ١١٩/٨ و ١٤١ ، ومسلم (الذكر) ٩٤ ، والـــترمذي (٦٠٢) و(٢٦٠٣) وأحمـــد ٢٣٤/١ و ٣٥٩ و ١٧٣/٢ و ٢٩٧ و ٤٢٩/٤ و "المجمـــع" ٢٦١/١٠ والبخاري في "التاريخ الكبـــير" ١٨١/٤ ، والآجـــري فـــي "الشـــريعة (٣٩٠) و (٣٩١) ، والطبراني في"الكبير" ١٦٢/١٢ و ١٦٣ و ١٣٤/١٨ . والنسائي في "عشرة النساء" (٣٧٩).

كسب له ، أوله ملك وكسب ، ولكن لا يكفيه ، وهذا تفسير بحسب الظاهر، ولكن الراسخين في العلم ، فسروا الفقر بأنه العبودية الخالصة لله.

والتحرر من الذل الإله سبحانه وتعالى ، وفسروا الفقير، بأنه الذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء، فهو دائماً وأبداً، ملاحظ أن ما بيده مهما كثر واسع ملك الله تعالى، وأنه عنده أمانة ووديعة يتصرف فيه تصرف الأمين أو الوكيل حسبما أمره المودع أو الموكل ، فلا ينسى نصيبه من الدنيا ولا ينسى حق السائل والمحروم والإنفاق في سبيل الله ، وبذلك يضمن بقاء النعمة ودوامها وزيادتها قال تعالى ﴿ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم﴾ (إبراهيم : ٧).

والفقير، أن لا يملكه شيء ولا تستعبده شيء بل هو عبد خالص لله في كل حال: يشعر بالعجز والفقر في جميع أحواله ومن هنا كان الناس كلهم فقراء ولا يوصف بالغني إلا الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغني الحميد﴾ (فاطر : ١٥).

فكل الناس فقراء ، وإن تفاوتت أرزاقهن ومعايشهم في الحياة الدنيا وكلما تخلص العبد من شهواته ومطامعه وحرصه على الدنيا ومتاعها الفانية، واشتغل قلبه بالله عن حطام الدنيا فهو الفقير الذي رفع الله قدره ومنزلته في الجنة حتى لقد ورد أنه يدخل الجنة ويتخذ مقعده في صفوف المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً ، قبل أن يدخلها الأغنياء وبخمسمائة عام ، وعلى هذا ، فالفقر الحقيقي هو الشعور بالحاجة إلى رحمة الله في كل حال والرضا عن الله تعالى في كل حال . وعد استغلال القلب بالدنيا وأن ملكها بحذافيرها . فقلب الفقير مشغول بالخالق عن خلقه ، وبالملك عن الملك ، وبالمعطي عن العطايا وبالمنعم عن النعم ، وحاله دائماً أنه

في فقر إلى الله وإلى رحمة الله ، وإمداد الله ورضوانه، ومن هنا يسمى السادة الصوفية بالفقراء وإن كانوا ملوك الدنيا والدين، لأن حالهم الدائم هو استشعار الفقر والذل إلى الله والتحرر من كل الكائنات والركون إليها، وانصرافهم الدائم إلى الله ، يرجون رحمته ،ويخافون عذابه ويدعونه خوفاً وطمعاً ،أما هؤلاء الذي يبطرهن الغني وينسيهم المغنى ، فيعرضون عن ذكره وشكره ، فإن لهم معيشة ضنكا في الدنيا ويحشرون يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً ، مأواهم جهنم كلما خبث زدناهم سعيراً ، ومثلهم كمثل الذي يأكل ولا يشبع وقد استعبدتهم الدنيا ، وأذلهم المال ، وأطغاهم حتى جعلوا إلههم هواهم وبعضهم استبد به البخل والشح والحرص على جمع الدنيا ، حتى خسروا الدنيا والآخرة ودخلوا في عموم قوله تعالى: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقوها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم ، يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم،وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون﴾ (التوبة : ٣٤).

ويرى أن رجلاً من العارفين بالله تعالى ، خطر بباله عدة أسئلة منها ، ما حقيقة التوحيد؟ وما حقيقة الفقر؟ وأخذ يسأل أهل العلم الموجودين في زمانه، فلم يجبه أحد بجواب يطمئن إليه قلبه ، فاشتغل فكره ، واهتم بالأمر اهتماماً شديداً ، حتى رأى النبي ﷺ في المنام فقال يا رسول الله لقد سألت أهل العلم المعاصرين لي عن حقيقة التوحيد ، وحقيقة الفقر فلم أظفر منهم بجواب يقنعني ويطمئن له قلبي ، فقال له النبي ﷺ أما حقيقة التوحيد فكل ما خطر ببالك فهو هالك والله بخلاف ذلك وأما حقيقة الفقر فهي لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء ومعناه كما قدمناه لك أن تلاحظ بيدك ملك الله لا لك ، ولكنه وديعة عندك تتصرف فيه تصرف الأمين ولك الأجرة ، ولا يملكك شيء أي لا تكن

عبداً لشيء بل عن كله عبد الله تعالى في كل حال، وحدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه يوماً فقال: (إن الفقراء من أمتي سيدخلون الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم) [1]ثم قال تعالى عز شأنه ﴿ وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾. (الحج : ٤٧). يعني أن الفقراء من الأمة المحمدية ، سيدخلون الجنة قبل أغنيائها ، بخمسمائة عام ، فقام رجل من المجلس وقال أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (لك ثوبان إن غسلت إحداهما لبست الآخر؟ قال: نعم . قال: أجلس لست منهم ، ثم قام رجل آخر وقال: أنا منهم يا رسول الله؟ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أعندك غذاؤك وعشاؤك قال نعم. قال: اجلس لست منهم فقام رجل ثالث وقال: أنا منهم يا رسول الله ؟ قال: ألك بيت تأوي إليه؟ قال نعم : قال اجلس لست منهم ، فقام رجل رابع ، ليس كما تقدم وقال: أنا منهم يا رسول الله ، قال: أتصبح وتمسي وأنت راض عن الله، قال: نعم ، قال: أنت منهم).

لتدرك أن المهم هو الرضا عن الله في كل حال ، وعدم السخط على نصيبك من الدنيا ، وعدم التطلع إلى الناس.

وما في أيدي الناس ، وإذا حدثتك نفسك بالنظر إلى الناس ، فانظر إلى من هو أقل منك مالاً وحالاً ، حتى تعرف نعم الله عليك ، ولطفه بك فترضى ، حتى تنال درجة الرضا وتدخل فيمن رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أمثال أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه الذي أنفق ماله في سبيل الله ونصرة دينه حتى نزل في قوله تعالى ﴿الذي يؤتى ماله يتزكى وما لأحد من نعمة تجزي، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ، ولسوف يرضى﴾ (الليل : ١٨: ٢٠) ولما طلب النبي

---

(١) أخرجه معناه ابن المبارك في "الزهد" ٢/٨٠.

من أصحابه أن يقدموا مالاً للجهاد في سبيل الله وجاء بعض الصحابة بنصف ماله أو بثلثه ، أو أقل أو أكثر جاء الصديق رضي الله عنه بكل ماله وجميع ما عنده فقال له النبي ﷺ وما أبقيت لعيالك يا أبا بكر قال : أبقيت لهم الله ورسوله، ولقد خير رسول الله ﷺ بين أن يكون نبياً عبداً ونبياً ملكاً فاختار أن يكون نبياً عبداً وقال يا رب اشبع يوماً وأجوع يوماً فإن جعت تضرعت إليك وذكرتك ، وإن شبعت شكرتك وحمدتك ، ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الحسنة، فقد كان مع اختيار لنفسه وأهل بيته الكفاف يعطي عطاء من لا يخشى الفقر ، ويقول :(اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً ، واحشرني في زمرة المساكين)(١).

ولقد قضى الإسلام على نظام الطبقات وعلى نعرات الجاهلية في الفقر والغنى ، والحسب والنسب وجعل الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى فأكرم الناس عند الله اتقاهم خير الناس في الإسلام أنفعهم للناس قال تعالى: ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾. (الحجرات: ١٣).

فقال: (أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي ولا أبيض على أسود إلا بالتقوى) ثم قرأ النبي ﷺ قوله تعالى :﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢) ، وابن ماجه (٤١٢٦) والبيهقي في "السنن" ١٢/٧ والحاكم ٣٢٢/٤ وعبد بن حميد (١٠٠٢) وفيه كلام.

(٢) أخرجه ربيع بن حبيب في "مسنده" ٨/٢.

وجرى العمل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين وفي عصور الإسلام الذهبية على هذا، فكانت القيم الإنسانية والموازين الإسلامية : مرجعها إلى التقوى ومكارم الأخلاق ، بغض النظر عن الحسب والنسب والفقر والغنى والجاه والعصبية حتى أن سيد الخلق ﷺ ليقول لفلذة كبده السيدة فاطمة الزهراء (يا فاطمة بنت محمد ، اعملي فإن محمداً لن يغني عنك من الله شيئاً)[1] ويقول ﷺ (ما أبطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه)[2] ولما سرقت فاطمة المخزومية ، وهم رسول الله ﷺ بأن يقيم عليها الحد بعث بنو مخزوم سيدنا أسامة بن زيد ليشفع لها عند رسول الله ﷺ بصفتها حسيبة نسب ومن قبيلة بني مخزوم ، التي تمت إلى عبد مناف بأوثق صلة ، فلما كلمه أسامة، غضب رسول الله ﷺ وقام في الناس خطيباً وقال : (أيها الناس إنما أهلك من قبلكم أنهم كان إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد والذي نفس محمد بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها)[3].

فالناس أمام القانون سواء ، والفقير والغني والجاه والنسب ، ليس للعبد فيه حيلة وإنما هي حظوظ قسمها الله بين عباده.

"وليس الغنى والفقر من شيمة الفتى... ولكن أحاظ قسمت وجدود".

إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، إن الله تعالى

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الإمام أحمد ، ٢٥٢/٢ ، وابن حبادة في"موارد الظمآن" (٧٨).

(٣) أخرجه البخاري ٢١٣/٤ ، والترمذي (١٤٣٠) والبيهقي في "السنن" ٣٣٢/٨ والبغوي في "شرح السنة" ٣٢٨/١٠ ، وابن كثير ١٠٤/٣

يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب؟ ولكن لا يعطي الدين إلا من أحب ، فمـن أعطاه الله الدين فقد أحبه ، وفي خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب،رضـي الله عنه وقف ببابه أبو سفيان بن حرب في مـلأ من عظماء قريـش، ووقـف ببابه بلال وصهيب وخباب ، في جمع الموالي والفقـراء وكل مـن الوفديـن يطلب الإذن بالدخول على أمير المؤمنين ، فقدم أمير المؤمنيـن عمـر ، وفـد الفقراء والعبيد الذي حررهم التوحيد وأذن لهم بالدخول عليه أولاً، ولما فرغـوا من مقابلته أذن لأبي سفيان ومن معه فدخلوا عليـه يعلـو وجوهـهم الغيـظ والغضب ، وقال أبو سفيان تقدم علينا يا أمير المؤمنين العبيد والموالي، فقـال عمر رضي الله عنه: دعي القوم ودعيتم .فلبوا وأبطأتم ، فكيف بكم يوم القيامـة إذا دعوا بين يدي مولاهم ، فتقدموا وتأخرتم يعني هؤلاء لهم فضـل عليكـم ، لأنهم سبقوكم إلى الإسلام ، وإجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وقد قضـى الإسلام على نظام الطبقية ، وعلى الفوارق الدنيوية فأصبح هؤلاء أفضل منكـم وأولى بالسبق عليكم في كل شيء ، وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قـال : مر رجل على النبي ﷺ فقال لرجل جالس عنده ما رأيك في هذا ؟ فقال رجـل من أشرف الناس هذا – والله- جرئ أن خطب أن ينكح ، وإن شفع أن يشـفع فسكن النبي ﷺ ثم مر رجل آخر فقال له رسول الله ﷺ مـا رأيك في هـذا؟ فقال: يا رسول الله هذا رجل من فقراء المسلمين ، هـذا جريء إن خطـب لا ينكح ، وإن شفع لا يشفع ، وإن قال لا يسمع لقوله ، فقال رسول الله ﷺ هـذا خير من ملء الأرض مثل هذا)[١].

وهذا حديث رواه البخاري ، ومنه نتعلم ، أن الغني الذي يعجبك منظره

---

(١) أخرجه البخاري ١٠/٧ و ١٩/٨وابن ابي شيبة ٢٢٢/١٣والزبيدي في"الإلحاف" ١٠٦/٧.

ومظهره ، وهو عبد لشهواته ، ومعرض عند ذكر الله ، وقد جرت عادة النـــاس أن يزوجوه إن خطب بناتهم وأن يقبلوا شفاعته إن شفع عندهم ، وأن ينصتـــوا لقوله إذا قال ، لو وزن بفقير بينه وبين الله عمار وإن كان غير مرغوب فيـــه "ولا في شفاعته ولا يسمح له قول عند الناس ، وما أكثر النفاق والربا فيهم هـذا الفقير ، الذي لا يعجبك مظهره ، ولا منظره لو وزن بهذا الغني الـــذي يـهرع الناس إليه لرجع ملء الأرض من أمثاله ، وهو فرد واحد فقير الظاهر لكنه نقي الباطن ، ومؤمن راض عن الله في كل حال فلا تغتر يا صديقي القارئ بكثـــير من الناس الذين إذا أعطوا من الدنيا رضوا وإن لـــم يعطـوا منـــها إذا هــم يسخطون لا تغتر بالمظاهر ولا بالكلام المعسول ، ومن الناس من يعجبك قولـــه في الحياة الدنيا ، ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألد الخصام ، وإذا تولى سعى في لأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وقديمـــاً قـــال الأولون "من الغفة الا تجد" ومعناه " الفقر حشمة" وتأمل قول احكم الحـــاكمين: ﴿كلا أن الإنسان ليطغى إن رآه استغنى﴾ (العلق:٦) وقـــال تعالى:﴿ولو بســط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض﴾ (الشورى : ٢٧) ﴿ومنهـــم من عـــاهدا الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتـــاهم مـــن فضلــه بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونـــه بمـــا أخلفوا الله وما وعدوه بما كانوا يكذبون﴾ (التوبة : ٧٥-٧٧).

ولله در أمامنا الشافعي رضي الله عنه حيث يقول :

"غنى بلا مال عن الناس كلهن ... وليس الغنى إلا عن الشيء لا به" .

وهو مأخوذ من قول أحكم الخلق ﷺ (ليس الغنى عن كثرة العـــرض ، وإنما الغنى غنى النفس) [1] فالقناعة يا أخي والرضا بما قسم الله بعد الأخذ في

---

(١) أخرجه البخارث ١١٨/٨ومسلم (الزكاة) ب٢٠ رقم ١٢٠ووالترمذي(٢٣٧٣) وابن ماجــه (٤١٣٧)وأحمد٢٤٣/٢ و ٢٦١ و٣١٥ و ٣٩٠ و٤٣٨ و ٤٤ و٥٣٩ و ٥٤٠ والحميدي(١٠٦٣).

أسباب العز هو السعادة كل السعادة.

"ولست أرى السعادة جمع المال... ولكن التقي هو السعيد".

ونقول الرضا بعد الأخذ في أسباب سعة الرزق لأن الإسلام يأمرنا بالسعي والعمل لننفع أنفسنا ونتصدق ، ويكره الإسلام الكسالى والمتواكلين والفارغين من العمل، وكان عمر رضي الله عنه يقول إني لأرى الفتى فيعجبني فأسأل هل له حرفة ؟ فإن قالوا –لا– يسقط من عيني ، إن المراد بالفقير عند أهل التحقيق هو الذي لا يملك شيئاً ولا يملكه شيء –بمعنى أن يلاحظ المسلم أن ما بيده ملك لله لا له ومهما بسط الله – فليس بمشغول به عن مولاة الذي أعطاه – لأن حاله الفقير إلى الله في كل حال . والعبرة في الإسلام بالقلب ، وصلاح القلب ، وعمل القلب ، ومن هنا أمر نبيه ﷺ بأن يثبت نفسه مع الفقراء الذين يدعون إليهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا ينظر للمشركين من الأغنياء قريش ومن أقاربه الذين كبر عليهم المساواة ومحو نظام الطبقات وحاولوا جهدهم أن يبقوا على نظام الطبقات وتفضيل الغنى على الفقير أو الحسيب على غير الحسيب فلم يفلحوا وردهم الله على أعقابهم خاسئين ولطالما تمنى صاحب الشرع ﷺ أن يؤمنوا لأنه رحمة للعالمين ، فكيف لا تشمل هذه الرحمة أقاربه الأقربين – من أعمامه وأبناء عمومته ومن إليهم من بني هاشم وبني عبد مناف أشارف العرب – وأشراف قريش – وكان يضيق صدره من أجلهم ومن أجل عنادهم بما ورثوه من الفخر الكاذب أيام الجاهلية بالغنى والجاه والحسب النسب حتى قال تعالى: ﴿ فلعلك باخع نفسك على آثارهم ،إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفاً﴾ (الكهف : ٦)

﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ (يوسف :١٠٣).

﴿ ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء ﴾ (البقرة : ٢٧٢).

﴿ إن عليك إلا البلاغ ﴾ (الشورى : ٤٨).

﴿فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر ﴾ (الغاشية : ٢١).

وكانوا يأنفون الجلوس في مجلس الوحي مع حبهم لمجالسة النبي ﷺ واستماع القران منه لئلا تتساوى أكتافهم بأكتاف الفقراء من المؤمنين ، الذين كان لا يخلو مجلس له منهم حتى أنهم انتهزوا مرة فرصة جلوس النبي ﷺ وحده وجلسوا إليه وطلبوا منه أن يقرأ عليهم القرآن ففرح النبي ﷺ بهم هو مشغل بهم إذا جاء سيدنا عبد الله بن ام مكتوم الفقير الأعمى ووقف على المجلس وقال يا رسول الله علمني ما علمك الله ، فالتفت النبي ﷺ فوجده عبد الله بن مكتوم المؤمن التقي النقي الذي اطمأن قلبه بالإسلام ، ولعله قال في نفسه –هذا فرغنا منه– أما هؤلاء الذين جاءوا ليسلموا – فيجمل أن أكون معهم إلى النهاية ولعلهم يؤمنون واشتغل بالقوم عنه فعاتبه الله بقوله تعالى ﴿ عبس وتولى أن جاءه الأعمى وما يدريك لعله يتزكى أو يتذكر فتنفعه الذكرى ، أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكي وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى كلا إنها تذكرة ﴾ (عبس : ١-١١).

وبعد هذا العتاب كان النبي ﷺ إذا جاء سيدنا عبد الله بن ام مكتوم إليه يقوم ويعانقه قائلاً (مرحباً بمن عاتبني فيه ربي)[١] وجاء الأقرع بن حابس التميمي ، وعباس بن مرداس في ملأ من عظماء قريش إلى مجلس الوحي ، وقال يا رسول الله ، لولا هؤلاء السقاط "الفقراء" الذين يجلسون حولك . لجلسنا

---

(١) انظر "تفسير القرطبي" ٢١٣/١٩.

إليك واستمعنا القرآن وآمنا بدعوتك – فاطردهم لنجلس إليك فإننا لا نحب أن ترانا العرب مساوين هؤلاء العبيد فقال لهم رسول الله ﷺ ما أنا بطارد المؤمنين قالوا فاجعل لنا يوماً لا نراهم بجانبنا واجعل لهم يوماً لا نجيء فيه ، وكان بالمجلس سيدنا عمر وسيدنا علي – فقال سيدنا عمر ماذا عليك يا رسول – لو أجبتهم إلى ما يطلبون؟ فقال الأقرع بن حابس ويشترط أن يكتب علي بن أبي طالب – كتاباً وعهداً بيننا وبينك يا محمد على أن اليوم الخاص بنا نحن الأغنياء ، لا يأتي فيه الفقراء ، كل ذلك والنبي ﷺ لا يتكلم لأنه لا ينطق عن الهوى: ﴿ إن هو إلا وحي يوحى﴾ (النجم : ٤).

فأنزل الله تعالى الآيات: ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾ (الأنعام : ٥٢).

فلما رأى المشركون أن القرآن يستبقي الفقراء بمجلس النبي ويزكيهم قالوا لو كان خيراً ما سبقونا إليه : إنما جلسوا ليأكلوا بالمجان فتلا النبي ﷺ ﴿وما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ، وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا هؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم الشاكرين﴾ (الأنعام : ٥٢).

وعندئذ وقف سيدنا عمر يستغفر من قوله " ماذا عليك يا رسول الله لو أجبتهم؟" فإن الوحي لم ينزل بموافقته على عادته فاعتبر هذا ذنباً بالغاً لمقامه رضي الله عنه على حد حسنات الأبرار سيئات المقربين ، فقرأ النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءاً بجهالة ، ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم﴾. (الأنعام : ٥٤).

فكان النبي ﷺ بعد هذه الآية ، لا يحفل بكلام المتكبرين الذين يقترحون عليه طرد المؤمنين ، ويجلس مع أصحابه حتى يبدو له ،القيام لبعض شأنه فيقوم ويتركهم ثم يعود حتى نزلت الآية الأخيرة قال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ، ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ، ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾.(الكهف : ٢٨)

أما السر في كون أكثر أهل النار من النساء فيكشف عنه الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : "أريت النار ، فإذا أكثر أهلها من النساء ، يكفرن ، قيل أيكفرن ؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان . لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ، ثم أسأت إليها مرة قالت :ما رأيت منك خيراً قط).[1]

فجحود المرأة لنعمة الزوج ونكرانها لاحسان الزوج ، وسوء عشرتها له هو السبب لدخولهن النار ، حتى إن كثيرات من النساء سيدخلن النار ، بسبب غضب قلب الزوج عليهن لنشوزهن وعدم طاعتهن له.

لنكرانهن الجميل والنسيان لنعمة العشير، بحيث لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم أسأت إليها مرة واحدة ، لقالت ما رأيت منك إحساناً فقط ولا خيراً قط ، وحياتها كلها إساءة منك وتنسى كل إحسان مضى في عمر طويل وأنت تغدق عليها من الخير العميم ، والخلق الكريم ما لا يحصيه العد تلك طبيعة المرأة التي لا تفارقها أبداً ، الاعوجاج فقد خلقت من ضلع كما قال سيد الخلق صلى الله عليه وسلم وأعوج ما في الضلع أعلاه ، فإن ذهب تقيمه كسرته وإن

---

(١) أخرجه البخاري ١٤/١ وقد سبق تخريجه.

تركته لم يزل أعوج فانشدوا بالنساء خيراً.

وظاهرة الاعوجاج تتجلى في تمردها على الزوج وعدم اعترافها بجميلة، بحيث تنسى الإحسان دهراً ، في إساءة مرة واحدة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول "ما تركت فتنة بعدي هي أضر على الرجال من النساء"[1] فقد كلفن المعسر ما ليس في طاقته ولسن لبس الرجل ، وتمردن على وظيفتهن في الحياة – وتبرجن تبرج الجاهلية الأولى وظهرن في الأسواق والشوارع والمنتديات ، كاسيات عاريات لعنة الله على الاستعمار والمستعمرين – فقد كانت المرأة الشرقية محافظة على تقاليدها وأدبها حتى جاءت المرأة الأوربية فسرت عدواها – سريان النار في الهشيم وقلدتها المرأة الشرقية في السفور أولاً – ثم بلبس القصير وكشف الساقين والذراعين ثانياً – ثم في الرقص وإبداء الزينة بشكل رخيص والآن ينادي الجامعيون والجامعيات بالوجودية – ومعناها الإباحية المطلقة – حتى أنه لو ظهرت في الشارع عريانة فلا اعتراض عليها – ويتمنى الشباب الجامعي – أولا أن تكون الفتاة فاجرة كما كشفت عنه ذلك الجرائد في الأيام الأخيرة والرواية لم تتم فصولاً ، فقد دخلت المسألة فيما يسمونه معركة الرأي وانبرى بعض الكتاب بكشف الستار عن مأساة الوجودية وأصلها وفصلها وكيف نشأت وتطورت حتى دخلت جامعاتنا وأصبح بعض قراء الإسلام – أطلع على ما سطره براع كتابنا وهو صادق الرافعي حيث يقول:

"وما عجب أن النساء ترجلت ... ولكن تأنيث الرجال عجاب".

---

(١) أخرجه البخاري ١١/٧ ومسلم (الذكر والدعاء) ب ٢٦ ، رقم ٩٧ ، ٩٨ والترمذي (٢٧٨٠) وأحمد ٢٠٠/٥ والبيهقي.

كنا نقول لهؤلاء وأولئك على رسلكم فالمرأة خرجت علـــى الأوضـــاع بشكل تخجل منه الرجولة وهذه مجلة بنت النيل بعد أن كانت تنـــادي بمســـاواة المرأة للرجل في كل شيء ومنع التعدد – وحذف نون النسوة من اللغة العربيـــة أصبحت تنادي الآن بحقها في جعل العصمة بيدها فهي التي تطلق زوجها متـــى شاءت وتتزوج غيره متى أحبت وهكذا من المآسي والمفزعات والمفجعات فـــإذا بالرجل يسكت ويغلب على أمره ويبالغ في السكوت والغلب حتى إذا بنا نقرأ في الصحف عن الوجودية في الجامعية فالألطف بنا فيما جرت به ، المقادير وليعلم هؤلاء اللاعبون بالنار من أشباه الرجال الذين يناصرون المرأة الأدبيـــة عامـــة المرأة الفرنسية وخاصة أن للدين ربا ليحميه وأن وراء الأكمة يحمـــون الحـــق ويذودون عن حماه وأن الثورة ورجالها الأحرار لا يرضون أبدا بهذه الأوضـــاع المقلوبة ومن مبادئ الثورة الأولى إرجاع الحق إلى نصابـــه وإرجـــاع المـــرأة الشرقية إلى وظيفتها في الحياة أمومة ورضاع وتربية وتهذيب ورعاية لمملكتها الصغيرة في داخل بيتها ورحمها المقدس حتى تخرج للوطن الرجل الذي يحمـــي حماه وحتى تكون كالمرأة العربية التي مات ابنها الوحيد فلما صلت عليه صـــلاة الجنازة لم تزد على قولها اللهم إن كنت تعلم أن ابني هذا كان يحمـــــي الديـــار ويأبى العار فاغفر له ورحمه .

ومهما يكن من شيء فأكثر أهل النار النساء لأنهن سبب البلاء والنكبات في كل زمان ومكان وطاعة الزوج ورضاه سبب دخول المرأة الجنة لأن الزوج هو صاحب الحق الأول على زوجته بعد الله سبحانه وتعالى ولقد سألت الســـيدة عائشة رضي الله عنها رسوله الله صلى عليه وسلم فقالت يا رســـول الله مـــن أعظم الناس حقاً على المرأة قال زوجها وقال صلوات الله عليه وسلامة (خـــير النساء التي إذا نظرت إليها سرتك وإذا أمرتها أطاعتك وإذا غبت عنها حفظتك

في مالك وعرضك)[1].

وأكثر المفسرين على أن حسنة الدنيا في قوله تعالى: (ربنا آتنـــا فـــي الدنيا حسنة).

هي الزوجة الصالحة وكم هناك من الزوجات صالحات قانتات حافظات لحق الزوج محافظة على آداب الدين قائمات بواجباتهن كما ينبغـــي أن يكـــون ويقول صلوات الله عليه وسلم (لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المـــرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها) [1].

وسبب هذا الحديث أن أعرابياً مر على رسول الله صلى الله عليه وســلم وهو يصعر خده ويكاد يضرب الأرض برجليه كبراً ومرحاً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أتؤمن بي أيها الإعرابي لا أؤمن بك حتى تؤمن لك هذه الشجرة وأشار إلى شجرة في الوادي أمامه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أذهب إليها فقل لها رسول الله يدعوك ، فذهب الأعرابي إلى الشجرة وقال لها أجيبي رسول الله وهو لا يصدق أن الشجرة تقلصت من مكانها مرة ذات اليميـــن ومـــرة ذات الشمال ومرة إلى الخلف واقتلعت بجذورها وأصولها وأخذت تخد الأرض خداً ، وحتى جاءت بين يديه ساجدة وهي تقول بصوت عربي فصح يسمعه الأعرابـــي السلام عليك يا رسول الله فتعجب الأعرابي غاية العجب وقال: مرها يا رســـول الله أن ترجع إلى مكانها فأمرها فرجعت إلى مكانها واستقرت كما كانت فقـــال الأعرابي أتئذن لي رسول الله أن أسجد لك فقال صلوات وسلامه عليه (لو أمرت

---

(١) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظيم حقه عليها)[٢] يعني والسجود لا يكون إلا لله سبحانه وتعالى وإنما هو حث بليغ للمرأة التي تريد أن تسعد في الدنيا والآخرة على أن تتحرى مرضاة زوجها ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً وأيما امرأة بات زوجها غضبان عليها إلا باتت تلعنها الملائكة حتى تصبح فرضاء الزوج يدخل الزوجة الجنة وغضب الزوج يدخل الزوجة النار ، وقد رسم الإسلام لكل من الزوجين حقوقاً وواجبات لهما معاً ولكل منهما قبل الآخرة ولم يترك في ذلك شيئاً إلا تفصيلا فاتق الله أيتها السيدة المسلمة وقفي عند الحد الذي خلقك الله لأجله ولا تنكري إحسان الزوج ونعمة العشيرة فيكون الإنكار سبباً في دخولك النار مع الداخلين واحذري من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء)[١].

---

(٢) سبق تخريجه.

(١) سبق تخريجه.

تبرج المسلمة كان ولا يزال ذريعة إلى كثير من الجرائم الخلقية والمآسي الاجتماعية

إن من أول ما عني به الإسلام إعداد الحياة الكريمة والمجتمع الصالح ، وذلك برعاية الآداب العامة واستئصال بذور الرذائل ولا سيما ما يمس الشرف والعرض.

وفي هذا السبيل أوجب على المسلمة إذا دعتها حاجة الحياة إلى الظهور في الطريق أو في المجتمعات أن تتحلى برداء الحشمة الذي يصون لها كرامتها وتتجمل بجلباب الوقار الذي يحفظ عليها عزتها.

على هذه السنة الحميدة سارت المسلمات الأوليات فحفظن على الأمومة جلالها وعلى الزوجية مواثيقها وعلى الأنوثة وداعتها وحياءها ونظر الرجل إلى المرأة نظرة الإكبار والاحترام والعطف والرحمة وسعى إليها في جد وعزيمة لتبني معه صرح الحياة قوي الأركان متساند البنيان.

وجبهة العلماء من الأزهر ترى الكثير من المسلمات المحافظات كشفن مما أمر الله أن يستر كشفن الصدور والأذرع والسيقان ، وأصبحت المسلمة تبدو في الطريق والمجتمعات بغلالة رقيقة معلقة على كتفيها شريطين. الأمر الذي أصبحنا به نعيش في دار الإسلام بتقاليد اليهود ، وقد يزعم البعض لنسائنا هذا التبرج هو المدنية الراقية والحضارة العالية ، وما ينبغي لهن أن يتخلفن عن ركب الحضارة.

إن الله حرم على المرأة أن تكشف هذه الأعضاء كما حرم عليها أن

تلبس الثياب الشفافة والمجسمة ، قال الله تعالى يخاطب المؤمنات: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾ (النور : ٣١).

حيث حرم سبحانه إبداء زينة المرأة ومواضعها إلا ما قضت الجبلة بإظهارها للضرورة وهو الوجه والكفان وزاد بعض العلماء القدمين كما أمر الله سبحانه بستر الرأس والرقبة وموضع القلادة بالقناع قال تعالى:﴿ يأيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن الآية﴾ (الأحزاب : ٥٩) . وأخرج أبو داود عن عائشة أن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها دخلت على النبي ﷺ وعليها ثياب رقاق فأعرض عنها وقال: (يا أسماء إن المرأة إذا بلغت المحيض لم تصلح أن يرى منها إلا هذا وأشار إلى وجهه وكفه).[1]

إن تبرج المسلمة كان ولا يزال ذريعة إلى كثير من الجرائم الخلقية والمآسي الاجتماعية فكم جنى على أعراض وكم صدع أمر كان يصونها التمسك بآداب الإسلام والبينات على ذلك شاهدة كما نقرأ كل يوم في الصحف والمجلات صحائف من الكرامة المضيعة والشرف الجريح.

لا يخدعكن أيتها الكريمات رجال يزينون هذا التبرج بمغرياتهم الخاصة إشباعاً لرغبات جامحة وإرضاء لميول آثمة.

ولا تشبهن أيتها المؤمنات بالغربيات ، فإن لنا إسلامنا المقدس وعروبتنا الآبية الغيورة وتقاليدنا السامية.

إن الجبهة لتنادي بأعلى صوتها رجولة الرعاة من الآباء والأزواج

---

[1] سبق تخريجه.

والأخوة أن وفروا لكرائمكم العزة والحياء والعصمة ، فإنها رأس مـال المـرأة الذي لا يقوم بشيء من الحياة ، وأنتم إن فرطتم فيه فرطتم في أثمن شيء لديكـم وعرضتم الشرف الرفيع للأذى فردوهن إلى لباس الحشمة واعصموهـن مـن هاوية التبرج فكلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته قال تعالى:﴿ من عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسـن مـا كانوا يعملون﴾ (النحل : ٩٧).

التبرج ومضاره

الإنسان شديد الحاجة إلى الملابس لتقيه الحر والقر وندفع عنه أذى الحشرات وتستر منه ما قبح وتحسن من شكله ، فينبغي أن يقتصر منها على ما يفي بهذا الغرض ، ولكن بالغت النساء في الملابس والحلي مبالغة أخرجتهن عن الغرض الذي اتخذت له وتأنقن في الأزياء والأشكال والألوان تأنقاً ممقوتاً حتى صار تفصيل معطف أو جلباب مشكلة كبرى تحتاج أعمال الفكر في انتقاء الأقمشة واختيار الألوان واصطفاء أعظم الخياطات مما يتطلب المال الوفير ويخرج الملابس عن حد الحشمة والوقار.

أصبحت النساء يلبسن ما خف حمله وغلا ثمنه من ثياب شفافة براقة لا تحجب ما وراءها ، ولم يكتفين بذلك ، بل نزعن الأردان وقصرن الثياب ، فظهرت عاريات الصدور والنحور والأيدي والسوق.

واتخذن الألوان الزاهية وبالغن في حمل الذهب والحلي والجواهر الثمينة مما لا طاقة لأزواجهن بدفع ثمنه ، وليتهن وقفن عند هذا الحد من الجهالة والضلال ، ولكنهن عمدن إلى وجوههن التي صورها الله على أحسن مثال فشوهنها بالأصباغ والمساحيق ، يصرفن ساعات أمام المرآة لاهيات عن تدبير منازلهن تاركات أطفالهن بين الخدم يعتادون أسوأ العادات وأقبح الأخلاق، لم يحملهن على ذلك إلا جهلهن الشنيع وظنهن أن جمال الثياب خير من جمال الآداب ، وأن حسن الملبس خير من كمال الأنفس ، وأن لبس الحرير ينم عن الفضل الغزير ، وفاتهن أن جمال الإنسان لا يكون إلا بعلمه وعمله وتحليه بمكارم الأخلاق ، وقد صدق من قال:

ليس الجمال بأثوابٍ تزيننـــــا

إن الجمال جمال العلـــم والأدب

هذا فضلاً عن ضياع الصحة ، وتشويه الوجـــه باسـتعمال الأصبــاغ والمساحيق التي تجعد الوجه وتضعف خلاياه وتسد مســام الجلــد فــلا يــؤدي وظيفته.

وعلى الجملة فالتغالي في الملابس والحلي آفة تتبعها آفـــات ، وهـــو علــة الإسراف وطريق الحسد والكبرياء ، والعجب والخيلاء ،فضلاً عما فيـــه من ضياع الوقت الثمين ، والمرأة العاقلة هي التي تحتفظ بجمالها الفطـــري ولا تشوه وجهها بالألوان والأصباغ وتتكلف في الزينة والحلى وتربأ بنفســـها عــن الوقوع فما يضر بدينها ووطنها ، ويذهب بالثروة وتصرف نفسها إلـــى رفعــة شأنها وتكميل ذاتها بالعلم الصحيح والحق القويم ، فإن الجمال بــالعلم والأدب لا بالثياب والحلي ، وبذلك يمكنها أن تسعد نفسها وتحسن تربية أبنائها فـــي ذلــك صلاح للأسرة فتصلح الأمة ويمجد الوطن.[1]

---

[1] "مجلة الإسلام" المجلد السادس و الثلاثون ص ٦٥٠.

"وقاية النفس والأهل من النـــار"

قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نـــاراً وقودهـــا الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون مـــا يؤمرون﴾ (التحريم : ٦).

فكل مؤمن مأمور من الله تعالى أن يقي نفسه وأهله النار التي وصفـــها جل وعلا بأن وقودها الناس والحجـــارة ، والحجـــارة هـــذه : هـــي الأصنـــام ومعبودات غير المؤمنين ، ويقول في ذلك جل شأنه:﴿ إنكم وما تعبـــدون مـــن دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون﴾ (الأنبياء : ٩٨).

وزبانية جهنم ملائكة غلاظ شداد مطيعون لله ينفذون أمره ، وحـــراس هذه حالهم لا يتصـــور مخلوق أنه يفر منهم أو يؤثر فيـــهم فيشـــفقوا عليـــه أو يتشفعوا له.

والله بهذا يقطع أمل كل فاجر أو مغتر حتى يأخذ الأمر بالجدية ويبعـــد عن النار وعن كل ما يقرب منها من قول أو عمل.

وعلى كل من يرجو الوقاية منها لنفسه أن يبنيها على ثلاثـــة أشيـــاء، العلم والإيمان والعمل الصالح ، ولكل منها أداة في جسمه ، فأداة العلم العقـــل، وأداة الإيمان القلب ، وأداة العمل الصالح الجوارح ، وهذه الثلاثـــة : العقـــل والقلب والجوارح يجب أن يهتم بها صاحبها لينجو بها من العذاب الأليم.

والعقل هو أهم شيء من الإنسان ، وهو سر التكليف وسر التشـــريف ، وما على الذي يريد أن يدرك أهميته إلا أن يذهب إلى أحد مشافي المجـــانين ، فيرى أجساماً وصوراً ربما كان فيها ما هو أحسن جسماً وأجمل صـــورة مـــن

بعض العقلاء ، ولكن سيرى تصرفات منهم يحمد الله ألف حمد على أن وهب له نعمة العقل ، فالعقل نعمة كبرى مطلوب منه عدة أشياء :

أولاً : أن ينظر نظر فكر واعتبار في آيات الله الكونية ، في الكون المتطور ، والسماوات والأرض وما بينها ، وما فيها .

﴿ أو لم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء﴾ (الأعراف : ١٨٥).

والله لا يرضى عن إنسان خلقه وأنعم عليه بنعمة العقل والحواس أن يعبر الحياة دون نظر واعتبار بما خلق ، ويمر على ذلك وهو معرض ومآل هذا جهنم كما قال جل شأنه:

﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾.

وعليه أن ينظر في آيات الله التشريعية في الكون المقروء وهو القرآن المجيد ليغذي روحه ووجدانه وعقله وقلبه ، ويتلقى عن الله ما أمر فيفعله وما نهى فيجتنبه وليخرج من ظلمات الجهل والكفر إلى نور العلم والإيمان والخلق الرفيق والمستوى اللائق بالإنسان.

وعليه أن يميز بين ما يسمع ويرى ويعرض كل ذلك على كتاب الله وسنة رسوله فما وافقهما أمضاه ، وما خالفهما بعد عنه وقلاه.

ومن بلغ درجة التمييز بلغ درجة الرشد وأصبح قريباً من درجة الحكمة. وعليه أن يوجه كل أجهزة الجسم لتكون حركتها في نطاق الشرع

الشريف ، وأن يتحكم فيها لأنه هو المسئول الأول عن سلامة الجسم من دخول النار فيتحكم في النظر والسمع واللسان وسائر الجوارح ، ويتحكم في الغرائز حتى تسير في نطاق الشرع وما أحل الله تعالى.

وعليه أن يجعل الأخبار الغيبية الصادقة عن المستقبل البشري وهي الحياة الآخرة بما فيها من بعث ونشور وحساب ومآل ومصير إما إلى جنة وإما إلى نار ، يجعل كل ذلك أمراً واقعاً كأنه محسوس.

إنه بهذا يعمل للآخرة ، ويستعد لها ويحسب ألف حساب لما فيها وأقله مما يجعل الولدان شيباً .. وبذلك لا يغتر بالدنيا ويجعلها أكبر همه ، فإن من يطلب الدنيا فليس له في الآخرة نصيب.

ثم على العاقل أن يهتم بقلبه فيغرس فيه الإيمان بقوة حتى لا يتزعزع، ويعلم ما في الصدور ويحاسب عليه.

والعمل الصالح هو ثمرة العلم والإيمان هو الذي يظهر أن تعاليم الدين منفذه سواء في ذلك العبادات والمعاملات والجهاد وتحري الحلال والبعد عن الحرام ونلحظ أن الله تعالى دائماً يقرن الإيمان بالعمل الصالح كقوله :﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً﴾

وقوله تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ .

وهكذا نرى أن المؤمن الحق الذي تثقف عقله بثقافة الدين وغمر قلبه بالإيمان ، وتحرى العمل الصالح يكون على المستوى الذي يريده الله من عباده الذين يرضى عنهم ويجعلهم من سعداء الدارين.

أما وقاية الأهل من النـــار:

وأهل الرجل زوجه وأولاده ، وهو مسئول عنهم ، والله أمره أن يقيـــم النار بمثل ما في نفسه...

ورأس الأمر أن يكون هو قدوة صالحة لهم ، فهو بما له مــن هيمنتــه عليهم سيستفيدون به ويتدربون على الحياة في مدرسته ، فإن كان مهتماً بدينــه يتحرى الحلال في مطعمه ومشربه وملبسه وسائر ما ينفقه على أهله ، وإن كان يعاشر الصالحين ، ويؤدي فرائض الله لا يقدم عليها شيئاً آخر ، وإن كان يتزود دائماً من المعرفة ، ولا يكتفي بما علم ، وإن كان يتلو يومياً جزءاً من الكتــاب الكريم.. وإن كان يفعل كل ذلك فإنه سيكون قدوة حسنة لهم غالباً ، لا يشذ عــن ذلك إلا النادر الذي لا حكم له.

أما إن كان حايداً عن الطريق القويم .. بعيداً عن تعاليم الدين الحنيف .. فقد ضيع الأمانة التي أتتمن عليها من زوجة وأولاد ، إذا أن فـــاقد الشـــيء لا يعطيه.. وقد أجاد القائل :-

مشى الطاووس يوماً باعوجـــاج	فقلد شكل مشيته بنـــوهُ
فقال علامَ تختالون قـــالـــوا	بدأت به ونحن مقلـــدوهُ
فخالفْ سيركَ المعوجَّ واعـــدل	فإنَّا إن عدلت معدلـــوهُ
أما تدري أبانا كلُّ فـــرعٍ	يجاري بالحظى من أدبـــوهُ
وينشأ ناشئ الفتيان منـــا	على ما كان عوَّده أبـــوهُ

وقال غيره:

إذا كان رب البيت بالطبل ضاربـــاً فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

وأنشد محمد محمد عمر :

فتاة النيل لا لوم عليهـــــــــــا بأعلى الصوت أجهر في الأنام
وكيف نعيبها والعيب منــــــــــا ونرميها بوحشي الكــــــلام
إلى التمثيل يصحبها أبوهـــــــــا فتعرف سيدي فن الغـــــرام
ويأمرها بأن تختار زيـــــــــــاً كزي الغرب مفضوح الكمام
فجلباب قصير لا يـــــــــداري ورأس حاسر دون احتشـــام
ووجه سافر يغري البرايـــــــــا ألم يدر الحلال من الحـــرامِ
ولا تنسى الحلاقة كل شهــــــرٍ وعطراً اسمه "شم الغـــرام"
وحضرته لهذا الفعل ينبغـــــــي ويتحفها "نعيماً" في الختامِ
كذا الأصباغ يجلبها إليهـــــــا لتعكس خلقه دون احتـــرامِ
ويحضر نعلها من خلف عـــــالِ ليطرحها إلى جهة الإمـــامِ
كذا الأصباغ يجلبها إليهـــــــا لتعكس خلقه دون احتـــرامِ
ويحضر نعلها من خلف عـــــالِ ليطرحها إلى جهة الأمـــــامِ
ويتركها تسير على هواهـــــــا ولا تكفي زيارات الإمــــام
فبالله احكموا يـــــا آل ديـــــنٍ حنيفي يدعو للســـــــلام
على البنت الضعيـــفة أي لـــوم خبروني هل أصبنا بالزكام

وأنتم أيها الآباء جمعـــــــــــاً   فخافوا الرب في يوم الزحام

واعتصموا بحبل الله يكفـــــــــي   تأخرنا بعام بعد عـــــــــامٍ

وعلى رب البيت المؤمن أن يأمر أهله بالصلاة كما قال الله تعالى لنبيـــه الكريم:﴿وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نســألك رزقــاً نحـــن نرزقــك والعاقبة للتقوى﴾.

ونحن جديرون بالإقتداء بالنبي الكريم ﷺ فنــــأمر أهلنـــا : زوجنـــــا وأولادنا بالصلاة حتى يعتادوها وتكون جزءاً أساسياً من حياتـــــهم ، بحيــث لا يستريح أحدهم إلا إذا أدى الصلاة ويكون دائماً مهموماً إن تأخر عنـــــها حتــى يؤديها ، وحتى إذا مرض أداها حسب استطاعته.

وإن هذه الصلاة التي أمر الله بها الرجل أن يأمر بها أهله ، فهي ليســت صلاة فقط ، وإنما هي تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وتجعل المرء دائماً متصـــلاً بالله لا ينساه والذي ينسى الله ينساه يوم القيامة فلا يقيم له وزناً.

كما أنها تعود النشاط والنظافة والحرص على المواعيد ، والمــرء فـــي الصلاة يحاسب نفسه ويناجي ربه ، فإن كان قد أحسن شكر الله ، وإن كان قـــد أساء استغفر الله وندم على ما فعل وعزم على ألا يعوج ، وحب الصلاة يحبـــب المرء في المساجد وناهيك بمن يتعلق قلبه بحب المساجد فإنه من الذين يظلـــــهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظلّه.

والأب الحاني عليه أن يجالس أبناءه وأن يعلمهم أي كتاب يقرؤون وأي صديق يصاحبون ، فإن بعض الكتب تدعو إلى الرذيلة ، وبعـــض الأصدقـــاء يدعـــون إلى النار ، والمرء عليه أن يهتم بصغاره حتى لا يضيعوا في زحمة

الحياة ويقع تحت مساءلة الله لأنه لم يقم بواجبه نحوهم.

وعليه عند مجالستهم أن يحبب إليهم التقوى والحلال والإقتداء بالصالحين من المؤمنين... وعليه أن يعودهم المناقشة والسؤال عما يجهلون ، وتفهم الأمور حتى لا يختلط عليهم الأمر بل يعرفون ويميزون بين ما يوافق الشرع وما يخالفه ، فإنه سيتركهم يوماً ما ، وإذا لم يكن عندهم مسلكة التمييز فإنهم سيضلون سواء السبيل ويكون الوقوع بهم تحت تأثير المبطلين سهلاً.

ونعلم أن تربية الأبناء صعبة وتحتاج إلى صدر واسع ، وسعة حيلة في التعامل معهم ، وإلى وقت طويل لاعتياد الصلاة والطهارة وحب الدين وبر الوالدين وإيتاء ذي القربى حقه والمسكين وابن السبيل.

والحذر من التدليل والإفراط في الحنان وتلبية كل الطلبات ومن إخماد جذوة الرغبة في ألفهم والمعرفة بالأسئلة بوسائل تثبيط الهمم والتزام آداب السكوت وعدم فتح الفم أمام الكبار فكلا الطريقين مذموم ، لا تدليل ولا نهر ولا عسف وإنما الحزم واللين أحياناً والشدة أحياناً بحكمة توصل للمطلوب.

وعلى الوالد غرس الخوف من الله تعالى ومراقبته لأنه لا يخفي عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، وأنه سيحاسب على الفتيل والنقير والقطير.

إنّ المرء إذا قام بواجبه نحو تربية الأبناء أرضى الله ورسوله وأخرج للمسلمين ناشئة يغيظون الكفار لأن هذا الجيل الذي يربى سيكونون الآباء والأمهات في المستقبل وسيحملون نفس هذه الأمانة من تربية أجيالهم ، فإذا أهملوا ولم يتربوا التربية الإسلامية الحقة يصبح جيلهم جيلاً يغيظ الأصدقاء ، ولا يرضى عنه الله ولا رسوله ولا المؤمنون وصدق فيهم القائل :

فكيف نظن بالأبناء خيـــــــراً إذا نشأوا بحضن الجاهـــلات

وهل يُرجى لأطفال كمـــــــال إذا ارتضعوا ثُدي الناقصـــات

لأخلاق الصبي بك انعكـــــاسٌ كما انعكس الخيال على المـــراة

وقال جميل الزهاوي:

ليس يرقى الأبناء في أمة ما لـــم تكن قد ترقت الأمهـــــــــات

وقال غيره :

وأول خُبثِ الماء خبثُ ترابـــــه وأول خُبثِ القوم خبثُ المناكـــح

وقال إلياس حبيب فرحات:

من كان في حجر الأفاعي ناشئاً غلبت عليه طبائع الثعبــــــــان

وقال معروف الرصافي :

هي الأخلاق تنبت كالنبـــــات إذا سقيت بماء المكرمـــــــاتِ

فكيف تظن بالأبناء خيــــــراً إذا نشأوا بحضن السافـــــلاتِ

وقال جرير:

إن الكريمة ينصر الكرمَ ابنُهـــا وإبن اللئيمة للئام نصـــــــورُ

وقال شوقي:

وإذا النساءُ نشأت في أميـــةٍ رضع الرجال جهالةً وخمـــولا

"مضار الماكيـــاج"

ظلت النســاء تسعى منذ أيام قدماء المصريين لإظهار جمالهن الطبيعـي وذلك باستخدام كافة المواد والوسائل.

وكانت العيون هي المحور الأساسي لهذه الجهود... وفي هـــذه الأيــام تضافرت الجهود الأطباء وخبراء التجميل لابتكار وسيلة للتلوين الدقيق يمكن بها وضع كحل دائم على جفون السيدات.

وبذلك تظهر الرموش غزيرة ممتلئة في كل الأوقات.

وتم اختيار طريقتين لهذا الغرض ، الأولـــى باســتخدام الخفيـف مــن الشعيرات الرموش الموجودة على الجفون العليا والســفلى.. وهــذا الاســتخدام يظهر الرموش في صورة طبيعية بدون أي أثر للكحل... إلا أنه ثبت أن هـــذه الطريقة لا تعطي الأثر الكافي والهدف المنشود بالنسبة لبعض النساء ، كما أنــها لا تحل محل الكحل ، وهي مجرد تحسين الشكل ، ويجـــب علـــى الســيدة أن تستكملها باستخدام الكحل العادي في المساء.. وبالرغم من ذلك نـــرى بعــض النساء يفضلن هذه الطريقة ويطلبنها.

أما الاستخدام الثاني فالغرض خلق الأثر الدائم للكحل علـــى العيــون ، ويتم ذلك بطريقة مختلفة بحيث يترك خطاً دائماً على الجفون العليا والســفلى .. وهناك ثلاثة ألوان لاختيار لمن ترغب في هذه الطريقة...

وهذه الألوان هي : الأسود – البني – الفحمي (رمادي غامق).

وتتم هذه العملية تحت تأثير البنج الموضعي في أقل من ساعة.

دواعي الاستخـــدام

هناك دواعي كثيرة لدى السيدات اللاتي يرغبـن فـي اسـتخدام هـذه الطريقة .. فقد يكون الداعي طبياً أو تجميلياً ... أو لمجرد الارتياح الشخصي ، ويمكن تحديده بالتالي :

١. الفرع في الجفون.
٢. الحساسية الناتجة عن كثرة استخدام المكياج.
٣. صعوبة استخدام المكياج المستخدم حالياً .. لوجود العدسات اللاصقة.
٤. صعوبة وضع المكياج لإصابة بعض السيدات بطول بصر الشيخوخة.
٥. السيدات اللاتي يعانين من حالات مرضية كالشلل الموجود بالأطراف أو التهاب المفاصل بحيث يتعذر عليهن وضع المكياج.
٦. السيدات العاملات واللاتي يرغبن في توفير الوقت الضائع فـي وضـع المكياج مرات عديدة خلال النهار.
٧. السيدات اللاتي يرين أن يستمتعن بوجود كحل دائم على الجفون وذلـك لغرض التجميل.
٨. السيدات اللاتي يعانين من كثرة إفراز الدموع أو من الجلد الدهني الـذي يتسبب في "تلطيخ" المكياج.

متى تنقلب مستحضرات التجميل إلى عوامل للتشويه

الجلد هو مرآة الجسم .. والجلد ليس مجرد غطاء للجسم ، ولكنه له وظائف حيوية، وهو علاوة على ذلك من أهم العوامل في تجديد جمال الخلقة ، ولذلك فإن العناية بالجلد تكتسب أهميتها على مستوى صحة الجسم عامة ، وعلى المستوى الجمالي للإنسان.

ومن مفهوم الجمال أثار المؤسسات والهيئات العلمية والتجارية على حد سواء في صنع المركبات المختلفة التي تساعد على تزين البشرة لدرجة أصبح معها فن التجميل وما يستتبعه من دراسات علماً بل وتخصصاً قائماً بذاته.

- المانيكير يسبب أحياناً التهابات شديدة في الجفون.
- لا تغيري لون صبغة الشعر قبل مضي ستة شهور.
- تعددت مركبات التجميل فشملت الكريمات بأنواعها المختلفة والمساحيق وطلاء الأظافر ، وصبغات الشعر ، ومثبتات الشعر ومزيلات الشعر وأقلام الشفاة ومزيلات العرق ، ومزيلات الروائح بالإضافة إلى الكولونيا والبارفان وما شابهها.

ومركبات التجميل على اختلاف أنواعها ليست خيراً كلها ، كما أنها ليست شراً كلها ، بمعنى أنها تؤدي غرضاً معيناً وهو التزين ، وهذا مطلوب بل ومطلوب جداً أحياناً ...

إلا أنها قد تسبب في إحداث بعض مضاعفات أو متاعب للبشرة عند

بعض الأشخاص ، وهذا غير مرغوب فيه ، بل التزين كما ستوضح فيما يلي:

الكريمات

هناك أنواع عديدة من الكريمات منها كريمات تغذية البشرة ، وكريمات الماكياج "كريم الأساس" ، وكريمات الشعر ، والكريمات المزيلة للبقع الجلدية والنمش "بليتشينج كريم".

والمقصود بكريمات التغذية تلك الكريمات التي تحتوي على مواد دهنية تشابه المواد الدهنية التي تفرزها خلايا البشرة ، وأساس استعمال هذا النوع من الكريمات هو إصابة البشرة بجفاف ، إذ أن الدهون بواسطة خلايا البشرة ، وبالتالي نقص الطبقة الدهنية على سطح البشرة ، مما يؤدي إلى الجفاف ، وبالتالي حدوث خشونة وأحياناً تشقق بالبشرة ، واستعمال مثل هذه الكريمات ماهو إلا نوع من تعويض هذا النقص وعلى ذلك ، فإنه لا فائدة من استعمالها ، إذا ما كانت البشرة طبيعية ، ونحب أن نذكر أن حالات جفاف البشرة التي تحتاج إلى استعمال هذه الكريمات حالات نادرة جداً ، ولكننا نلاحظ أن الكثيرات يعانون من جفاف البشرة مما يدفعهم إلى الشعور بالحاجة الدائمة إلى استعمال كريمات لترطيبها.

ومعظم هذه الحالات تكون البشرة فيها أساساً طبيعياً ولكن نتيجة لاكتساب البشرة حساسية لبعض مكونات هذه الكريمات يحدث التهاب طفيف غير ملحوظ بالجلد يؤدي في النهاية إلى الجفاف في البشرة . واستعمال الكريم يؤدي إلى الإحساس الوقتي بترطيب البشرة ، ولكن في نفس الوقت يؤدي إلى تكرار حدوث التهاب وبالتالي الإحساس بتزايد الجفاف ويتزايد الشعور بالحاجة

إلى استعمال الكريم... أي الكريم في هذه الحالة يكون هو المسؤول عن حدوث هذا الجفاف المصطنع.

أما الحالات التي تحتاج إلى استعمال هذه الكريمات أساساً فهي الحالات التي يكون فيها الجفاف خلقياً .. أي أنه يظهر في سن مبكرة ، وكذلك لا يقتصر ظهوره على الوجه والأطراف بل يصيب مناطق متعددة من الجلد في بقية أجزاء الجسم المختلفة.

وينطبق هذا الكلام على الكريمات التي توضع على الشعر بمعنى أنه لا يلزم استعمال كريمات الشعر التي تستعمل للتصفيف إلا إذا كان الشعر جافاً في بطبيعته أي ليس نتيجة لاستعمال لوسيونات أو الإفراط في كي الشعر أو في الكريباج .. ففي هذه الحالات يكون العلاج الصحيح بالامتناع عن مسببات إيذاء الشعر.

أما كريمات الأساس "كريم المكياج" فنادراً ما تحدث أي مضاعفات ولكنها في حالات نادرة قد تسبب التهابات بالجلد نتيجة لوجود بعض المواد الحافظة بين مكوناتها.

أما الكريمات المزيلة للبقع و النمش فإنها تحتوي على مواد ذات أثر قوي على خلايا البشرة.. ومن هنا كانت كثرة حدوث التهابات جلدية من جراء استعمال هذه الكريمات علاوة على أن فاعليتها تكان تكون معدومة في إزالة هذه البقع أو النمش.

المساحيق:

أهمها مساحيق الوجه ، وهذه لا ضرر من استعمالها طالما توفرت

العناية بالبشرة وخصوصاً تنظيفها بالماء والصابون .

ففي هذه الحالة لا خوف من انسداد فوهات الغدد الدرقية أو الدهنية كما يتوهم البعض.

ولكن نتيجة لوجود صبغة الأنيلين في معظم هذه المساحيق قد تحدث بعض الالتهابات الجلدية وهذا نادر جداً.

طلاء الأظافر:

ومن الغريب أن المتاعب التي تحدث من طلاء الأظافر "المانيكير" تظهر في أماكن بعيدة عن مكان الأظافر فاستعماله قد يودي إلى حدوث التهابات شديدة بجلد الجفون إذ أن الأظافر وما عليها من طبقة المانيكير قد تلامس جلد الجفون وتحدث به حساسية لأن الأظافر مكونة من خلايا قرنية صلبة فإنها تقاوم حدوث هذه الالتهابات ... بينما جلد الجفون بنعومته ورقة تكوينه يعاني من حدوث هذه الالتهابات.

وإن كان المانيكير لا يضر بالأظافر إلا أن استعمال المواد المزيلة له والتي تكون غالباً من مركب الأسيتون تحدث لخلايا الظفر أضراراً كبيرة إذ تكرر استعمالها على فترات متقاربة .

كما يحدث عند بعض الإناث اللاتي يرغبن في تغيير لون المانيكير من وقت إلى آخر وينتد عن ذلك تشقق الأظافر وسهولة كسرها وأحياناً انفلاقها من الأطراف.

مستحضرات الشعر:

يوجد نوعان رئيسيان من الصبغات..

النوع الأول الصبغات النباتية مثل الحناء .. وهذه لا تضر الشعر أو البشرة إطلاقاً ولكن يعيبها تكرار وضعها إذ أنها لا تمكث بالشعر أكثر من أسابيع معدودة.

والنوع الآخر وهي الصبغات الكيميائية وهذه لها ميزة الثبات لمدة ستة أشهر وإن كانت قد لا تسبب أضراراً في حالات كثيرة ، إلا أنها قد تكسب الجلد لمكوناتها.

ومن المهم أن تعلم أن الالتهابات الجلدية الناتجة عن وجود حساسية لصبغات الشعر قد لا تظهر في فروة الرأس نتيجة لزيادة سمك الجلد في هذه المنطقة من الجسم ، ولكنها تظهر أول ما تظهر في جلد الجفون و الرقبة وخلف الأذنين والوجه – وسرعان ما تنتشر إلى أماكن متفرعة من الجسم ، وفي حالات نادرة تصيب فروة الرأس ذاتها.

وعند حدوث هذا الالتهاب يتحتم الامتناع عن استعمال هذا النوع من الصبغة كلية وإلى الأبد ، ويلجأ إلى استعمال الحناء... كما أنه في نفس الوقت يتحتم الامتناع عن تعاطي بعض العقاقير وخاصة مركبات السلفا وبعض مضادات الملاريا ، إذ أن هذه العقاقير تتشابه كيميائياً مع صبغة الشعر المسببة للالتهاب وحدوث تفاعل لأحدها يؤدي تلقائياً إلى حدوث نفس التفاعل للأخر.

مزيلات لون الشعر

وهذه تستعمل عند تغير لون صبغة الشعر ، وتحتوي على مادة قلوية مؤكسدة ذات تركيب عال ، ولذلك فإن كثرة استعمال هذه المزيلات يؤدي إلى التركيب الداخلي لقصبة الشعرة .

ولـذلك ننصح بعدم تغير لون صبغة الشعر إلا بعد مضي ستة أشـهر على الأقل . وهي الفترة اللازمة لاسترداد الشعر بعد تعرضـه لـهذه المـادة القلوية.

مثبتات الشعـر:-

وهي المواد الكيميائية المستعملة في عملية "البرماننت" وهذه عبارة عـن مواد قلوية تؤدي إلى إعادة تشكيل التركيب الداخلي لقصبة الشعرة مما يسـهل تشكيلها في الوضع المرغوب فيه ، ثم إعادة تثبيتها في هذا الوضـع الجديـد يوضع مادة مثبتة غالباً ما تكون ماء الأكسجين.

وأوضح أنه إذا أحسن إجراء هذه العملية فإنها لا تضر الشعر ، ونعنـي بذلك أن تركيز المادة القلوية وكذلك فترة تعرض الشعر لها تختلف من حالة إلى أخرى حسب سمك الشعر ونعومتـه أو خشونته "والتقدير الصحيح فـي ذلـك يستلزم شخصاً متخصصاً ، إذ أن زيادة تركيز المادة القلوية أو زيادة تعـرض الشعر لها عما ينبغي يؤدي إلى إتلاف التركيب الداخلي لقصبة الشـعرة إتلافـا دائماً ، وبالتالي إلى تقصف الشعر.

مزيلات رائحة العـرق

وهذه تكون إما على صورة مساحيق أو سوائل "لوسـيونات" أو علـى صورة أنواع معينة من الصابون،وتلتقي فكرتها جميعاً عند حقيقة عملية هـي أن رائحة العرق وخاصة تحت الإبطـين أو المناطق الداخلية الأخرى تكون نتيجـة لتحلل العرق بواسطة بعض أنـواع البكتيريا أو الفطريات أو الخمـائر التـي تعيش في هذه المناطق،وهذه المواد تحتوي على مركبات كيميائية تـؤدي إلـى إضعاف تكاثر هذه الميكروبات وبالـتالي زوال الرائحة غير المرغوب فيها.

وواضح أن المواظبة على العناية بغسل هذه الأماكن بالماء والصابون العادي تؤدي إلى نفس النتيجة ، إذا استعمل الحمام بمعدل لا يسمح بتكاثر هذه الميكروبات بحيث يكون كل ثلاثة أو أربعة أيام شتاء ويومين صيفاً.

على أن هناك حالات وجود رائحة غريبة في العرق ليست ناتجة عن تكاثر هذه الميكروبات ولكنها نتيجة لتناول بعض الأطعمة مثل الحلبة والثوم والكرات.

مزيلات العرق

وهذه تكون على صورة مواد كيماوية تؤدي إلى التقليل من إفراز العرق من فوهات الغدد العرقية ، ويلجأ إلى استعمالها بعض الأشخاص الذين يعانون من زيادة إفراز العرق في منطقة معينة من مناطق الجسم ، وخاصة تحت الإبطين ... وهي عبارة عن مواد قابضة تؤدي إلى انتفاخ الخلايا المحيطة بفوهات الغدد العرقية مما يقلل من اتساع فتحاتها فتحدث أثراً وقتيا في تقليل إفراز العرق بواسطة الغدة العرقية نفسها ، مما يؤدي إلى انحباس العرق داخل قنوات هذه الغدد مكوناً حويصلات مائية وأحياناً بؤوراً صديدية.

ويؤدي استعمال هذه الحالة إلى إضرار بخلايا البشرة.

أقلام الشفاة:

وتحتوي أقلام الشفاة بالإضافة إلى زبدة الكاكاو وزيت الخروع على مواد ملونة ، وكذلك على الروائح العطرية الداخلية في تركيب أقلام الشفاة قد تكسب الغشاء المخاطي حساسية ، وبالتالي تؤدي إلى التهاب الشفتين ، ثم تشققها ولكن ذلك يحدث في حالات نادرة .

ومن الجدير بالذكر أن الحساسية لا تحدث إلا مع التعرض لأشعة الشمس أي أن استعمال أقلام الشفاه في الماء لا يؤدي إلى إحداث أضرار بالكلية.

العطور:

العطور مثل الكولونيا والبارفان والزيوت العطرية ، لا تحدث ضرراً بالجلد إلا عند قلة من الناس ، ولا يحدث ضرر إلا في مناطق مكشوفة مثل الوجه وخلف الأذنين والرقبة واليدين وخاصة إذا استعملت أثناء النهار... ويحدث الالتهاب على صورة بقع كبيرة بنية غامقة قد تكون مصحوبة بالتهاب طفيف ثم تأخذ تدريجياً في الاختفاء حتى يعود الجلد إلى لونه الطبيعي في أسابيع معدودة بعد الامتناع عن استعمال هذه المركبات ، ويعرف ذلك علمياً باسم الالتهاب الضوئي الكيميائي "البيرلوك".

وأنت تستعملين وسائل التجميل والزينة احذري الأكزيما

الصحة قبـل الجمال... قاعدة ذهبية يمكن أن توصلك إلى بر الأمـــان دون متاعب ، فإن كثيـراً من مواد التجميل والزينة بتفاعلها مـن الجـدل قـد تصيبيه بأذى فتظهر متاعب وأضرار وآلام ، والمنطق هنا يقتضي الحـرص على تلافي كل ذلك باستعمال المواد التي لا تضر ، وعدم الإسراف فـي هـذه الناحية الهامة وقراءة الكلمات التالية حتى يكون التجميل والتزني وفق أصـول علمية طبية وصحية لا طبقاً للموضة أو جرياً وراء دعايات مبالغ فيها.

- لكل سيدة في حدود العـرف والقانون أن ترتدي من الثياب ما يزيدهـا أناقة ورشاقة ، وأن تضع المساحيق والأصباغ والعطور ما يكسب بشـرتها نضارة وجمالاً ، ولكن عليهـا في الوقت نفسه أن تدرك أن تستخدمه مـن مواد الزينة والتجميل قد يكمن بين ثناياه مرض جلدي معروف مشهور هـو الأكزيما وأكزيما اللامسة على وجه التحديد.

ضريبة التقـــدم

وينتج هذا النوع من الأكزيما من ملامسة سـطح الجلـد لمـادة تثـير الحساسية ، فيلتهب ويكتسب لوناً أحمر ، وقد تبدو عليه حويصلات أو فقاعـات مائية ، بحيث تظهر الصورة كما لو كان الجلد قد أصيب بحرق أو تعرض لماء ساخن ، أو زيت مغلي ، إلا أن هناك فروقاً واضحة بين التهابات الجلد نتيجـة الحرق أو نتيجة الملامسة لمادة تثير الحساسية، ففي الحالة الأولى وهي الحـرق

لا يشكو المريض من رغبته في الهرش كما أن جلده يتعرض للالتهاب عقب تعرضه للنار أو الماء أو الزيت المغلي فور وقوع الحادث ، أما في الحالة الثانية وفي أكزيما الملامسة ، فإن الرغبة في الهرش تكون شديدة بدرجة ملحوظة ، كما أن الالتهاب لا يحدث فور تعرض الجلد للمادة المؤثرة ، بل يستغرق الأمن عدة أيام يتكرر خلالها تعرض الجلد لنفس المادة على أن هناك فارقاً آخر له أهمية ، وهو أنه في حالة الحرق يظهر الالتهاب في كل شخص يتعرض له أما أكزيما الملامسة فلا تظهر إلا فيمن يشكون من الحساسية لهذه المادة التي تعرضوا لها.

كما أن الالتهاب في هذه الحالة قد ينتقل من نقطة إلى أخرى ، وليس الأمر كذلك عند حدوث الحرق، ولا ترجع أهمية أكزيما الملامسة فحسب إلا أنها من أكثر أنواع الأكزيما انتشاراً في الوقت الحاضر ، بل ترجع كذلك إلى أنها عن يقين سوف تزداد في المستقبل تبعاً لاطراد التقدم العلمي والاقتصادي في العالم ، ذلك بأن عدد المواد المثيرة للحساسية يزداد يوماً بعد يوم بسبب ما يقدمه علم الكيمياء بين حين وآخر من مواد جديدة لم تكن معروفة من قبل كالنايلون على سبيل المثال.

ولما كان الذين يستخدمون هذه المواد يزداد عددهم سنة بعد أخرى فلا مناص من تعرض بعضهم للإصابة بأكزيما الملامسة باعتبارها جزءاً من الضريبة التي تدفعها الإنسانية ثمناً لتقدمها الحضاري ولهذا كانت مواد الزينة والتجميل أول ما تتجه إليه أنظار أطباء الجلد عن بحث حالات الأكزيما التي تصيب السيدات ، فقد تشكو السيدة من حكة جلدية أو التهاب في الساقين ، ويبدأ ذلك غالباً الجزء الخلفي من الفخذين ، ثم ينتشر في الساقين وذلك بسبب ما

تلبسه من جوارب وثياب مصنوعة من ألياف النايلون ، وقد تشكو السيدة مـــن أكزيما الصدر أو غيره من أجزاء الجسم لأن ملابســها الداخليــة تدخــل فــي صناعتها ألياف صناعية تثير حساسيتها.

التشخيص السليـــم

ومادة البلاستيك كذلك قد تثير الحساسية وتسبب أكزيما القدميـــن لمــن تستخدم الشباشب والأحذية المصنوعة من هذه المـــادة ، ولمـــا كـــان النيكــل والكوبالت والكروم والبلاتين والقصدير من المعادن التي تدخل فـــي صناعـــة الحلي التي تتزين بها السيدات فكثيراً ما يظهر التهاب عندهن حول الرقبــــة أو بالأصباغ أو حول الرسغ بسبب ما يتزين به من قلائد وعقود وخواتم وأساور ، أما في حالة استخدام صبغات الشعر ، فإن الالتهاب يبدأ غالباً بحكة شديدة مـــن ظهور احمرار في الجلد وتورم في الجفون العليا وكذلـــك فـــي صـــوان الأذن وجانبي الرأس ، وظهر الرقبة ثم يظهر الاحمرار شديداً خلف الأذنين وينتقـــل إلى أماكن بعيدة كاليدين والساقين ، وغالباً ما يسبب الالتهاب الحاد في مثل هـذه الحالات انزعاجاً شديداً للسيدة إذا فوجئت بأن عينيها مغلقتـــان بســـبب تـــورم الجفنين ومما تجدر الإشارة إليه أن أكزيما الملامسة بسبب اســـتخدام صبغـــات الشعر ليست مقصورة على السيدات بل قد تصيب كذلك مصففي الشـــعر مـــن الرجال ، وتسبب لهم التهابات شديدة في أيديهم ، ولما كان قلم الحواجب يحتوي على الماسكرا أو مواد قطرانية سوداء ، فقد تسبب هذه المواد احمرارا وانتفاخـاً في الجفون أما مزيلات العرق فهي من أهم أسباب أكزيما الملامسة التي تظـــهر تحت الإبطين وكثيراً ما تسارع السيدة عندما تبدأ في الشكوى من هذه الأكزيمـــا إلى وضع مراهم البنسلين أو بودرة السلفا على جلدها دون أن تدري أنـــها قـــد

تكون حساسة لأي من هذين العقارين فتزيد الأمر سوءاً إذ تصبح الأكزيما أشـد وطأة وأصعب علاجاً ، وعلاج الاكزيما الملامسة يعتمـد فـي البدايـة علـى التشخيص السليم فهو المدخل للشفاء أما الخطوة الثانية فهي التعرف على المـادة المسببة للأكزيما مما يستدعي تعاون السيدة المريضة إلى حد كبير لأن الكشـف عن السبب قد يكون سهلاً بتعاونها أو صعباً باتخاذها موقفاً سلبياً ولكنه في جميع الأحوال أمر ضروري للشفاء وإلا فسوف تظل المريضة تستخدم نفس المادة إلى أن يصبح المرض مزمناً على أنه من الممكن إجراء اختبار يسير للتأكد في حالة الشك من المادة المسببة للمرض ، وذلك بوضع كميات صغيرة جداً مـن تلـك المادة على جلد ذراع المريضة ، فإذا أحدث به التهاب موضعي بعد ٣٨سـاعة كان ذلك على صحة الاستنتاج ومن الواجب في هذه الحالة أن تقلع المريضـة نهائية عن استخدام هذه المادة دون إبطاء ولا شك في أن الإقلاع الكـامل عـن استخدام المادة المسببة للحساسية هو العلاج الناجع لاكزيما الملامسة ، أما مـا يستخدم من الأدوية في العلاج ، فإن الموقف يعتمد على شكل الالتهاب ، فـإن كان الجلد مبتلاً بسبب ظهور حويصلات وفقاعات مائية ، فإن محلـول ١٠% خلات الألومنيوم يعتبر العلاج الأفضل ، أما إذا كان الجلد جافاً ، فإن مراهـم الكورتيزون تحدث أثراً ملطفاً وسريعاً كما يمكن استخدام أقراص الكورتـيزون والأقراص المضادة للمسامين عن طريق الفم مرة أخـرى أقـول لكـل سـيدة وبصوت عال هذه المرة تذكري الأكزيما عندما تفكرين في الزينة فالصحة قبـل الجمـال.

جمالك صناعي مؤقت أم طبيعي دائـــم ؟

استعمال مساحيق ومواد التجميل لا تعني الوصول إلى الجمال المطلوب بالعكس إنها قد تؤدي وتضر بدلاً من أن تنفع وتفيد ، ومن أجل هذا فلابد مـــن توضيح الصورة لكل فتاة وسيدة تستعمل هذه المساحيق والمواد وتصر عليـــها وتسرف في استعمالها ...

إن هذا التوضيح الذي يأتي على لسان أخصائية فـــي أمـــراض الجلـــد مطلوب جداً من أجل جمال طبيعي دائم لا جمال صناعي مؤقت.

لكي نحافظ على جمال بشرتك وخصوصاً بشرة وجهك يجب أن تـــهتمي بها دائماً والأغلبية العظمى تفهم هذا فهماً خاطئاً ، إذ تحاول استعمال كثير مـــن مواد التجميل التي تظهر دائماً مكتملة الزينة ، تم تنزيل هذه المواد بمواد أخـــرى منها ما يسمى منظف للوجه ومنها ما يسمى مرطـــب للبشـــرة وغيرهـــا مـــن الكريمات.

التهـــــاب:

إن مواد التجميل مثل مساحيق الوجه وأقلام الشفاه وأقـــلام الحواجـــب وألوان الظل وغيرها تحتوي على مواد كيميائية قد تؤدي إلى تشـــويه بشـــرتك وتختلف درجة التشويه من بشره إلى أخرى ، ومن مركب إلى آخر ، فيمكن أن يكون التشويه على شكل التهاب بسيط يظهر على هيئة احمرار طفيف وتصحبـــه بعض القشور مع الإحساس بحكة ويتدرج في بعض الأحيان إلى التـــهاب حـــاد مثل الأكزيما مع انتفاخ في الوجه .

ويمكن أن تنتقل الالتهابات إلى أجزاء أخرى من الجلد لم يسبق وضع أي من هذه المركبات عليها.

والالتهاب الناتج عن استعمال مواد التجميل يمكن أن يحدث فجأة عند استعمال مركب لأول مرة ، أو بعد فترة من استعمال نفس الأشياء التي تستعملينها دائماً لعدة سنوات.

وفي هذه الحالة تلجأ بعض الفتيات والسيدات التي تغير نوع مادة التجميل واستعمال نوع آخر ، ولكن يجب أن تتذكري يا سيدتي أنه في معظم هذه المركبات توجد بعض الكيماويات التي تكون أساس هذه التركيبات أي كان نوعها ، ولذلك يستمر الالتهاب وتزداد حدته.

الماء والصابون:

ولذلك عليك يا سيدتي أن تتجنبي هذه المساحيق على قدر المستطاع ، وأن تعلمي أن بشرتك بدون تدخل منك ستظل إلى أطول وقت محتفظة بنظارتها ولا تستعملي المساحيق إلا عند الضرورة لأنك لا تعلمين ما تخبئه لك من أضرار.

ولا تكثري من استعمال ما يسمى بالكريمات المغذية للبشرة والمرطبة وغيرها ، لأنها كذلك قد تحتوي على بعض المواد الكيميائية التي قد تكون بشرتك حساسة لها .

وكما ذكرت في مواد التجميل ، فإن هذه الحساسية يمكن أن تظهر بعد استعمال نفس نوع الكريم لفترة طويلة.

إذن فاتركي بشرتك كما هي لا تثقليها بالمواد الملونة والمغذية والمرطبة

وإذا وضعت أي مكياج منه في أقصر وقت ممكن اغسلي وجهك بالماء والصابون كثيراً خصوصاً لو كنت تشكين من أن بشرتك دهنية.

وإذا ظهرت حبوب أو نقط سوداء في وجهك أو غيرها فيجب أن تستشيري أخصائي أمراض جلدية ولا تحاولي أن تخفيها بالمساحيق ، وإذا ظهرت التهابات في وجهك فلا تستعملي المكياج تماماً ولا تستبدلي أنواعاً بأخرى وأريحي بشرتك.

الشباب يضربون عن الزواج

لقد أحجم كثير من شبابنا عن الزواج حتى قل عدد المتزوجين قلة يخشى منها انقراض النسل شيئاً فشيئاً.

وربما كان الباعث لهم على هذا الإحجام هو التغالي في المهور أولاً ، وكثرة مطالب أهل الفتاة من مبتغي زواج فتاتهم ثانيا ، وانغماس الفتيات في الترف والزينة وتعودهن الإسراف والتبذير وخروج بعضهن عن حدود اللياقة مما جعل الشباب يظنون بهن شراً ولا يعتقدون فيهن خيراً.

أما الترف والزينة فحدث ولا حرج ... وأما التغالي في المهور ، فقد صار آباء الفتيات يفتخرون بكثرتها ، ويتباهون بوفرتها ، فمن كان صداق ابنته أكثر ، كان هو الشريف الأطهر ، وربما منع الكفء بسبب ذلك ، وحل غير الكفء محله ، فيا أيها المتغالون في المهور ، الطالبون فيها مئات الدنانير ، لقد أوجدتم في سوق الزواج كساداً عظيماً ، وجنيتم على الأمة جناية لا تغتفر ، أما سمعتم قول نبينا الأكرم ﷺ :"أيسركم صداقاً ، أكثرهن بركة"[1].

ذلك لأن قلة الصداق تروج حركة الزواج وتسهله على رغبيه ، وتجعل الرجل يشعر بعطف أصهاره عليه ، فيحفظ لهم هذا الجميل ويرده إليهم في أقرب الناس إليهم فيحسن عشرة كريمتهم ، ويقوم بواجبها خير قيام ، وأما ما يسمونه بالشبكة والنيشان ، فهي أشياء لا أصل لها في الدين ، ولا

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ بل بلفظ : "من يمن المرأة تيسير خطبتها وتيسير صداقها" أخرجه الإمام أحمد ٦/٧٧ و ٩١

وجود له في سنة خاتم النبيين ، وما هي إلا بدع ابتدعها المتأخرون فحل وبالها على الأمة جمعاء ، وعاد شؤمها على البلاد بأسرها ، ولا غرابة ، فقد كان ذلك سبباً في انغماس كثير من الشبان في بؤر الفساد ، إذا صاروا يفضلون الذهاب إلى بيوت الدعارة والفجور على زواج يكلفهم مطالب لا طاقة لهم بها ، ولا قدرة لهم على احتمالها ، وكانت نتيجة ذلك أن حلت بنا المصائب والبلايا ونزلت ببلادنا المحن والرزيا...

﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (الشورى : ٣٠).

وأما انغماس الفتيات في الترف والزينة ، فهو أمر عم جميع الأوساط سواء في ذلك الأغنياء والفقراء والمتوسطين فقد صارت الفتاة تكلف ذويها من الملابس مالا يطيقون ، ومن أنواع الزينة ما لا يحتملون.

حتى صار الشاب يخيل إليه أنه لا يقدر على مطالب الفتاة مهما أوتي من النعمة ، ومهما نال من المال ، وهذا من أهم الأسباب التي حملت الكثير على الإحجام عن الزواج واللوم في ذلك عائد على أولياء أمورهن ، فإنهن سلكوا بهن طريق الإسراف والتبذير وإنفاق المال في غير محله ، وعودوهن الإكثار من الملابس وهو مدعاة إلى كثرة الخروج ، وكثره الخروج مدعاة إلى الفساد والفتنة.

فاتقوا الله أيها المسلمون ، واتركوا الأسباب الباعثة على كساد سوق الزواج ، وأدبوا أبناءكم بآداب الدين ، وتمسكوا بسنة خاتم النبيين ، واعملوا بما أمركم به ربكم ذلك أزكى لكم وأطهر ، والله يهدي السبيل.

الزواج في علم النفس

الإقدام على الزواج واختيار الزوجة وأظهر ما قيل فيها أمران متداخلان:

الأول : الحاجة الفطرية إلى الشريك الملائم الذي يمكن أن يتوافر معه في المستقبل تعاون بناء ، وتفاهم هادف.

فالرجل يبحث عن المرأة المخلصة التي تؤمن بقيمه ، وتقدر جهوده وتحفزه إلى النشاط ، وتعينه على العمل.

والمرأة تبحث عن الرجل الذي يؤمن برسالتها ، وينهض بواجب رعايتها ، ويمكنها أن تعتمد عليه، وتطمئن إليه ، وتمنحه ثقتها في مواجهة الحياة وأعبائها.

الثاني : حاجة الإنسان إلى من يحقق له التوازن بين ما فيه من قوى مختلفة، ففي كل من الرجل والمرأة نزوع إلى تلقي العناية من الغير كالطفل وإلى بذله للغير كالأب.

وفي الزواج إشباع لهذه الناحية أيما إشباع ، وهذا ما يعنيه "أدلر" بقوله : إن الحب مزيج من القوة والحنان.

وهو الذي يفسر لنا ما نراه من اهتمام المرأة بتدبير شئون الرجل والإشراف عليه كأنما هي مسئولة عنه ، في الوقت الذي نراها تشعر بحاجاتها إلى رعايته وحمايته ، وهو الذي يفسر لنا كذلك ما نراه من ميل الرجل إلى أن

تكون له امــرأة يحميها ويغار عليها في الوقت الذي هو فيــه مســتعد لتلقــي رعايتها وحنانها.

هذا بالإضافة إلى العوامل اللاشعورية التي تنطبع منذ الطفولة البــاكرة، والتي تظهر آثارها في الاختيار ثم في الحياة الزوجية ذاتها من بعد.

وهذه الناحية تلتقي مع بعض ما أشير إليه عند الكــلام عــن الغــاية الأولى من الزواج في الآية الكريمة :﴿ ومن آياته أن خلق لكــم مــن أنفســكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعــل بينكم مودةً ورحمةً إن فــي ذلــك لآيــات لقــوم يتفكرون﴾ (الروم : ٢١).

الاستعداد النفسي للزواج : يذكر بعض الباحثين أنه وإن يكون النضــج الجنسي يتم مبكراً ، فإنه لا يكــفي لبناء بيت الزوجية الذي لا يتأســس علــى الدافع الجنسي وحده ، وإنما يعتمد على النضج النفسي كذلك ، ولذا فإنه ينبغــي التمهل والأناة قبل الإقدام على هــذه الخطوة ، والسن الملائم للرجل عادة هــو ٢٨ عاماً ، وللمرأة ٢٥ عاماً ، كي يبدأ حياة زوجية ســعيدة يكتنفــها الإدراك الواعي لمعنى الزواج ، والفهم السليم لمسئوليته.

وهذه الناحية لا نرى بها بأســاً من وجهة النظر الدينية ، بــل نراهــا قمينة بالرعاية والبحث.

ذلك أن مناط مشروعية الزواج ليــس هو القدرة الجنسية فحسب ، بــل هو كذلك: القدرة على تكاليف الزواج ذاته ، والنهوض بمؤنــة ومســئولياته ، وتوفير وسائله المفضية به إلى غاياته.

وهــذه أمور تستلزم إلى جانب القدرة الماديــة : الخبرة الشخصية ،

والثقافية والعلمية والاجتماعية والدينية.

وقد فُسر النكاح في قوله تعالى : ﴿ وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾ (النور : ٣٣) بالقدرة على استحصال وسائله، وهي تنظم سائر ما ألمحنا إليه.

قال القرطبي في تفسيره الآية : فأمر الله تعالى بهذه الآية كل من تعذر عليه النكاح ولا يجده بأي وجه تعذر: أن يستعفف ، ثم لما كان أغلب الموانع من النكاح عدم المال وعد بالإغناء من فضله... إلخ.

ثم قال:﴿ لا يجدون نكاحاً﴾ ، طول نكاح[1].

كذلك فسرت الباءة في قوله ﷺ :"من استطاع منكم الباءة فليتزوج".

إن من قواعد الإسلام أنه :"لا ضرر ولا ضرار".

والجاهل يضر من يتعايش معه ولا ريب، ومن حق المشرع أن يتدخل لحماية الكيان الأسري إذا ما تعرض للتمزق والتصدع ، فيحدد للزواج سناً معيناً، بيد أننا لا نميل إلى الأخذ بتحديد سن زمني معين ، فالعمر العقلي أولى بالاعتبار.

نعني : الخبرة الشخصية والنضج النفسي.

فكم من كبير مسن لا يزال في إدراكه وسلوكه وانفعاله طفلاً؟

وكم من حدث تراه في حذقه وثقافته وذكائه رجلاً؟

وكما قال الغلام الوافد مع الملأ من قومه على عمر بن عبد العزيز حين استصغره الخليفة وقال : ارجع أنت ، وليتقدم من هو أسن منك ، قال :

---

(١) انظر : "الجامع لأحكام القرآن" ٢٤٣/١٢.

لو كان الأمر يا أمير المؤمنين بالسن لكان في الأمة من هو أحق منك بمجلسك هذا ، ومتى أعطى الله المرء لساناً لافظاً ، وقلباً حافظاً ، فقد استحق الكلام؟

وللعمر العقلي شأن عند أرباب التربية والتعليم ، فلم لا يكون كذلك عند خبراء الاجتماع ، والمعنيين بشئون الأسرة.

هذا إلى أن التحديد بسن زمني معين ، لا يتناسب واختلاف الناس في المقدرة المادية على الزواج وأعبائه ، فهي أمر نسبي ، إذ أنها عند الفلاح ، غيرها عند العامل ، غيرها عند الطالب... وهكذا.

ومع ما ينبغي أن يشترط للزواج من الصحة البدنية والقدرة المادية ، ينبغي أن تراعي الخبرة الشخصية ، والصحة النفسية ، والثقافة الدينية والاجتماعية ، وحينئذ يكون كل من الفتى والفتاة أهلاً للزواج.

ولا بأس أن تشرف الدولة على تنظيم هذه الناحية ورعايتها.

وفي أمريكا وأوربا وغيرها أنشئت مدارس خاصة للزواج وشئونه ، ونحن أولى منهم بهذا ، لأن شأن الزواج عندنا أخطر منه عندهم؟

ومن ناحية الصورة المثالية التي يرسمها كل شخص في ذهنه لشريك الحياة كما يشتهي أن يكون ، والتي يحاول الاقتراب منها عند الاختيار ، فإننا نلاحظ كما يقرر علم النفس أنه بقدر نضوج الشخص يكون سعيه إلى الشخصية المتكاملة التي تحوز كمال النفس ، ونقاء المخبر ، بجانب جمال الجسد ، وراء المنظر.

وكلما كان حظ الإنسان ضئيلاً من الثقافة والحضارة والنضوج النفسي تكون نظرته السطحية ، وعنايته بالمظهر الشكلي ، وإغفاله سَبْرَ الجانب النفسي،

وقلة اهتمامه بتحققه.

لا بأس بالرغبة في النواحي المادية حين يكون الدين والخلق هما الركيزة والأساس ، فإذا لم يتأت إلا أحد الأمرين رجحت قوة المخبر على جاذبية المظهر.

بيد أن علم النفس إذ يشهد بقيمه الشخص الذي ينظر إلى شريكه نظرة متكاملة متساوية ، وبتفاهة من يخلد إلى أرض المادة في هذه الناحية يشهد بذلك للدين الذي يوجه الناس تلك الوجهة بسمو توجيهية ، وصدق تقويمه ، وبعيد نظرته.

النضج النفسي : يتمثل النضج الذي يختار الإنسان من نطاقه في اكتمال نمو الشخصية ، والانسلاخ في إهاب النرجسية والأنانية ، والاستعداد للأخذ والعطاء ، بل العطاء أكثر من الأخذ ، والاهتمام بالآخرين أكثر من الاهتمام بالذات.

وهذه الناحية لا تعدو أن تكون إحدى مظاهر الايثارية التي تغرس الإيمان عاطفتها النبيلة في حقول النفوس الخصبة ، فإذا بها بعد الأثرة مؤثرة، وإذا بها بعد الأنانية معطية!

أو ليست عاطفة الإيثار هي التي كرم الله ذويها بالفلاح في الدنيا والآخرة ، وقلدهم بها أرفع الأوسمة ، وخلد ذكرهم في كتابه المبين ، وجعل فيهم القدوة والأسوة حيث قال سبحانه وتعالى في تصوير صنيع فريق منهم : ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً ﴾ ... الآيات(الإنسان:٨).

وفي تصوير صنيع فريق آخر : ﴿ والذين تبوأوا الدار والإيمان من

قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾. (الحشر : ٩).

أو ليس لهاتين الصورتين انطباع بعيد المدى لدى كل مؤمن ينعكس على سلوكه الفردي والجماعي؟ ولا سيما في الحياة الأسرية؟

تقارب المستويات : يقرر علماء النفس أنه ينبغي أن لا يكون بين الطرفين بون كبير في تكامل الشخصية ، أو تفاوت في المستويات العقلية والاجتماعية والانفعالية، فإن التفاوت قد يؤدي إلى التنافر، أو يؤدي بالتوافق بينهما. وتتقارب المستويات في هذه النواحي ، إذ قام الزواج على أساس من الروابط الجنسية والدينية والثقافية.

وكل زواج لا تراعى فيه هذه الروابط محكوم عليه بالفشل غالباً ، ومن الصعب تحقيق التكيف أو التوافق فيه ، فعلى الإنسان أن يتصبر في الاختيار.

حياة الزوج منذ الطفولة : يقرر علماء النفس أن سعادة الوالدين في حياتهما الزوجية ، وأسلوب تعاملهما ، ومدى التوافق بينهما ، وسعاة الطفل ذاته في ظل هذه الأسرة وعلاقاته بأبويه وأخوته وذويه ، وسيره وسلوكه منذ طفولته المبكرة ، كل ذلك أمور تنعكس على صفحة الحياة الزوجية للمرء إدراكاً ، ونزوعاً ، وانفعالاً وشروعاً ، وتغدو عامل سعادة ، أو شقاء ، نجاح أو فشل ، فلينظر الإنسان ممن يقترن؟

وذلك مما أشار إليه النبي ﷺ حين قال : "تخيروا لنطفكم... " الحديث.[١]

---

(١) انظر : "منهج السنة في الزواج" ص٣٣١.

هذه هي الأوصاف المطلوبة في الزوجة

هي الناظرة في عيبها ، المفكرة في دينها ، المقبلة على ربها ، الخفي صوتها ، الكثيرة صمتها ، اللينة الجناح ، العفيفة اللسان ، الظاهرة الحياء ، الورعة عن الخناء ، الواسعة الصدر ، العظيمة الصبر ، القليلة المكر ، الكثيرة الشكر ، النقية الجيب ، الطاهرة من العيب ، الحبيبة ، الكريمة ، الرضية ، الزكية ، الرزينة ، النجيبة ، السهلة الخلق ، الرقيقة ، البرية من الكذب ، النقية من العُجب ، التاركة للقذى ، الزاهدة في الدنيا ، الساكنة ، الجازمة ، الستيرة ، الحقيرة ، لا متفاكهة ، ولا متهتكة ، قليلة الحيل ، وثيقة العمل ، رحيمة القلب ، خليصة الود ، إن زجرت الزجرت ، وإن أمرت ائتمرت ، تشنأ الصلف ، وتبغض السرف ، وتكره المكروه ، وتمقت الفخر ، وتتفقد نفسها بطيب النساء والكحل والماء ، قنوع بالكفاف واستتار بالعفاف ، لها رحمة بالأهل ، ورفق بالبعل ، تضع له خدها ، وتخلص له ودها ، وتملكه نفسها ، ولا تملأ منه طرفها، وتترك لأمره أمرها ، وتخرج لآرائه عن رأيها ، وتوكل عن نفسها ، وتأمنه على سرها ، وتصفيه غاية الحب، وتؤثره على الأم والأب ، ولا تلفظ بعيبه ، ولا تخبر بسره ، وتحسن أمره ، وتتبع سروره ، ولا تجفوه في عسر ولا تقلاه في فقر ، بل تزيده في الفقر وداً وعلى الافتقار حباً ، تلقى غضبه بحلم وصبر ، تترضاه في غضبه ، وتتوقاه في سخطه ، وتستوحش لغيبته ، وتستأنس لرؤيته ، قد فهمت عن الله ذكره وعلمه ، فقامت فيه بحق فضله ، فعظم بذلك فاقتها إليه ، ولم يجعل لها مُعولاً إلا عليه ، فهو لها سمع ولب ، وهي له بصر وقلب.

إظهار محاسن المرأة لزوجها والاهتمام بمظهرها

اعلمي أيتها الأخت المسلمة أن على الزوجة أن توفر لزوجها كل أسباب الراحة والاطمئنان والسكن والمودة والرحمة ، وعلى الزوج أن يجد ويعمل ليوفر لها متطلبات الحياة وواجباتها ولوازمها.

لذلك فالرجل يشقى ويكدح ثم تنتهي حركته في الحياة إلى زوجته ، فيجب أن يجد عندها الهدوء والسكن والاستقرار، فلا يخفى على أحد أن أول ما يجعل الرجل يتعلق بالمرأة هو صورتها الحلوة التي رآها عليها أول مرة.

ولكن سرعان ما تنسى غالبية الزوجات هذه الحقيقة بعد الزواج ، فيهملن في أنفسهن شيئاً فشيئاً حتى تصبح على عكس صورتها الحلوة التي رآها زوجها عليها أول مرة ، ولا تزال مصرة على هذا الإهمال الذي يظهر بعدما ترزق بعدد من الأولاد فما هي قد كبلت الرجل بهذا تأكدت أن زوجها لن يستطيع الفرار .

وهذه الأمور يترتب عليها انهيار الصورة التي رسمها الرجل عن المرأة ساعة زواجه بها ، ومن المؤكد أن انهيار هذه الصورة الحلوة يؤدي إلى تصدع البيت ، فنجد زوجة جميلة يهملها زوجها ويتطلع إلى غيرها ، وفساد أغلب البيوت من هذه المسألة.

فعلى المرأة أن تتزين وتتعطر وتحسن من هندامها في بيتها ولزوجها فقط ، فكم من نساء قليلات الجمال تمتلك الواحدة منهن قلب زوجها وعواطفه بحفاظها وحرصها على نظافتها ، وبهاء زينتها وملبسها ، وحلو كلامها.

فاعلمي أن الزينة ادعى لشهوة الرجل وأملأ لعينـــه وأظـــهر لمحاســـن المرأة، وأدوم للألفة والمودة.

قال أبو الفرج في كتاب النساء ما معناه : "إن المرأة تحظى عند زوجـها بعد تمام خلقها وكمال حسنها بأن تكون مواظبة على الزينة والنظافـــة، عاملـــة بما يزيد في حسنها من أنـــواع الحلى واختلاف الملبس ، ووجوه الـــتزين بمـــا يوفق الرجل ويستحسنه منها في ذلك ، لتحذر كل الحذر ، أن يقع بصر الرجـــل على شيء يكرهه من وسخ أو رائحة مستكرهة أو تغيير مستنكر.

وإن الخطر في تضيعه عائد عليها خشية أن يتبين لبعلها التقصير منـــها فتطمح نفسه إلى غيرها ، وتضاعف الزوجة من تزينها في الأوقات التي ذكرها الله تعالى في قرآنه الكريم والتي نهى الأقرباء والأطفال مـــن الدخـــول علـــى الزوجين أثناءها إلا بإذن ، ويقول الله تعالى :﴿يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذي ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صـــلاة الفجـــر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ، ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكـم﴾ (النور : ٥٨).

ومهما يكن من شأن التربية ، فيجب على المـــرأة المسلمة أن لا تبـــالغ فيها ولا تجعلها أكبر همها ومبلغ علمها ، وأعظم مشاغلها ، وإلا برهنت علـــى خفتها وجهلها وضآلة تفكيرها.

فالبساطة والاعتدال فيهما الجمال كل الجمال، وعلى أي حال فإن المرأة المسلمة بمنجاة من المبالغة في الزينة بشكل منفر.

واعلمي أيتها الأخت المسلمة أن الإسلام حين يطلب من المـــرأة أن لا تبتذل ولا تتبرج ، وألا تبدي زينتها إلا في حدود تعاليم الدين ، فالإسلام عندئـــذ

يريد تكريم المرأة ، وأن يضعها في موضعها الطبيعي زوجاً تمثل السكن والحضانة لأشرف جنس في الوجود مثلما أمر الرجل بغض البصر وحفظ الفرج، فاحرصي أيتها الأخت في الحفاظ على زوجك وبيتك وسعادتك.

ويقول الدكتور عبد المتعال الجبري[1] ومن الأسف أن ترى كثيرات من السيدات يهملن الزينة والتجمل منذ اليوم الثاني من الزواج وهذا تقصير فاحش ، ربما كانت الزوجة لا تشعر به ، لاعتقادها ارتفاع الكلفة بينهما ، ولكن لهذا تأثير سيئ في نفس زوجها ولا سيما إذا أنس منها التجمل والزينة قبيل خروجها لزيارة قريباتها.

والحقيقة أن التجميل لا يكون إلا للزوج تطيباً لخاطره ، وهو واجب عليها وحق له لا يسقط ، وأن مضي الشطر الأعظم من الحياة.

وليس القصد من حض المرأة على التجميل لبعلها أن تضيع وقتها الثمين أمام المرآة معجبة بجمال صورتها أو بطول شعرها أو باعتدال قوامها ، فإن الإعجاب بالنفس دليل على ضعف العقل.

وإنما القصد حثها على النظافة والترتيب وهو يتناول تسوية الشعر وتنسيق الملابس على وجه خال من آثار التصنيع والتكليف.

وما أرقى خلال المرأة إذا أحست بحضور زوجها فهبت للقائه بأبهى مظاهرها من نظافة ثياب وطلاقة وجه ، وبسمة ثغر.

لأنه ما من امرأة قابلت زوجها على هذا الوجه إلا حاذت في قلبه المكانة العالية والمنزلة السامية.

---

(١) "طبيبك الخاص".

يجب على المرأة أن تتجمل لبعلها ، وذلك بتنظيف البدن وما يحيط بـــه من ثياب ولا شك أن المرأة التي تهمل نظافة نفسها تعمل على إبعـــاد زوجـــها بيدها فقد يرتمي في أحضان أخرى نظيفة ، فعليها أن تستحم قبـــل حضـــور زوجها من أشغاله ، ثم تلبس ملابسها الفاخرة وكما لو كانت في انتظار عظيـــم عزيز.

قال البرقوقي : جمال المرأة وتجملها بدرجة ميل الرجل وافتتانـــه بـــها وقـــوام الزينة النظافـــة ، ولتحذر المرأة كل الحذر أن يقع بصر الرجل منهـــا -أعني زوجها - على شيء يشمئز منه وينفر من وسخ أو شـــعث أو رائحـــة مستكره أو شيء من هذا.

وقد أوصت امـــرأة ابنتها فقالت : يا بنيتي .. لا تنسي نظافة بدنـــك ، فإن نظافة بدنك تحبب زوجك إليك ، ونظافة بيتك تشـــرح صـــدرك وتصلـــح مزاجك ، وتنير وجهك وتجعلك جميلة ومحبوبة ومكرمة عند زوجك ومشـــكورة من أهلك ومن ذويك وأترابك وزائراتك وكل من يراك نظيفة الجســـم والبيـــت تطيب نفسه وييسر خاطره.

وقد قال بعض الحكماء : (المودة جسم روحة بشاشة الوجـــه)، وقـــالت عائشة رضي الله عنها : فليزين الرجل لعبته مـــا استطاع فـــإن ذلـــك أدعـــى لشهوته وأملأ لعينه ، وأظهر المحاسن المرأة وأدوم للألفة والمودة.

والمقصود باللعبة النساء لقول عائشة أن النساء لُعب الرجل.

وقال أبو الريحان : في فصل من كتابه المسمى بالجماهير مـــا معنـــاه أيضاً: أنه يجب على المرأة أن تتجمل لبعلها وتزيد في تحسين نفسها ما أمكـــن، وذلك بتنظيف البشرة وتنقية المنافذ والحجرة وتزين الألواح من البـــدن وفيمـــا

أحاط به ، أما في البدن فتبيض البشرة بالغمرة – طلاء – وتوريدها وخاصة إذا كان فيه صخرة أصلية أو عارضة وتسويك الأسنان وتخليلها وتنقية العين وتكحيلها وتقليم الأظافر وتسويتها.

وأما فيما أحاط فيما أحاط بالبدن فالثياب أول ذلك وأولاد لأنه يمس زوجها فواجب أن تنظفها وتصقلها ، لئلا يسرع تعلق الأدران (أي الأوساخ) بها وليكن ذلك على اللون العام المحمود وهو البياض ، أو تلوينها بحسب الوقت وعادة أهل الزمان.

وقال التيفاشي: أجمع علماء الفرس وحكماء الهند العارفين بأحوال الباه (أي النكاح) على أن إثارة الشهوة واستكمال المتعة لا يكون إلا بالموافقة (التامة) من المرأة ، وتصنعها لبعلها في وقت نشاطه ، بما تتسم به شهوته ، وتكمل متعته من التودد ، والتملق ، والإقبال عليه والمثول بين يديه في الهيئات العجيبة والزينة المستطرفة التي تحرك ذوي الانكسار والفتور وتزيد ذوي النشاط نشاطاً.

وقال عبد الله بن جعفر في وصيته لابنته حين زفها إلى زوجها : عليك بالزينة واعلمي أن أزين الزينة الكحل ، وأطيب الطيب الماء.

ما الذي يجعل زواجك ناجحاً ؟

إذا طلب إليك أن تقدم نصيحة لامرأة في طريقها إلى القفص الزوجي ، فما هو الشيء الوحيد الذي تود قوله لها؟

هذا السؤال طرح على عدد من الأزواج والزوجات فجاءت الأجوبة مختلفة ، إذ لوحظ أن لكل زواج سمته الخاصة وطريقته الخاصة ، ومن هنا استخلص واضعو الدراسة أنه يتعين على كل رجل وامرأة أن يعملا على إيجاد نمط زواجهما الخاص بهما ، أي أنه ليست هناك طريقة محددة بعينها تنتهج لكل زواج ، ومع ذلك ، حددت الدراسة بعض النصائح للزوجة ، ندرجها فيما يلي :

- حاولي أن تتفادي المقارنات ، إذ ليس بوسعك أن تحلمي من خلال المظاهر الخارجية على الماهية الحقيقية لزوج أو لزوج آخر.
- لا تفترضي دائماً عندما يشعر زوجك بأنه غير سعيد ، أنك أنت المسؤولة عن عدم سعادته ، فلست وحدك مصدر سعادته ، فضلاً عن أنه عليك ألا تكوني كذلك.
- كوني على استعداد دائماً كي تتبيني أن الزواج يختلف اختلافاً كبيراً عن فترة التعارف والخطوبة ، إن الخطوبة لفترة من الزمن ، يمكن أن تعلمك الكثير من عادات شريكك وخصوصياته أي سماته المميزة.
- لا تترددي أن ترسمي على وجهك ضحكة بدل التكشيرة كلما استطعت ذلك . إياك وصياغة اختبارات لحب زوجك لك ، كأن تقولي له: إن كنت تحبني

فعلاً فهل ستفعل كذا وكذا ؟ فقولك هذا اختبار لسلطتك أكثر من كونه اختبار لحبه لك.

- ➢ راعي السلوك الرفيع : لقد اعتقد بعضنا كل الاعتقاد بأن الزواج يعني أنّ في وسعه أن يقول دون تردد كل ما يخطر بباله أو ما يخالجه من أحاسيس ، وأن استخدام اللياقة والديبلوماسية والدماثة في علاقة حميمة إنما هو ضرب من الزيف ، بيد أن التجارب أظهرت أن المجاملات في الحياة تجعل مركب الحب يتهادى في بحر خفيف الموج ، وحبذا لو تحلى الشريكان ، ولا سيما الزوجة ، بقسط جميل من السلوك الزوجي، بحيث تراعي الاحترام في حديثها إليه ، كأنها تتحدث إلى شخص تلتقي به لأول مرة، ومما يقارب بين الزوجين أن يعتاد كل منهما أن يتصل بشريكه إذا اضطرته ظروفه للتأخر عن العودة إلى الدار مثلاً ، فهذا يقيهما من ثورة الحنق على المدى البعيد ، وتنصح الزوجة بأن تحاول أن تجد لزوجها الأعذار إن نسي أو أخطأ ، واللباقة هنا أيضاً تجسد السلوك الحسن وتقوي الروابط بين الشريكين.

- ➢ من الذي يذعن للآخر ؟: قد تكونين متزوجة من رجل قوي الآراء في جميع المسائل ، وهو متزوج من المرأة التي تريده أن يفعل كل شيء على الطريقة التي تحبها هي .

وهكذا قد تنقضي السنوات وأنتما تحاولان توفيق الأمور فيما بينكما يوماً فيوماً غير أنه حتى لو كان زوجك غير ذي رأي خاص ، وحتى لو لم تكوني أنت نزاعة إلى التسلط ، فلابد أن ثمة آلاف القضايا التي يرغب كل واحد منكما في معالجتها على نحو مغاير، وإذا كنت ترغبين في الحفاظ على زواجك، فعليك بانتهاج أسلوب الوفاق منذ اليوم الذي تتزوجين فيه ، وأن

تثابري على ذلك طوال الحياة الزوجية ... وعندما تفسحين له المجال لتنفيذ رأيه ، عليك أن تفعلي ذلك دون أن تظهري له حنقك من ذلك أو تحميله على دفع الثمن ، أو أن تذكريه على الدوام بأنك قد أغرقته بفضلك في فسحك المجال أمامه.

والتنازل في سبيل الوفاق يجب ألا يعني مطلقاً أن ينطوي كلاكما على كره الاتفاق الذي توصلتما إليه بفضل تنازل كل منكما للآخر. كما يجب ألا تقوم العلاقة الزوجية على أساس نسبة ١٠٠% وعلى هذا النحو سيكون هناك فيض من التحمل والنية الحسنة عندما لا يبلغ أحدكما غايته.

- دعي جيشان العواطف نشطاً: إن العلاقة الجنسية في الزواج يجب ألا تقتصر على المضاجعة وحسب ، بل ينبغي أن تتجاوز ذلك إلى التغزل الذي يذكي الدفء في العلاقة الزوجية.

وعلى الزوجة أن تدرك بأنه إذا تغيرت بعض عادات زوجها في السرير، فهذا لا يعني بالضرورة أنه على علاقة بنساء أخريات ، ولا غضاضة في أن تطلب منه تغيير مكان نومها مثلاً إن كانت تفضل ذلك ، وعلى الزوجين أن يعرف كل منهما ما يحب الآخر في المعاشرة الزوجية وما لا يحب ، وأن لا يعمدا إلى تقويم أداء شريكه إثر كل اتصال.

- عندما يحتدم الأمر: ليس هناك زوجان يدوم زواجهما دون التزام كبير بما يربط بين كل منهما في السراء والضراء بل في المسرات والأحزان والحب والكراهية ، فالالتزام هو الذي يحملنا على تجاوز تلك الفترات الحرجة في العديد من الزيجات عندما يشكك أحد الزوجين في حبه لظروف زواجه ويشرع في التساؤل عن المخرج.

عندما يحتدم الأمر ويصل إلى هذا المأزق تذكري ما كانت عليه أحاسيسك أيام العزوبية ، واحمدي ربك قد يكون زواجك طبيعياً إلى أبعد الحدود، ومع ذلك تمر بك لحظات يشتط فيها فكرك إلى التساؤل: ترى كيف انقلب الإنسان المحب الطيب الذي تزوجته إلى شخص مروع بغيض؟

هنا ينصح خبراء الزواج الزوجة بأن لا تجزع لهذه الأفكار لأنها سوف تتجاوزها ، كما يذكرونها بأنه ليس عليها أن تشعر أنها غارقة في حب زوجها كل لحظة ، لا بل يذكرونها بأنه ليس في طاقتها أن تكون كذلك.

- الكمال لله وحده : لم أتزوج من إنسان يحب الأرض التي أمشي عليها ، أو يتحلى بلباقة تجعله يرغب في خفض صوته عند الخوض في القضايا السياسية، وليست لدي الموهبة أو القدرة على تحويل زوجي إلى إنسان من هذا النمط ، وعليك أنت بدورك أن تفهمي أي نوع من الرجال هو زوجك، وما هي محدودية المواهب وقدرات التحويل التي تمتلكينها ، فإن فعلت ، وفرت علي نفسك الكثير من العناء والمشقة.

- تجنبي التجريح بعد المناسبات الاجتماعية فقد يكون قاطعك مرتين ، وتفوه بكلمات تنطوي على الإدراك ، ونسي أن يمتدح طعام مضيفكما ، لا تسرعي إلى تبيان كل ذلك في آخر السهرة ، فلست معلمته ولست مصححة أخطاءه كما أنك لست أمه.

- قد تقبلين بحقيقة أنك غير قادرة على تغيير الصفات المتأصلة فيه كنظرته إلى المال ، أو عدم قدرته على التعبير عما يجيش في خواطره من مودة ، ومهما يكن من أمر ، فقد يمتلك الوهم ويحملك على الظن بقدرتك على تغيير الصفات السطحية لديه.

- الآن وقد أصبحت كنـــّة :في التعـــامل مع الحماة لا يفيدك شيء أكثر مـــن أن تتصوري نفسك ذات يوم في مكانها ، وأننا نحذرك بأنه عندما يشـــكو لـــك زوجك كم يسبب له الأهل من ألم فلا توافقيـــه بحماسة ، فقد لا يمكنك ببســـاطة أن تحبيه بالقدر الذي تحبه والدته.

- إن هناك نوعاً من الحموات ممن يقلن عندما تخبرينهن أن زوجك مصـــاب بزكام: لم يعتد قط الإصابة بالمرض عندما كان يقطن معي ، فإذا سمعت ذلـــك الزمي الصمت والهدوء.

- المال المال ثم المال: يساور بعض الزوجات الاعتقاد أن لـــدى أزواجـــهن بعض نواحي التعلق بالمال ، ومن.منا لا يميل بدرجات متفاوتة إلـــى التعلـــق بالمال؟

طالبي بأن يتوفر لديك بعض المال ، ولو بكميـــة قليلـــة كـــل شـــهر ، وصرحي أنها تخصك أنت شخصياً ولك أن تفعلي بها ما شئت ما طاب لـــك ، ولكن تأكدي أن يكون لدى زوجك بالمقابل امتياز مماثل إذا كنت من الســـيدات العاملات اللواتي يشاركن في مصروف البيت.

قد يكون الأمر أيسر لك بكثـــير إن أنت أحجمت عن مجادلتـــه بشـــأن المال. وبذا توفرين على نفسك الكثير من عناء التفكير والانزلاق إلى ثـــورات الغضب والعصبية.

- الإفراط في التوقعات :

ربما عشت في سعادة أكبر إذا استوعبت الحقيقة التاليـــة : إن زوجـــك يثني عليك عندما يحس بذلك ، وليس عندما تتربصين تنتظرين منه الثناء.

لا شيء يهدم الزواج ويجهز عليه أسرع من المفروضيات كالقول : يفترض به أن يكون كذا ، ويفترض به أن يفعل كذا ، وهذه هي الطريقة ، والطريقة الوحيدة التي يجب أن تجري عليها الأمور.

عليك أن تراجعي مفروضياتك أو بعبارة أخرى ما تطلبين أن يؤديه زوجك كفرائض.

- لا تتوقعي من زواجك أن يمنحك هوية وشخصية جديدتين ، ولا تتوقعي أن يحميك حماية مطلقة من عوادي الزمان أو يهبك سعادة أبدية ، إنه الجزء الأهم من الحياة ... والحياة فها الحلو وفيها المر.

عشر وصايا لزواج سعيـــــد

علاقة الحب مهمة جداً للناس جميعاً، ولكنه بالرغم من ذلك ، فقليلاً مـــا نفكر في كيفية تنمية هذه العلاقات، ولذلك نحرص في هذه الصفحات على تقديم بعض الأفكار التي ثبت أنها تقوي علاقات الحب عموماً والعلاقـــات الزوجيـــة بصفة خاصة:

١. **التواصــــل :**

رغم أن التواصل هو أهم المهارات التي تحافظ على علاقات الحب ، إلا أنــــه نادراً ما يتواصل النـــاس، بل يبدو كما لو أنهم يتحدثون إلـــى أنفســـهم طـــوال الوقت فهم إما غيـــر واضحين لما يريدونه أو يقولونه ، أو أنهم غير قـــادرين على تحويله إلى الكلمات المناسبة.

ومن الواضح أيضاً على المستمعين الجيدين هم أندر من المتحدثيـــــن ، والمشاركة وهي أساسية لبناء التفاهم والتواصل ، تتوقف تماماً عندمـــا يشـــعر المتحدث أن المستمع قد توقف عن الاستماع .

ولـــذلك فإن أية علاقة حب ستقوى كثيراً إذا استمع كل طــــرف إلـــى الآخر وتصرف تبعاً لهذه الاقتراحات:

أ. يجب أن يحاول كل واحد التعبير عن حبه للطرف الآخـــــر ، بالأفعـــال والأقوال ، ولا يجب عليه أن يعتقد أن الطرف الآخر يعرف مشـــاعره .. وحتى لو بدا الطرف الآخر خجولاً وأنكر أنه بحاجة إلى الاهتمـــام فـــلا يجب تصديقه.

ب. المجاملات مهمة جداً حتى عند الأداء الجيد للعمل المفروض ، وأيضـــاً التخفيف عند الفشل.

ج. يجب أن يخبر كل من الطرفين الطرف الآخر عندما يشعر بـــالحزن أو الوحدة أو سوء الفهم ، فمعرفة أحد الزوجين أن بإمكانه مساعدة شـــريك حياته يجعله يشعر بالقوة ، ويجب تذكر أن الحب لا يعنـــي أنـــه يمكـــن للمحب أن يقرأ عقل حبيبه.

د. يجب التعبير عن المشاعر والأفكار المفرحة بتلقائية ، فهذا يمد العلاقـــة بالقوة والحيوية ، ويسمح للأحداث الطارئة بتجديد روتين الحياة.

ه. أيضاً ، يجب الاستماع إلى الطرف الآخر بدون محاكمة ، فلا يجـــب أن يشعر أي من الطرفين الطرف الآخر بأن ما يشعر به تافه وغير حقيقـــي ، فهي تجاربه ، ولذلك فهي مهمة وحقيقية بالنسبة له.

و. ويجب على كل من الزوجين أن يجعل الآخرين يعرفون أنه يقدر شريكه ، فالتأكيد العلني للحب من قبل أحد الزوجين يشـــعر الطـــرف الآخـــر بالأهمية والفخر.

٢. **العاطفـــة :**

يبدو أننا نخاف من التعبير الجسدي عن الحب أو تلقي هذا التعبير مـــن الآخرين وهذا قد يرجع إلى أن اللمس مرتبط بمحرمات قديمة ، غالباً محرمـــات للجنس لاشعورية ، ولكن إظهار العواطف مهم جداً للصحة..

فالأحضان يمكنها أن تزيل الاكتئاب وتولد حياة جديدة في الجسد المتعب وتجعل الشخص يشعر بأنه أكثر حيوية ونشاطاً ، وإذا كانت العواطف الجســدية

غريبة على الشخص ، فمن الطبيعي أنه سيشعر بعدم الراحة في البداية ، ويمكن البدء مع العائلة والأصدقاء بالتصافح بالأيدي ، أو بربتة خفيفة على الظهر أو لمسة من الأصابع ، ومن هذا يمكن ينتقل إلى حضن دافئ أو قبلة رقيقة، ففتح الأذرع لشريح العمر يأخذ مجهوداً قليلاً ، ولكن فيه أوضح علامات الحب.

٣. **التسامح:-**

هناك دفء وقوة في كلمة "تسامح" فهي توحي بقوة باللطف والشفاء ولم الشمل والتجدد.

ولكن قد يكون الغفران صعباً جداً إذا لم يجد أحد الزوجين تبريراً لتصرف جارح صدر من الطرف الآخر ، ولكن يمكن أن يغفر فقط عندما ينظر إلى شريكه برأفة وحنو على أنه إنسان ، ولذلك فهو غير كامل وهو معرض للخطأ والضعف مثله تماماً.

فالحب يمكن الإنسان من أن يرى الخطأ بمعزل عن مرتكبه ، وبذلك يمكن أن يرى علاقة الحب المستمرة كأعظم وأكثر قيمة من الألم المؤقت المنتسب عن تصرف خاطئ منفصل.

٤. **الصدق:**

الأمان الشخصي ينبع دائماً من افتراض أن كلا من الزوجين سيكون صادقاً مع شريكه ، وعندما يهتز هذا الشعور بالأمان عن طريق الخداع تدمر الحياة الزوجية.

والثقة شيء مستحيل بدون صدق ، فعندما ينعدم الصدق ، لا يمكن أن يكون هناك حب ، ويمكن حتى للخداع التافه الذي يقصد به المحافظة على

مشاعر الطرف الآخر أن يقود إلى عدم الثقة.

فالحقيقة يمكــن أن تقدم بطريقة محببة ... ويجب أن نتقبل حقيقة أننا قد لا نستطيع أن نكــون أمناء طول الوقت ، ولكن إذا أردنا لعلاقاتنـــا أن تنمــو وتستمر فالصدق والثقة يجب أن يكونا هدفنا الدائم.

بجانب هذه الصفات الأربع الأساسية هناك الصفات الأخرى التي يمكنها أن تساعد على تقوية العلاقة الزوجية.

٥. عدم الغيـــرة:

حيث أن القليل من الناس فقط هم الذين يستطيعون التجرد تمامـــاً مــن الغيرة ، فيجب أن تنظم العلاقة مع هذه الصفة.

فالغيرة يمكنها أن تصبح وحشاً قادراً على تحطيــم حيــاة أي شــخص وتحطيم حياة من يحبهم أيضاً ، أو تكون تحدياً للشخص فــي احــترام النفــس ومعرفته لذاته.

فالغيرة لا يمكن أن تتضاءل إلا إذا قبل الشخص أخيراً حقيقـــة أنــه لا يمكن أن يمتلك إنساناً آخر ، وأن يتعلم أن حب شريكه يعني أنه يريده أن يكــون نفسه مهما كان هذا مؤلماً ، فيجب أن يطلق سراح الحب وعندما يعود فقط يمكن للإنسان أن يتعرف على الحقيقة.

٦. القبـــــول:

يجب أن يقبل كل من الزوجين الآخر كما هو باعتباره ليس كاملاً ، فإذا ما خاف الشخص التصريح عن نفسه غير الكاملة ، فلا يمكنه أن يتوقـــع مــن شريكه أن يفعل هذا ، وبهذا يصبحان غريبين ، ولكن هناك أزواجــاً يعــترفون

بأنهم لا يملكون الكثير ، ولكن هذا هو كل ما عندهم... ولذلك يجب الاكتفاء بما هو موجود.

وكي تتشكل علاقات زوجية سعيدة ، يجب أن يكون الزوجان سعيدين بنفسيهما كما هما ، ويجب أن يحترم كل من الطرفين حقوق الآخر ومواقفه ومشاعره.

٧. الاحترام :

غالباً فالمشاكل الكبيرة لا تكون سبباً في فشل العلاقات الزوجية ، ولكن الخطأ ينشأ عن سلسلة من الأشياء الصغيرة عبر فترة طويلة من الزمن ، تصرفات صغيرة مستهترة ، أو تعليقات تقال بدون تفكير ، أو كلمات لم يتحدث بها صاحبها ، أو نيات طيبة لأفعال حسنة تؤجل دائماً.

فنحن دائماً نعامل المعارف العارضين باعتبار أكثر مما نعامل الناس القريبين إلى قلوبنا "أشكرك" و "من فضلك" و"من بعد إذنك" و "إذا لم يكن لديك مانع" هي طرق لإظهار الحب لشريك الحياة.

فيجب خلق مناخ من الدفء والاحترام بين الأزواج بأن يعامل كل منهما الآخر بكرامة واحترام.

٨. التقاليد :

تعامل التقاليد غالباً في هذه الأيام على أنها طرافات رومانسية ، فتوقفت عشاءات العائلة في أيام الإجازات ومعها توقف الاحتفال بالمناسبات التي تجمع أفراد الأسرة معاً.

٩. مشاركة الأحـــلام:

ترفع الأحلام الإنسان فوق العالم الدنيــوي المــادي وتــثري مســتقبله بالتوقعات ولذلك فإن الحلم المشترك من شأنه أن يضيف عنصر الجدة والدهشــة إلى العلاقة الزوجية .. فالأحلام تقدم نجاحات الغد كالأطفال والســفر والأمــان المادي بالإضافة إلى السلام والسعادة والفرح ، والحلم هو مكان خاص ، ولذلـك فإن مشاركة من الزوج يسمح لكلا الزوجين أن يكون واضحاً للآخر.

١٠. الشجاعـــة:

يمكن للخجل أن يمنع الطرفين الالتقاء عن نقطـــة واحــدة ، فالعلاقــة الزوجية تتطلب الجرأة ، والمشاكل والخلافات والاحباطـــات حتميــة ، ولذلــك فالزوجات يحتجن إلى شجاعة لمواجهتها ، فيجب أن تعطي العلاقات الفرصـــة لأنه ليس هناك ما هو أعظم من أن يحب الإنسان شخصاً آخر ، أو أن يتلقـــى الحب في المقابل[١].

(١) انظر : "طبيبك الخاص" العدد ١٩٩ ، ص٣٠.

المطلوب والممنوع في ليلة العمر

لاشك أن ليلة الزفاف هي أحد الأحداث الهامة في حياة كل شخص ، حيث أنها بداية الحياة الزوجية ، بما فيها من تغيير في نظام الحياة واستقرار لكثير من أمور أي شاب أو فتاة وتشترك العادات والتقاليد والنظام الأسري والخبرات الخاصة والثقافة في التأثير على مسار الأمور والاستعداد النفسي للعروسين ، فكل طرف يرسم للآخر صورة معينة عما يعتقده أن يكون مثالياً ويمزج خلال ذلك كثيراً من المتغيرات الطبيعية ، ويعتقد أن ما يعرفه هو الصحيح ، وقد يحكم عليها مسبقاً أنها غير عادية لمجرد عدم المعرفة .

والناصحون من الناس فيهم المتحيز وفيهم المغالي ، وفيهم غير الأمين الذي قد يؤدي أحياناً إلى زيادة الخلط وتفاهم بعض المشاكل الصغيرة ، وقد ذهبت بعض الدول إلى إنشاء مكتب خاص للمقبلين على الزواج ، وذلك لفحصهم طبياً وتوجيههم نفسيا التوجيه السليم بما يتفق مع الواقع في هذه الدول . ويقوم بهذه الوظيفة حالياً في بلادنا الأسرة والأصدقاء وكثير من النصائح تؤدي دورها مضبوطاً ، ولكن كما قلت أحياناً قد تدخلهم بعضها في متاهات خاطئة.

ونرى في بلادنا اهتماماً غير عادي باحتفالات الزفاف والاستعداد من كل جانب واختيار المكان المناسب للحفل والفنانين والسهر ويعتبر البعض أن هذا أهم جزء في الزواج ، ورغم ما تسببه هذه الاحتفالات من مشاكل مادية وإرهاق للأسرة وسهر يمتد أحياناً إلى ما بعد منتصف الليل ، ويحيد عن الهدف من مجرد أنه احتفال للتعبير عن البهجة وللمساعدة في ربط أواصر الألفة إلى

احتفال للمباهاة أو الانتقاد أو المعايرة أو لبداية بعض المشاحنات والعروسان في العادة جزء من أسرتين ، كل له عاداته وتقاليده وآرائه، ولابد من امتزاجها مزجا لينا حتى تساعد على تلافي أي خلفيات قد تهدد سعادة العروسين مستقبلاً.

فالسهر في ليلة الزفاف قد يسبب إرهاق العروسين مما يجعلهما في حالة تعب قد تؤدي إلى إحداث بعض المشاكل النفسية ، وقد ينصح بعض الناصحين العريس بتعاطي الخمور أو المواد المخدرة لليلة الزفاف وقد يتسبب ذلك في مشكلات لا لزوم لها ، النصيحة المثالية هي أنه ليس هناك أحسن من الشيء الطبيعي فجميع هذه المواد تحمل أضراراً مختلفة يستحسن تلافيها.

ومازالت عائلات كثيرة في بعض المناطق بالذات تصر على "بيات" مندوبي من العائلتين مع العروسين ليلة الزفاف للاطمئنان على البشارة، هذا قد يؤدي في بعض الأحيان وخاصة عند الحساسين ذوي الشعور المرهف إلى مشاكل حادة إذا يحس العروسان أن هناك من ينتظرهما طول الوقت وكأنهما مراقبين..... وقد تزداد المشكلة تفاقماً في بعض الحالات وخاصة في الحالات التي تبدأ فيها مشكلة من الناحية الجنسية والتي تزداد اتساعاً بمناقشات العائلة وإعلان الأسرار على الملأ من العائلتين الأمر الذي يضع الجميع وخاصة العريس في حرج شديد ، وكل عائلة تلقي اللوم على الأخرى دون يوضع في الاعتبار أن أمر الزواج خاص بالدرجة الأولى بالعروسين.

وثمة نصيحة أخرى للعروسين هي أن التوافق الجنسي بين الزوجين يحتاج إلى وقت كي تمتزج العواطف ، ويألف كل من الزوجين عادات الآخر عن قرب ما يحب وما لا يحب وما يثيره وما ينفر منه.

ولوضع أساس قوي للامتزاج الطبيعي فهناك قاعدة لا بد أن تكون واضحة في ذهن كل من العروسين وهي أعط لتأخذ أي لا تنتظر كل من العروسين الأخذ بدون عطاء لا أن يأخذ أولا بل عليه أن يعطي لينال الجزاء ، وهذا يستلزم التضحية طبعاً إلى أن يحدث التوافق التام ، وقد يتأخر بعض الأزواج بعض الوقت حتى إتمام التوافق : الصراحة والوضوح في بعض الاحساسات ، فقد تخجل الزوجة من التعبير عن بعض مشاعرها أو يخجل الزوج في الكلام في بعض الموضوعات ، وقد عرفت أزواجاً لم يفصح كل منهما للآخر عن بعض المطالب التافهة إلا بعد سنوات من الزواج ، وكان من الممكن ، أن يجنبوا أنفسهم هذه المشقة بمجرد الوضوح منذ البداية فيما يضايق أو يريح إحداهما من سلوك الآخر على أن يكون ذلك بالطريقة المناسبة وفي الوقت المناسب.

مشاكل الطمث عند البنـــات

- الدورة الشهرية دليل البلوغ والأنوثـة
- الآلام المصاحبة للدورة الشهرية غالباً ظاهرة صحية.
- انتظام الدورة كل ٢٨ يوماً يؤكد وجود تبويض منتظم.
- السوائل الساخنة تؤدي إلى استمرار النزيف الرحمي.
- تأخر نزول الدورة الشهرية قد يكون لعيب خلقي يحتـاج إلى تدخل جراحي.
- الحالة النفسية وأمراض الغدة النخامية من أهم أسباب مشاكل الطمث عند البنات.

ما نسميه الدورة الشهرية هو نزول دماء شهرية من الرحم يمر بالمـهبل إلى الخارج عند كل فتاة وسيدة ، ويتكون هذا الإفراز أو السائل مـن جزيئـات الغشاء المبطن للرحم والدم الناتج عن تمزق بعض الأوعية الدموية في الغشـاء الرحمي وكذلك إفراز مخاطي من غدد هذا الغشاء.

إذن المسؤول عن إحداث الدورة الشهرية هو الغشاء المبطـن للرحـم، ويتوقف عليه مقدار الدورة من ناحية الكم والكيف.

فإذا أصيب هذا الغشاء بحالات مرضية،فإنها بالقطع تؤثر علـى كميـة الدورة .

لذلك نجد أن الطمث يتوقف تماماً في حالات إزالة هذا الغشاء بعمليـات كحت شديدة في حالة وجود التهاب ميكروبي به ، كما يحدث أحياناً في عمليـة

تفريـــغ محتويات الرحم عقب الإجهاض العفن وكذلك بعد الولادة وفي وجـــود بقايا المشيمة المسببة لحمى النفاس.

كما أن إدماء الدورة الشهرية يزيد في حالة ازدياد سمك الغشاء المبطـن للرحم ، وذلك الأسباب مرضية سواء كانت أسباباً أو أنها تظهر من مكوناتـــه ، فهو أيضاً يعتمد في نشاطه – سواء كان بزيادة الدورة الشهرية أو بإنقاصها ، أو حتى بانعدامها– على وجود هرمونات الأنوثة ، وهو هرمون الاستروجين فـــي النصف الأول من الدورة ثم هرمون البروجستيرون في النصــف الثــاني مــن الدورة بعد (١٤ يوماً من بداية الطمث) وذلك بعد حدوث التبويض ، أي خـروج البويضة من المبيض كل شهر.

وتخضع هرمونات المبيض هي الأخرى لإفراز هرمونات من الفـــص الأمامي للغدة النخامية بقاع الجمجمة ، وهذه بدورها تفـــرز هرموناتـــها هـــي الأخرى تحت سيطرة جزء من المخ يعلوها يسمى"اليهبوثالامس" ووظيفته هـــذا الجزء من المخ إفراز مواد لها قدرة التأثير على هرمونـــــات الغـدة النخاميـة لإطلاق هرموناتها المؤثرة على المبيضين أو لحبسها –أي عدم إخراجها– وذلك يتجدد بحساسية الهيبوثالامس لنسبة تواجد هرمونات الأنوثة في الـــدم ولحاجــة المبيض أو الرحم من هذه الهرمونات اللازمة لوظيفة المبيض ، وكذلك وظيفـــة الغشاء المبطن للرحم.

كما أن الهيبوثالامس يخضع لتأثير ونفوذ المراكز العليـــا فـــي الجــزء الأمامي في المخ ، أي أن الدورة الشهرية تبدأ من المخ وهذا صحيح ، والفـــص الأمامي للغدة النخامية يفرز أيضاً خلاف الهرمونات المؤثـــرة علـــى المبيــض هرمون النمو وكذلك الهرمون المؤثر على نشاط الغدة الدرقية ، وهرمون منشط

للغدة فوق الكلوية والهرمون المنشط للخلايا التي تلون الجلد.

وتكون الغدة النخامية مشغولة في الطفولة بإفراز هرمون النمو حتى سن البلوغ ، وهو الذي يؤدي لنمو الجسم إلى الحجم الطبيعي للإنسان البالغ، وبعدها يتوقف إفراز هذا الهرمون كلياً أو إلى أدنى حد لتشتغل الغدة النخامية في إفراز هرمونات آمرة للمبيضين . وهذه بدورها تساعد على ظهور هرمونات المبيضين ، أو هرمونات الأنوثة ، والتي بدورها تؤثر على الغشاء المبطن للرحم بالتبادل ، فتحدث بذلك الدورة الشهرية.

وبظهور الدورة الشهرية يتوقف نمو الفتاة لتوقف هرمون النمو ، فإذا ظهرت الدورة الشهرية في سن مبكرة ظلت الفتاة قصيرة القامة ، بينما إذا تأخر ظهورها عن معدلها الطبيعي كانت الفتاة طويلة القامة مثل البلاد الباردة والأوروبية والأمريكية بعكس البلاد الحارة والاستوائية.

الدورة الشهرية المبكرة:

تظهر الدورة الشهرية لكل فتاة في سن متقاربة ولكنها تختلف من بنت لأخرى حسب عدة عوامل منها ، الصحة العامة ، والعوامل الوراثية ، وتختلف هذه السن من دولة إلى أخرى تبعاً لحرارة الجو ، فنجده منخفضاً في البلاد الحارة ليصل من ١٠ – ١١ سنة من سن الفتاة ، بينما يصل هذا المتوسط من ١٦–١٨ سنة في البلاد الباردة من العالم ، وفي البلاد المعتدلة الحرارة نجد أن المتوسط هو بين هذا الرقم أي حوالي ١٢–١٤ سنة.

وطبقاً لذلك يكون ظهور الدورة الشهرية مبكراً في المناطق الحارة أمراً طبيعياً ، ولكنه لا يكون كذلك في البلاد الباردة ، ومما يستوجب الملاحظة للحالة والتدخل بالعلاج إذا نتج عن ذلك أية مضاعفات ولكنه – وحتى في

المنطق الحارة- فإن ظهور الدورة قبل سن العاشرة يستوجب البحث لأن ذلك يكون غالباً لأسباب مرضية سواء كانت أمراضاً عامة مثل أمراض الدم كالأنيميا ونقص الصفائح الدموية التي تسبب النزيف الرحمي مثل سهولة النزف من أي مكان آخر من الجسم كالأنف وكذلك أمراض القلب والكبد والحميات وغيرها . أما الأسباب الموضعية لنزول النزيف المهبلي عند طفلة أقل من عشر سنوات فيهمنا التأكد من عدم وجود إصابة موضعية من جرح أو وجود جسم غريب بالمهبل أو وجود التهاب ميكروبي.

ولكن الأمر الذي يدعو للقلق هو الخوف من احتمال زيادة وجود نشاط هرموني لاستروجين على المهبل ليؤدي إلى وجود أورام "ساركوما" أو "بوليبوزس" بالمهبل ، أو زيادة سمك الغشاء المبطن للرحم مما يؤدي للنزيف الرحمي ، والخوف من وجود هرموني الاستروجين قبل سن العاشرة يرجع إلى احتمال وجود أورام بالمبيض لها المقدرة على إفراز هرمون الاستروجين بكثرة وهذه الحالة تستدعي إجراء عملية جراحية واستئصال ورم المبيض.

وخطورة الدورة المبكرة – علاوة على احتمال وجود أورام بالمبيض- تتمثل في مضاعفات النزيف المهبلي الذي يتسبب في ظهوره الأنيميا ، والأنيميا تتسبب بدورها في زيادة النزيف ، وهكذا تسوء الحالة وتستوجب العلاج وأحياناً يحتاج الأمر لنقل دم لهذه الطفلة ، كما أن مجرد ظهور الدورة مبكرة أي قبل سن العاشرة في طفلة يزيدها ارتباكاً ولا تشعر بأن ذلك أمر يفرحها ، لأنها لم تنضج نفسيا أو جسمياً ، وتكون شاذة بين الأطفال المحيطين بها ، مما يزيد نفورهم منها لما تسببه الدورة من رائحة معينة.

عندما يتأخر ظهور الدورة الشهريـــــة

يقال عن الدورة الشهرية : أنها متأخرة إذا تأخر ظهورها عن المعـــدل الطبيعي طبقاً للمتوسط العام لكل بيئة .

ومن أهم أسباب تأخر الطمث : بسبب الضعف العام عند البنت ســـواء كان هذا الضعف هو ضعف عادي أو كان بسبب مرض ، فإن كانت للضعـــف أسباب مرضية فلابد أن تعالج الأمراض التي أدت إلى ظهور الضعف العـــام . وبالتالي فإن الدورة الشهرية تظهر تلقائياً بدون علاج مباشر.

وتأخر ظهور الطمث يسبب للفتاة القلق والحرج بين زميلاتها ، وكذلــك الخوف والقلق عند الأبوين، وهذه كلها أمور تعقد المشكلة ولا تساعد على حلـها اللهم الاهتمام الأبوين بالكشف الطبي والعلاج ، وهذا أمر مطلوب ، ولكــن دون مبالغة في إظهار القلق حتى لا يؤثر ذلك على نفسية البنت فتســـوء. ولعـــلاج الضعف العام عند الفتاة لا بد من الاهتمام بالتغذية والحديــــد لعـــلاج الأنيميـــا بالذات، لأنها من أهم أسباب ضعف الدورة وتأخر ظهورها، وطبعـــاً لابــد أن يكون ذلك بالإشراف الطبي، والكشف الطبي أمر واجب لتحديد أسباب التــأخير، وهل هو من الأسباب المرضية العامة مثل الأمراض المزمنة كالدرن مثـــلاً أو غيره من الأمراض ؟ أم هو من الأسباب الموضعية مثل حالات انسداد غشـــاء البكارة بالكامل؟ وهذه لا يمكن معرفتها إلا بالكشف الطبي وفي هذه الحالة يكون هناك عيب خلقي في هذا الغشاء أدى إلى عدم ظهور ثقوب به أو فتحات وذلــك في مراحل التكوين الأولى لغشاء البكارة في الجنين الأنثى ، ومـــن الأعـــراض التي تصاحب ذلك أيضاً وجود مغص الدورة الشهرية وأعراضها ، ولكن بـــدون نزول دم خارج المهبل ...و يلاحظ أن دم وإفرازات الطمث تتجمع كـــل شـــهر

ولكنها تتركز بامتصاص السوائل منها.. وبعد مرور الســـنين ، يــؤدي الـــدم المختزن أولاً في المهبل ثم في الرحم بعد ذلك إلى وجود ورم بأسفل ومنتصــف البطن ، ويصل ارتفاعه أحياناً إلى الســـرة، مما يجعل البنت تخـــاف ويخـــاف أهلها من هذا الورم في البطن ، ومـــن احتمال أن يكون حمـــلاً ويسـببا ذلـك الرعب للفتاة وأسرتها ، وبالكشف الطبي يتـم تشخيص الحالة وبالتـــالي يتـم علاجهـــا، ويكـــون بالجراحة بعملية بسيطة بفتح غشاء البكارة وتصفية الـــدم المختزن.

وهناك أيضا الأسباب الهرمونية وهي النقص في هرمونات المبيـــض ، وهذه أيضاً يتم الكشف عنها وعلاجها سواء كان السبب في المبيض نفســـه... أو في الغدة النخامية ، أو كان خللاً في هرمونات الغدد الأخـــرى مثـل الغـــدة الدرقية، وبعد تحديد الأسباب المرضية لنقص الهرمونات يمكن علـــى ضوئـــها العلاج سواء بإعطاء هـــرمون الأســـتروجين والبروجســـتيرون بالتبـــادل أو بإعطاء الهرمونات الأخرى المساعدة هرمونات المبيض، أو الأدويـــة المحدثـــة للتبويض.

آلآم الدورة الشهريـــة عند البنـــــات

يصاحب نزول الدورة تقلصات الرحم وذلك في محاولة مـــن الرحـــم لطرد ما بداخله من محتويات مطلوب التخلص منها، ويصاحب هذا التقلص فـــي عضلة الرحم اتساع في عضلة فتحة عنق الرحم الداخلية حتى تســـمح بمـــرور محتويات الرحم إلى قناة عنق الرحم ثم إلى المهبل ثم خارج المهبل، ومحتويات الرحم المطلوب التخلص منها كل شهر هي دم المشتمل على قطع صغيرة مـــن جزيئات الغشاء المبطن للرحم ، والدم القادم بعض الميكروبـــات . وكـــل هـــذا

الخليط يشكل دم الدورة الشهرية المميز اللـــون والرائحـــة بفعـــل البكتيـــريا والخمائر التي تجعل لون الدم بنيا نسبياً وغير متجلط وله نفس الرائحة المميزة.

وإذا حدث خلل في عملية تكوين محتويات الدورة الشـــهرية أو أثنـــاء مرورها في قناة عنق الرحم تحدث آلام المصاحبة لها ، وتكون الدورة الشـهرية كل شهر إذا لم يحدث حمل وانزراع الجنين في الغشاء المبطن للرحـــم الـــذي يكون قد سبق إعداده لذلك بفعل هرمونات المبيض –الاستروجين– الذي يـــؤدي إلى زيادة عدد طبقات الغشاء الرحمي ، ثم بعـــد خروج البويضة من المبيـــض في منتصف الشهر أو في منتصف المدة بين كل دورة شهرية وأخرى محســـوباً من أول يوم نزول الدورة الشهرة للدورة السابقة وحتى أول يوم نزول الـــدورة التالية.

وإذا حدث التبويض وخرجت البويضة، فإن مكان البويضة السابق فـــي المبيض يفرز هرمـــون البروجســتيرون ، وهـــذا الهـــرمون يكمـــل عمـــل الاستروجين على الغشـــاء الرحمي حيث يزيد من عدد خلايـــاه ، وكـــذا عـــدد طبقاته في النصف الأول مـــن الدورة ، ثم يأتي البروجستيرون فـــي النصـــف الثاني من الدورة ليجهز هذا الغشاء الرحمي التي كثرت خلاياه وطبقاته بفعـــل الاستروجين ، فيأتي بعـــده البروجستيرون ليحدث فـــي هـــذا الغشـــاء بعـــض التغييرات التي تجعله صالحاً لاستقبال البويضة الملقحة أو الجنين لانغمـــاس أو للانزراع فيه ، حيث يجد الغذاء لينمو وتتمثل هـــذه التغيـــيرات فـــي تشـــغيل الإفرازات داخل غدد الغشاء الرحمي التي تحتوي على غذاء الجنين ، وكذلـــك يساعد البروجستيرون على انتفاخ كـــل طبقـــة الغشـــاء بالســـوائل ويجعلـــها متماسكة.... وكل ذلك من أجل عملية زرع الجنين ونموه في أيامه الأولى لحين الاعتماد الكامل على تغذيته بطريقة أخرى من أمه.

والمدة بعد التبويض والتي يعمل خلالها البروجستيرون على الغشاء الرحمي تسمى المرحلة الإفرازية في الغشاء الرحمي...وفي هذه المرحلة يكون هذا الغشاء أكثر تماسكاً بسبب الإفرازات الغددية والتغيرات تحت سطحه.. بمعنى أنه إذا لم يحدث حمل في هذه المرحلة وانتهت بنزول الدورة الشهرية ، فمعنى ذلك أن عملية تقلص وانكماش الغشاء الرحمي وتقرحه وتفتته إلى جزئيات صغيرة يشكل بعض الصعوبة أثناء الدورة ... مما يزيد العبء على عضلات الرحم الملتصقة وغير سهلة الانفصال بسبب الافرازات الموجودة في الغشاء والتغييرات تحت سطحه ، وكل ذلك بفعل هرمون البروجستيرون الذي لا يفرزه المبيض إلا بعد إحداث التبويض أي تكون البويضية قد خرجت من حويصلتها في هذا الشهر ، بينما إذا لم يحدث التبويض لا تكون هناك مرحلة إفرازية لغياب البروجستيرون ، وعندما لا يحدث الحمل في هذا الشهر وتنزل الدورة لا تكون هناك أية صعوبة في انفصال جزيئات الغشاء الرحمي ، بل يحدث أن يتمزق هذا الغشاء بسهولة تامة إلى جزيئات ، وتخرج هذه الجزيئات مع باقي محتويات دم الطمث من عنق بلا أدنى مجهود أو انقباض لعضلات الرحم، وتفاجأ بنزول سائل من المهبل بدون ألم وعند رويته يتضح أنه الدورة الشهرية ، وفي مثل هذه الأحوال في غياب البروجستيرون أو بمعنى آخر غياب التبويض تحدث الدورة عادة بال انتظام في موعدها.. ولكن أهم ظاهرة لغياب التبويض هي نزول الدورة بلا ألم على الاطلاق.

مشاكل الطمث

فإذا كانت ملاحظة البنت على الدورة أنها لا تشعر معها بأي ألم، ولا تشعر إلا فجأة بنزول سائل كان معنى ذلك غياب التبويض عندها وهذا الأمر

يقلق الأبوين خوفاً على مستقبل الحمل لها ... وهذه الحالات عادة تحدث للبنات في أوائل سنوات نزول الدورة الشهرية، وبعدها يحدث التبويض تلقائياً، ويعود للبنت إحساسها بنزول الطمث وما يصاحب نزوله من تقلصات رحمية... وهو ما يعبر عنه بآلام الدورة الشهرية ، لذلك كانت الآلام المصاحبة للطمث عند البنات دليل على صحة التبويض، وعامل مطمئن للبنت والأسرة وحتى للطبيب على مستقبل هذه الفتاة من حيث الحمل بعد الزواج ، وتسمى الآلام الدورة في هذه الحالة الآلام الطبيعية لأنها لا تحتاج لعلاج وفي مقدور البنت تحملها ، ولذلك فهي تتعود على هذه الآلام في كل دورة شهرية.

وعندما تحدث العقبة في إخراج محتويات الرحم من مكونات الدورة ، وذلك إما بسبب صعوبة انفصال جزئيات الغشاء الرحمي أو بسبب زيادة كمية الدم المكونة للدورة إلى الحد الذي تتكون معه الجلطات الدموية التي تحتاج من العضلات الرحمية لمجهود إضافي للتخلص منها مثلما يحدث في حالات الإجهاض المحتم ، وتحدث الآلام بما يشبه الولادة من قناة عنق الرحم حتى ولو كانت مكوناتها طبيعية ، ويكون العيب في قناة عنق الرحم نفسها ، وهذا يحدث من عدم تمدد العضلة الداخلية المتحكمة في الفتحة الداخلية بقناة عنق الرحم ... وذلك بسبب صغر حجم الرحم (الطفيلي) أو من عيب خلقي في تكوين شبكة الألياف العصبية المتحكمة في تشغيل هذه العضلة بما يحدث عدم انفتاحها أمام الانقباضات من العضلات الرحمية فوقها ، حيث يكون عملها تبادلياً ، كما يحدث في عملية الولادة نفسها.

قد تصل الفتاة إلى سن البلوغ دون أي تأتيها الدورة الشهرية ، التي تعتبر من أول إمارات البلوغ ، وقد يتعدى الأمر ذلك إلى درجة تبدو على الفتاة

فيها أعراض مخيفة تتشابه إلى حد كبير مع أعراض السيدة الحامل ... حيـــث تبدأ بطن الفتاة في التضخم ، ومع مرور الوقت واستمرار انقطاع الدورة تبـــدأ علامات الهزال والشهور بالغثيان والوهن.

وتخفي الفتاة أمرها وتحار الأم بل الأسرة لما يبدو على الفتاة وتـــزداد حدة القلق عند الأسرة مع تضخم بطن ابنتهم ، ولا مفر في هـــذه الحالـــة مـــن التدخل الجراحي وعذريتها.. وهناك ثلاث أنواع لغشاء البكارة منها الدائـــري .. الغربالي والنجمي بشكل (هلالي).

وفي مثـــل حالة هذه الفتاة يكون نوع البكارة عبارة عن عيـــب خلقـــي (نوع نادر) يترتـــب عليه عد السماح للدورة الشهرية بالخروج فـــي موعدهـــا، حيث يقوم الغشاء بدور السد أمام تراكم الدم – خلف الغشاء المسدود – ويبـــدأ ذلك المهبل في التضخم ويتسع جداره وبالتالي يبدأ الضغط على جدار المـــهبل بأن يأخذ غشاء البكارة شكلاً بيضاوياً أزرق اللون ... ومع تطور هذه الحالـــة تشعر الفتاة بآلام حادة يتحتم معها إجراء الجراحة ...وهي تتـــم بعمـــل فتحـــة صغيرة في الغشاء تشبه إلى حد كبير الفتحة الطبيعية .. وهـــذه عمليـــة أكيـــدة النجاح.. وليس لها أضرار.

تأثير الغدد الصماء في نزول الطمـــث

يبدأ سن البلوغ الطبيعي لدى الإناث في المتوسط حوالي ١٢ سنة (– أو +). علماً بأن متوسط عمر الفتيات (٩٥% منهن تقريباً) في بـــدء نـــزول الـــدورة الشهرية لأول مرة حوالي : ثلاثة عشرة ونصف سنة (– أو +١).

ويعد ظهور النتوءات الثديية مع بدء ظهور شعر العانة أول مظهر مـــن مظاهر البلوغ ، وذلك ما بين سن الثامنة والنصف حتى الثالثة عشـــرة... أمـــا

استكمال نمو الثديين فيكون عادة ما بين الحادية عشرة و١٠ شهور حتى الثامنة عشر و ١٠ شهور ، وقد تبدو بعض الاختلافات بين الفتيات في حجم نمو الثديين وشعر العانة ومظاهر البلوغ الأخرى ، ومن ناحية تأثير الغدد الصماء في التحكم في نزول الطمث في الإناث .. فهناك أربعة مراكز هامة وجوهرية للتحكم هي :

١. غدة الهيبوثالامس بالمخ.

٢. الغدة النخامية في قاع الجمجمة.

٣. غدة المبيضين.

٤. الغدة فوق الكلوية (الكظرية).

علاوة على مراكز التحكم في القشرة المخية ، وكذلك الغدة الدرقية ، وحيث أن القشرة المخية تحتوي مراكز التحكم النفسي والعاطفي ، ومعظم العواطف الإنسانية ، فالناحية النفسية قد تؤثر تأثيراً مباشراً على الوظائف الجنسية ، ومنها الدورة الشهرية عن طريق اتصالها بغدة الهيبوثالامس المسئولة عن تنظيم إفراز الهرمونات من الغدة النخامية ، والتي تثير المبيضين لإفراز الهرمونات الجنسية .. ولذا نجد أن عدم نزول الطمث أو توقفه قد يكون نتيجة فعلية للحالة النفسية للفتيات ، كما يحدث كثيراً للطالبات المغتربات أو بالمدارس الداخلية ، ويسمى (توقف الطمث الاغترابي) . والهرمونات المتحكمة ىي نمو الثديين والطمث هي : الهرمونات الغدة النخامية ، وغدد المبيضين ، أما الهرمونات المتحكمة في ظهور شعر العانة والإبطين فهي : هرمونات الذكورة المفرزة من الغدة الكظرية ... ويكون ظهر شعر العانة في الإناث عرضياً وفي الذكور هرمياً.

أسباب عدم ظهور الطمث أو توقفه بعد بدئــه :

١. الناحية النفسية لأسباب شخصية أو اجتماعية نتيجة صدمة نفسية عنيفة ، أو في الحالات المسماة بالحمل الكاذب (عندما تلتقي فتاة صغيرة مع زميل مثلـها ، وتتصور حدوث حمل وما يصاحب ذلك من رعب). وكثيراً ما يحدث هذا فـي سن الثامنة عشرة إلى الثانية والعشرين.

٢. بعض أمراض الغدة النخامية...كمرض (شيهان) أي الهزال الشديد ومـرض فقدان الشهية العصبي والذي قد يؤدي إلى تدمير الغدة النخاميـة.

٣. زيادة بإفراز الغدة الدرقية ، حيث ينتج عنه توقف الحيض في الإناث وفـي بعض الحالات يسبب زيادة كمية الطمث.

٤. أمراض غدد المبيضين مثل عدم نضوج المبيضين كمـرض (تـيرز) ... الهبوط المفاجئ لنمو المبيضين .. استئصال المبيضين قبل البلوغ أو التعـرض للإشعاع .. مرض (شتاين – ليفنسال) الذي يؤدي إلى توقف الحيض ، وظهور الشعر الكثيف والعقم.

٥. أمراض الغدة الكظرية والتي تسبب مظاهر الرجولة في الإناث.

الغدد الصماء ومشاكل البلـوغ:

١. البلوغ المبكر : ويحدث قبل الثامنة من العمر نتيجة لبعـض الأمـراض الخلقية أو المكتسبة في غدة الهيبوثالامس مثل أورام الجسم الصنوبـري – نقص إفراز الغدة الدرقية – التهاب المخ – تضخم الجمجمـة – مـرض البرأيت)

٢. زيادة ظهور الشعر في الأماكن الحساسة للمرأة مثل : الوجه – الذقن –

باقي أجزاء الجسم ، بتوزيع وكثافة غير طبيعية وأسبابها :

- مرض تكييس المبيضين (كثافة الشعر – السمنة – عدم نزول الطمث أو قلة الكمية – العقم – ظهور بعض مظاهر الرجولة).

- مرض (كوشينج) نتيجة زيادة إفراز الغـــدة فـوق الكلويـــة لـــهرمون الكورتيزون وتبدو فيه الفتاة وردية اللون (زيادة احمرار الوجـــه) مـــع استدارة الوجه مثل القمر ، مع السمنة المفرطة للجذع خاصـــة منطقـــة الظهر فوق عظام لو حتى الكتف مع ظهور كتلة من الدهن تحت الرقبة مباشرة من الخلف ، كما يظهر الجلد خفيفاً ورقيقاً جداً ، وتبـــدو فيـــه خطوط حمراء عريضة على الفخذين والبطن والظهر ، وتكون الســيقان رفيعة بالنسبة لضخامة الجسم مع ضعف الفخذين .. ويقـــل الطمـــث كثيراً أو ينعدم نزوله مع ظهور شعر الذقن بكثرة منفـــرة كمـــا يـــزداد ظهور حب الشباب.

- مرض الغدة فوق الكلوية (الجنسية) ويكون السبب إما خلقيـــاً نتيجـــة نقص إفراز هرمون الكورتيزول أو مكتسباً نتيجة وجود ورم حميـــد أو خبيث بالغدة الكظرية ، وتحدث الحالة الخلقية في واحـــد مـــن كـــل (٥٠٠٠) طفل وتبدو مظاهرها في عدم نمو الثديين – عـــدم نـــزول الطمث – تضخم حجم البظر – كثرة حب الشباب – ظـــهور الشعـــر بكثرة – زيادة الطـــول – وقد تبدو الطفلة ببظـــر كبـــير مـــع التحـــام الشفرين بفتحة المهبل.

التخلص من هذه المتاعب

- الدورة الشهرية لا تنتظم إلا بعد مرور فترة من الوقت ، ولا داعي هنا لاستعمال أي علاج هرموني؟
- كثرة الإفرازات المهبلية المصحوبة بهرش وأكلان، يجب ألا تؤدي للخجل من استشارة الطبيب، فإن الخلاص منها يمكن أن يتم بسهولة؟
- صغر حجم الثديين بشكل ملحوظ يعتمد علاجه على التمرينات الخاصة أو على التركيز على الغدد ذاتها؟

لقد أصبحت الآن أنثى كاملة ، في انتظار زوج المستقبل ، حيث تبدئين معه حياة زوجية هانئة ، ولكن قد تحدث لك بعض المظاهر الأنثوية الخاصة جداً ، والتي يجب أن تكون محل عنايتك واهتمامك ، حتى تتخلصي منها قبل الإقدام على الزواج .. إن هذا ضروري حتى لا تكون معاناتك بعد الزواج مضاعفة ، وحتى لا تتعرض حياتك مع زوجك للخطر... وهذه هي علامات الطريق.

- المتاعب الشائعة في حياة أية فتاة منذ بداية سن البلوغ إلى فترة الزواج تتلخص في الشكوى من عدم انتظام الدورة الشهرية أو تأخيرها ، أو عسر الطمث أو كثرة الإفرازات ، وكذلك صغر حجم الثدي.

لا داعي للهرمون:

وعادة فإنه منذ سن البلوغ نجد أن الفتاة تبدأ تشكو من عدم انتظام الدورة الشهرية عندها عندما تأتيها أول مرة فيما بين سن ١١-١٣ سنة ، حيث

تأتي شهراً – وتنقطع شهراً أو ثلاثة . وفي بعض الأحيان تنتظم لمدة سنة ، ثم تختلف من شهر إلى آخر . فتنقطع لمدة شهرين ، ثم تأتي بعد ذلك وقد تأتي مرتين أو ثلاثة مرات في الشهر الواحد ، أو قد تطور مدتها مما يسبب إزعاجاً للفتاة ولأسرتها وخصوصاً الأم ، فتذهب إلى الطبيب منزعجة تطلب المشورة وفي هذه الحالة فإنه يجب طمئنتها وإفهامها أن الدورة عندما تحضر لا تنتظم إلا بعد مرور مدة من الوقت : سنة .. سنتين أو ثلاث سنوات ولا داعي إطلاقاً لإعطاء أي علاج هرموني أو خلافه لتنظيم الدورة.

حيث لا يؤثر ذلك على الغدد والمبايض. وكل الذي تحتاجه الفتاة في هذه الحالة هو الاطمئنان والتشجيع واستعمال بعض المقويات كالحديد والفيتامينات ، وإفهامها أن الدورة هي دليل على أنها أصبحت أنثى واكتمل نضجها.

أما عن عدم انتظام الدورة فهذا شيء طبيعي سواء أكان في مرحلة البلوغ أو عندما تدخل السيدة مرحلة سن اليأس.

أما الشكوى الأخرى فهي من الآلام الشديدة قبل بداية الدورة بيوم أو بيومين وخلالها أيضاً ، وتتفاوت هذه الآلام من آلام بسيطة يمكن احتمالها ولا تعوق الفتاة عن ممارسة عملها سواء أكان ذلك في المكتب أو في المدرسة أو في الجامعة ، إلى آلام شديدة لدرجة أنها تجبر الفتاة على المكوث في الفراش والتغيب عن عملها أو مدرستها أو كليتها.

الآلام تزول:

وهناك أسباب كثيرة لعسر الطمث ، ولكن علينا أن نفهم الفتاة أن الدورة التي تأتي بآلام تعني وجود تبويض لديها ، بالتالي فهي أنثى كاملة ، وهذا مما

يزيدها اطمئناناً ..ويمكننا أن نحول الدورة الشهرية المصحوبة بتبويض وبعسر الطمث إلى دورة شهرية بدون تبويض وبدون عسر طمث بإعطاء الفتاة حبوب منع الحمل لمدة شهر أو شهرين أو ثلاثة شهور على الأكثر، ونحن لا نلجأ إلى هذه الحبوب إلا في الحالات القصوى كأن تتوافق الدورة الشهرية مع وقت الامتحان مرحلة دراسية نهائية كالثانوية العامة أو نهاية الدراسة الجامعية ، وقد يكون لهذه الآلام تأثير ضار على مستقبل الفتاة الدراسي بإعطائها هذه الحبوب تأتي الدورة بدون الآم الطمث ويمكنها تأدية الامتحان بنجاح وتتفوق فيه.

أما في الحالات العادية، فإننا لا ننصح بإعطاء حبوب منع الحمل بتاتاً ويكون العلاج مقتصراً على المسكنات فقط قبل وأثناء الدورة.

وعلينا أن نفهم الفتاة أنها عندما تتزوج يمكن عمل عملية توسيع في عنق الرحم أو عندما تلد سيتسع عنق الرحم تلقائياً . وتزول هذه الآلام.

ومن الأمراض التي تشكو منها الفتاة في تلك الفترة كثرة الإفرازات المهبلية غير أن كثيراً من الفتيات يصيبهن الخجل ، ويكتمن ذلك ولا يفصحن عنه إلا بعد أن تسوء حالتهن وخصوصاً إذا كانت الإفرازات مصحوبة بهرش وأكلان نتيجة الإصابة بأمراض فطرية ، ويحدث ذلك إذا كانت الفتاة في مدارس داخلية أو موجودة داخل تجمعات كبيوت الطالبات.

ونتيجة الإصابة بفطر التريكوموناس أو "المونيليا" يحدث للفتاة هرش وأكلان مما يسبب لهن آلام لدرجة الحرمان من النوم ، وفي هذه الحالة تحضر لاستشارة الطبيب ... وما أبسط العلاج .. يأخذ الطبيب مسحة من الإفراز المهبلي من الخارج وبفحصها بكترولوجياً يحدد نوع الفطر أو الميكروب الموجود ، وعلى أساسه يكون العلاج بالمضادات الحيوية ويتم الشفاء...

ونصيحتي هنا هي عدم الخجل ومصارحة الأم أو ولي الأمر بسرعة للعـــرض على الطبيب المختص.

فحص الغشــــاء

وعن الشكوى من تأخير الدورة الشهرية نقول إنه لدى بعض الفتيـــات ورغم أن الأعراض الأنثوية اكتملت عندهن "مثل ظهور شعر الإبطيـــن ونمـــو الثدي وظهور شعر العانة واستدارة الأكتــــاف والأرداف واكتمـــال الشـــفرين والبظر ورقة الصوت ونعومته" إلا أن الطمث لم يحضرهن، ويتأخر وحيـث أن بدايته من سن ١١-١٣ منه فأول ما يقوم به الطبيب في هذه الحالة هو فحـــص غشاء البكارة :وهل يوجد به ثقب أم لا فنادراً ما يكون المهبل كاملاً ، وهي من الحالات التي قد يصادفها الطبيب ، ومثل هذا الغشاء يقوم بحجز الدمـــاء فـــي المهبل والرحم لدرجة أن الدم يتساقط من الرحم عن طريق البوقين إلى تجويـف الرحم ، وبفحص القناة من الشرج يجد الطبيب تضخماً في الرحم . بل ويمكنـــه أن يحس به من البطن. وفي هذه الحالة يقوم الطبيب بعد موافقة الوالدين بعمـــل شق في غشاء البكارة على هيئة الصليب. وما ان يتم ذلك حتـــى يندفـــع الـــدم المتراكم بلون غامق داكن يشبه مشروب القهوة . غير أنه سميك ، وبعـــد هـــذه العملية البسيطة نجد أن الدورة الشهرية تبدأ في الانتظام.

الانتظار ضروري:

أما إذا وجد السبب في غشاء البكارة فهنا يختلف الحـــال. فمـــا علـــى الطبيب إلا فحص الفتاة من الشرج ليطمئن على حجم الرحم حتـــى وأن يكـــون طفيلياً . ويرى إذا كانت هناك أورام في الحوض أم لا . فإذا لم يكن هناك شيء

من ذلك، فيقوم بعمل أبحاث على إفرازات الهرمونات المختلفة من الجسم سـواء من الدم أو البول . على هذا الأساس يكون العلاج وتأتي الدورة منتظمـة بعـد ذلك.

وبالنسبة لصغر حجم الثديين ، فيكون الأثر السيئ نفسيـاً لا جسـدياً فالفتاة كالفتى حتى سن العاشرة ، حيث يبدأ هرمونـا الأنوثـة "الأسـتروجين والبروجستيرون" في الإفراز "خراط البنات" وتبـدأ أعراض الأنوثـة الثانويـة تكتمل وتأخذ استدارة الأكتاف والأرداف في الاكتمال أيضا.

لذلك ننصح الفتاة بالانتظار حتى اكتمال نموها والزواج ، أما في حالـة صغر الثديين بشكل ملحوظ فيكون العلاج إما بعمل تمرينات لزيادة عضـلات القفص الصدري أو بزيادة كمية الدهنيات بالجسم عن طريق إمداده بكمية لازمة من الطعام ، حيث يختزنها الصدر. أو بعلاج الغدد ذاتها ، ويتم ذلك بواسـطة أخصائي ، ويتم العلاج بزيادة كمية الهرمونات التي تفرز فمثلاً منـذ انقطـاع الدورة وحتى نزول البويضة نجد أن هرمون الأنوثـة "الأسـتروجين" يفـرز ويعطي هذا الهرمون فقط عن طريق العلاج. وبعد اليوم الخامس عشـر مـن الدورة أي بعد تلقيح البويضة يبدأ هرمون البروجسترون في الإفـراز ويحـدد الطبيب أيضاً الكمية اللازمـة للعلاج غير أن الطرق الطبيعية أفضلها خاصـة بعد الزواج حيث الحمل والرضاعة ليكون ذلك عاملاً أساسياً في زيـادة حجـم الثديين.

التحكم في الدورة الشهرية

- **التحكم في الدورة الشهرية أثناء الحج بين الشرع والطب.**

يمر العام وتأتي إلينا فترة الحج بنفحاتها النورانية المقدسة ، ويقصد المسلم بيت الله الحرام ويتجه إليه متشوقاً إلى أداء الفريضة ، ويحاول المسلم أن يلم بالشعائر قدر استطاعته ، وتبقى أشياء يود معرفتها ، اخترنا منها موضوع الدورة في فترة الحج ، وكيف تستطيع المرأة أن توفق بين الطب والشريعة.

الوسيلة هي أقراص منع الحمل قبل سفرة الحج بفترة كافية ، وذلك بتناول قرصين يومياً ، وفي بعض الحالات إلى أكثر من قرص ، فتأخذ قرصين باستمرار إلى أن تنتهي فترة السفر ، ويتم تحديد الكمية عن طريق الطبيب حسب الحالة الصحية الخاصة ، أما عن الحقن كوسيلة ، فأننا لا ننصح بها غالباً والأقراص أفضل منها كثيراً وتمنع الدورة تماماً أثناء تلك الفترة.

ويعتبر ذلك تلاعباً بالهرمونات داخل الجسم ، ولا يلجأ إليه إلا للضرورة مرة أو مرتين في العام على أكثر تقدير ، ما دامت الأعراض الجانبية بسيطة ، ولا ننصح السيدة بمحاولة التحكم في الهرمونات لأسباب تافهة ترفيهية من فسحة أو سفر في إجازتها ، ولكن إذا كان السبب هام كالاتجاه إلى البيت الحرام والاستمتاع بأداء الشعائر.

وعن الأعراض الجانبية ، فالسيدة تشعر بنوع من الغثيان أو الدوخة وهي أعراض بسيطة سرعان ما تزول بعد نهاية العلاج.

أما الأعراض التي تظهر على المدى الطويل فلا مجال لها لأنها فترة قصيرة شهر أو شهر ونصف على أكثر تقدير،فلا يحدث مثلاً تأثير على وظيفة

المبيض أو السكر في الدم أو سرعة التجلط ، واحتمال الجلطة لا يأتي إلا من الكثرة أو الاستمرار وحتى لو كان مرة في السنة لا يعد ذلك استعمالاً مستمراً.

ولا علاقة لأقراص منع الحمل بسرطان الثدي مثلاً إلا عند من لديهن استعداد فعلاً من ورم حميد ، أو أكياس في الثدي ، أو يوجد في العائلة من أصيب بذلك المرض ، وإذا أردنا أن نقول مالها وما عليها نجد أنها ليست بريئة تماماً ، فلها مشاكل من زيادة الاستعداد لمرض السكر أو إظهاره إذا كان كامنـاً ويُمنع استعمالها مع ارتفاع الضغط ووجود جلطة والدوالي.

وحين يوجد شيء من تلك الأمراض ظاهراً من ارتفاع واضح في السكر والضغط ، فلا ننصح بالتلاعب في الهرمونات إطلاقاً ، وحديثنا هنا منصب على المرأة العادية التي تشكل الغالبية العظمى ، لا خطورة عليها ولا توجد أعراض جانبية لاستخدام الأقراص في ذلك.

ولذلك يُنصح المرأة أن تستشير طبيبها قبل فترة كافية حتى يمكنه التحكم في التأجيل أو تنظيم الدورة ، ولكن ما يحدث هو أن المرأة تأتي إلى الطبيب قبل السفر بيوم وموعد الدورة يأتي بعد خمسة أيام مثلاً . وكلما كان الوقت مبكراً كلما أمكن التحكم بأقل أعراض جانبية بتقليل عدد الأقراص في اليوم ، مما يؤدي إلى تقليل الأعراض الجانبية ، وإلى مريضة السكر أو ذات الظروف الخاصة أنصحها بألا تتلاعب بالهرمونات إطلاقاً.

هل يضر الآنسات استخدام تلك الأقراص للتحكم في الدورة الشهرية؟

بالنسبة للآنسات اللاتي تنتظم عندهن الدورة لا يضرهن تأجيلها بصفة مؤقتة بشرط أن تكون منتظمة تماماً،أما إذا كانت غير منتظمة أو تأتي على فترات متباعدة فيجب تجنب ذلك التلاعب،وإذا حدث مرة لضرورة يجب ألا تتكرر.

كيفيـــــة الاستخــدام:

إذا فرضنا مثلاً أن امرأة سواء كانت سيدة أو آنسة جاءت لها الـــدورة يوم (١) في الشهر وانتهت في يوم (٥) وستسافر مثلاً يوم (٢٠) – (٣٠) عليها أن تبدأ يوم (٥) بتناول قرص يومياً لمدة أسبوعين ، وبعد ذلك أي يـــوم (٢٠) تبدأ بتناول قرصين يومياً صباحاً ومساءاً باستمرار إلى أن يحيـــن اســتعدادها لنزول الدورة وذلك بنهاية السبب في التأجيل.

يحرم المسجد الحرام والسعـــــي:

سواء كان في التلاعب خطراً أو لا توجد خطورة ، ذلك شيء من أمــر الله ليس حــراماً ولا مكروها أن يأتي للمرأة الحيض أثناء الحج ، فذلك شـــيء ليس في يدها، وهي تستطيع أن تفعل كل الشعائر وهي حائض ما عدا دخـــول المسجد الحرام والسعي بين الصفا والمروة ، ولكنها الآن أصبحت داخل الحـــرم فلا تستطيع أن تطوف ولا أن تسعى ، والمرأة بعد تتطهر تســـتطيع أن تــؤدي الطواف والسعي .

وحيضها لم يمنع حجها وذلك هو المهم ، لأنه لا يمنعها مـــن الوقـــوف بعرفة " الحج عرفة" ، كما نعلم بمعنى أنه إذا لم يفتها يوم عرفة فقـــد أدركــت الحج ، وتستطيع بعد عرفه أن تأتي الطواف والسعي في أي وقت قبل عودتـــها إلى ديارها ، وذلك هو الأصل عند مثل من تقابل تلك الظروف وفي سنة النبـــي ﷺ حين سألت السيدة عائشة النبي عن ذلك كما هو موجود وموثق في البخاري ومسلم ، وكانت إجابته هي ما سيق من نهي المرأة من دخول المسجد الحــــرام فقط ويضاف إلى ذلك السعي الآن لأنه أصبح جزءاً من المسجد الحرام.

الأطعمة المملحة أثناء الدورة تضعف التركيز وتسبب الخمول و ٨ نصائح غاليـــــة

يتطلب الاستذكار جهوداً منوعة : ذهنية وجسميـــة وعصبية.

هـــذه الجهود تتأثر بالتغيرات الفسيولوجية مثل الدورة الشـــــهرية عنـــد الفتاة .. فمن المعروف مثلاً أنه في الأسبوع الذي يسبق هذه الدورة، تكون قدرة الأنثى على التركيز الفكري محدودة ، وتتعرض أيضاً لأنواع كثيرة من الصداع إذا حاولت أن تركز ذهنها في شيء...كما أنها أيضاً تكون حساسة من الناحيـــــة العصبية ، ومن السهل إثارتها ، بالإضافة إلى إحساسها بالخمول والتراخي.

وخلال الدورة نفسها فإن آلام الطمث تبدو كثيرة بصورة أوضح عنـــــها في الفترة بعد الزواج .. مما يزيد من الأعراض السابقة كذلك .. هذا بجـانب أن الطالبة تضطر إلى قضاء فترة في الفراش أثناء الدورة ، أو استخدام مســـــكنات بطريقة تجعلها غير قادرة على التفكير والحركة بصورة طبيعية ..وعلاوة علـــى هذا ففي أحيان كثيرة تكون كمية الحيض في هذا السن أكثر من الطبيعي ، ممـــا يؤدي إلى إحساس بالهبوط خلال الدورة ، بل وقد يؤدي إلى حـــدوث "أنيميـــــا" فعليه في بعض الحالات.....

هذه هي النصيحة الأولى التي أقدمها للبنت في هـــذه الفـــترة ، وحتـــى تستطيع أن تواجه ظروف المذاكرة والامتحان مواجهة طيبة ، وأضيف إلى ذلك أنه يجب أن تراجع نفسها في أسلوب تغذيتها ... يجب أن تكون الوجبات تلـــــك لمدة أسبوع على الأقل قبل الدورة الشهرية . فإن زيادة كمية الملح في الجســـم ،

يتبعها بالتالي زيادة كمية الماء المحتجز فيه ، وبالذات في الفترة السابقة على حدوث الحيض ... وهذا بدوره يسبب في ضعف التركيز الذهني، والصداع والخمول ، وغير ذلك من الظواهر.

القلق من أهم الأعراض النفسية التي تنساب الشباب قبل الامتحان.

وكلما ازدادت حدة القلق ضعف القدرة على التركيز ، وهنا يظهر واجب كل أب وأم في توفير الجو النفسي الملائم للأبناء في هذه الفترة بعدم الإلحاح عليهم بمضاعفة المجهود والسهر ، وعدم مناقشتهم في أي شيء يتعلق بالامتحانات.

ثانياً: توزيع المناهج على الفترة الباقية لمذاكرتها ومراجعتها . ولا يعي هذا زيادة ساعات المذاكرة ومراجعتها... فمخ الإنسان له طاعة معينة وساعات محددة يعمل فيها.. ومهما عمل الإنسان بعدها فإنه لن يتقبل أي معلومات جديدة..إذن فالسهر الزائد لا فائدة منه ، بل يضعف القدرة على متابعة الاستيعاب ويرهق العقل والجسم.ولابد لكل طالب أن ينام على الأقل ٦ أو ٧ ساعات يومياً.

ثالثاً: الإقلاع نهائياً عن تعاطي حبوب السهر فضررها بالغ وتأثيرها عكسي.. إنها تعطي للطالب إحساساً مزيفاً بالحيوية والقدرة على الاستيعاب.. فأي معلومات يقرؤها تحت تأثير هذه الحبوب سرعان ما تتطاير من ذهنه.. علاوة على أنها تزيد من حدة القلق وتضعف القدرة على الاستيعاب ، وكذلك فهي من أهم عوامل الانهيار النفسي في النهاية.. ويتبع هذا أيضاً الإقلال من تعاطي القهوة والشاي قدر المستطاع.

رابعاً: الاهتمام بالحالة الصحية بوجه عام... وأهم جوانبها : الطعام المتكامل والنوم والتهوية المناسبة في مكان المذاكرة .. وإذا احتاج الأمر تناول بعض الفيتامينات فلا بأس.

خامساً: من الأشياء الهامة والضرورية والتي يغفلها معظم الطلاب قبل الامتحان توفير وقت ولو قليل للنزهة أو الرياضة .. فإن ذلك يجدد نشاط المخ ويزيد قدرتها على مزيد من العمل بعد ذلك.

سادساً: على الطالب ألا سيتذكر أكثر من مادة في الليلة الواحدة... وأن يجعل فاصلاً زمنياً ولو بسيطاً بين كل مادة وأخرى ...وبعد قراءة كل موضوع عليه أن يتأكد من أنه قد استوعبه بعد ، وبأن يعيد كتابته وكأنه يجيب عن أحد الأسئلة في الامتحان، ومن الأفضل قراءة هذا الموضوع مرة ثانية في اليوم الثاني.

سابعاً: في الليلة السابقة للامتحان على الطالب أن ينام فترة كافية من الساعات وألا يحاول أن يقرأ أي معلومات جديدة فهي لن تستقر في ذهنه وقد تشوش على ما قد قرأه من قبل وفي الصباح يذهب إلى الامتحان مباشرة دون أن يحاول مراجعة أي معلومات.

ثامناً : إذا لاحظت الأسرة زيادة حدة القلق عند الطالب أو وجود أية أعراض جسمية أو نفسية ، فيجب استشارة الطبيب النفسي قبل الامتحان بوقت كاف.

أسباب السقوط الرحمـــي

لعل أكثر ما يزعج أية أنثى سواء كانت سيدة أو شابة أو متقدمــــة فـــي السن أن تجد نفسها فريسة للقلق والحرج بسبب عارض لها وبشكل خــــاص إذا تعددت شكواها فيما بين آلام الظهر إلى تعسر البول أو ثقل في منطقة العجـلن ، ولكن يساعد على سرعة استعادة ثقتها بنفسها أن تجد ضالتها في طبيبة أمراض النساء التي تتفهم حالتها بسرعة وتهون عليها مشكلاتها موضحة لها أنها إحــدى حالات السقوط الرحمي.

والرحم في وضعه الطبيعي مائل ومنثن للأمام ومثبت في مكانـــه فـــي منتصف الفراغ الحوضي بحيث يكون عنق الرحم محاذياً لخـــط يصـــل بيـــن الشوكتين والوركتين ، ويساعد في الاستقرار في وضعـــه الطبيعـــي عوامـــل أهمهـــا: أربطة الحوض وعضلات فرش الحوض والتي تسمى قرار الحوض ، ولأنه مائل ومنثن للأمام فهذا يجعل اتجاهه عمودياً على المـــهبل ، ويصعـــب هبوطه عند زيادة في تجويف البطن مثلما يحدث عند الحزن أو الســـعال ،أمـــا بالنسبة لأعراض سقوط الرحم ، فيمكن إيجازها في شكوى المريضة في أوائـــل مرضها بثقل في منطقة العجان والإحساس بضعف في هذه المنطقة،ومع مـــرور الوقت تلاحظ المريضة أن هناك شيئاً يتدلى من الفـــرج خصوصاً عند الحـــزق أو الوقوف ، وقد تشكو من أعراض بولية مثل تكرار البول وعدم اســـتطاعتها استكمال تبولها بالكامل دون رد الجـــدار الأمامي للمهبل بإصبع لكـــي تضغـــط على المثانة، وقد تشكو من السلس الضغطي أو عسر البول ، حيث تشعر بـــآلام عند التبول وفي الغالب يحدث لها التهاب في المثانة في هذه الحالة ، وقد تشـــكو

من الآم في الظهر نتيجة امتداد الأربطة بين الرحم وعظام ظهر الحوض أو من إفرازات مهلبية أو في الحيض أو نزف حيض ، فقد ينزل الدم بغزارة أو تطول أيامه.... كل هذه الأعراض مجتمعة أو منفردة تؤكد أن المريضة تعاني من حالة سقوط مرحمي ..وهناك أسباب مباشرة وأسباب تؤهل لسقوط الرحم :

- الأسباب المباشرة : تكون إما بزيادة في وزن الرحم كما يحدث عند حدوث الحمل أو ظهور أورام بالرحم نتيجة زيادة في الضغط داخل تجويف البطن مثلما يحدث عند وجود إمساك أو حكة مزمنة.

- أما الأسباب التي تؤهل لسقوط الرحم فأهمها : وجود ضعف في أربطة الرحم وقد يكون هذا الضعف خلقياً وفي هذه الحالة يحدث السقوط الرحمي دون حدوث حمل أو ولادة ، أو قد يأتي الضعف نتيجة تكرار الولادات أو نتيجة ولادة متعسرة أو توجيه العناية الطبية الصحيحة للسيدة عند وضعها أو للنفساء خلال فترة النفاس ، وقد يظهر السقوط الرحمي بسبب ضمور في أربطة الرحم والعضلات نتيجة انخفاض نسبة هرمونات المبيض أما في الولادات المتعسرة فقد تتعرض عضلات فرش الحوض وأنسجته لتمزقات خلال الولادة ما ينشئ حالة سقوط الرحم ، كما أ، ٢٠ % من السيدات يكون وضع الرحم لديهن مائلاً ومنثياً للخلف ، وبالتالي يكن أكثر عرضة عن غيرهن للسقوط الرحمي.

ولسقوط الرحم درجات ثلاث : ففي درجته الأولى يهبط أسفل مكانه الطبيعي عند الخرق ولكنه لا يتدلى من الفرج ، أما في درجته الثانية فيتدلى عند الرحم أو جزء منه من الفرج عن الوقوف أو الحزق ، أما في درجته الثالثة فالرحم كله يتدلى من الفرج ، وقد تحدث مضاعفات نتيجة السقوط الرحمي وما

يليه من تغييرات تشريحية في المنطقة مثل القرح والالتهابات بعنق الرحم نتيجة الاحتقان والاحتكاك بالملابس وبين فخذي المريضة ، كما قد يتعرض عنق الرحم للاستطالة.

ويسبب قرب العلاقة بين الجهازين البولي والتناسلي للأنثى قد يصح سقوط الرحم في درجاته الثانية والثالثة فتق مهبلي مثاني، وقد يحدث امتداد في قناة مجرى البول أو العضلة العاصرة تسبب سلساً ضغطياً في البول يحدث على إثر زيادة الضغط الداخلي عند العطس أو السعال ورفع الأشياء الثقيلة.. كما قد تؤثر الدرجة المتقدمة الثالثة من سقوط الرحم على وظيفة الكليتين.

وعندما تتأكد المريضة من وجود بعض الأعراض السابقة تعرض نفسها على أخصائي أمراض النساء الذي يجري عليها عدة فحوص كاملة بعد الاستماع لمفردات شكواها بكل دقة ، فيجري للمريضة فحصاً عاماً أولاً ثم يليه فحص باطني يليه الفحص المهبلي وأهمية الفحوص المتعددة التي تجري للمريضة قبل الفحص الآخذ سببها احتمال وجود ضعف في الأنسجة عامة يكون هو السبب الرئيسي في السقوط الرحمي وضعت في عضلات البطن أو فتق أو قد يكون إحدى حالات السقوط الرحمي الخلقي للسيدات اللائي لم يسبق لهن الحمل من قبل ، واحتمال أن يكون هناك عيب خلقي في فقرات أسفل العمود الفقري تسبب خللاً في الأعصاب المؤدية إلى عضلات فرش الحوض ، ويتبع الكشف المهبلي المبدئي اكتشاف تمزقات العجان وتشخيص الأجزاء المتدلية من الفرج كما أن تشخيص استطالة عنق الرحم باستعمال مجس الرحم من الأهمية بمكان لتحديد أي أنواع العمليات التي ستجرى للمريضة لعلاجها من السقوط الرحمي.

الاضطرابات الجنسيـــة

الجنس في حياة الزوجين شيء ضروري ، وحيوي وهام.

هذه حقيقة لا شك فيها .. ويمكن قد تعتري ممارسته اضطرابات عديـدة من ناحية الزوجة أو من ناحية الزوج ، وأغلبها في الحقيقة نفسي لا عضوي... ومن هنا يمكن أن نصل إلى علاج حاسم وسرياً لها ... وأول شـــيء يجـب أن ندركه أنها متوقعه الحدوث وأنها لا تعنى أن تنتهي العلاقة بين الطرفيـن .. أو يحدث انطواء أو اكتئاب .. إن هذا لن يحل المشكلة ، بل يضخمها ويضاعفها.

والآن : ما هي هذه الاضطرابات الجنسية النفسية بالضبط ، وما أهـــم صورها لدى الرجل والمرأة ، وماذا عن أسبابها ووسائل علاجها النفسي؟ عـــن كل هذا يدور هذا الحديث العلمي الطويل من أجل حياة زوجية سعيدة.

الاضطرابات الجنسية النفسية منتشرة بصفة عامة ، وقد وجد البــاحثون أن هناك درجة من عدم التوافق الجنسي في ٥٠% من الأزواج والزوجـــات ، وأن هذا الاضطراب الجنسي يكون ٩٠% من نسبة الطلاق في الولايات المتحدة الأمريكية ، وعلاج الاضطرابات الجنسية عرفت قديماً وكان عبارة عن عـــلاج نفسي ويشتمل على علاج بالتنويم وتحليل الأحلام وتذكر ذكريـــات الطفولـــة ، وكان الصينيون يستخدمون قبضة النمر في علاج هذه الاضطرابـــات الجنســـية وتتمثل الاضطرابات الخاصة بالرجل في:

- عدم القدرة على الانتصاب: فلا يستطيع مواصلة الانتصاب الذي يـؤدي إلى اتصال جنسي كامل حتى درجة الشبق وتنقســـم عـــدم القـــدرة علـــى الانتصاب إلى نوعين :

١. عدم القدرة على الانتصاب الكامل : وفيه لا يستطيع الرجل إطلاقاً أن يؤدي العملية الجنسية بالرغم من أنه ربما يستطيع القذف بعد العادة السرية.

٢. عدم القدرة على الانتصاب الثانوي : وينقسم إلى :-

أ. رجال يستطيعون مع نفس زوجاتهم القيام بالاتصال الجنسي بنجاح في بعض الأوقات ولكن ليس على الدوام..أو كانوا يقومون بها بنجاح في وقت سابق.

ب. رجال لا يستطيعون المحافظة على الانتصاب الكامل.

ج. رجال لا يستطيعون القيام بالعملية الجنسية إلا مع نوع خاص من النساء وعلى سبيل المثال حينما تكون هناك خلفيات اجتماعية أو اختلاف في درجة الذكاء.

د. رجال لم يعانوا من أية اضطرابات جنسية ثم يواجهون بمضايقات تؤثر في حياتهم ، وهذا النوع من الاضطرابات مؤقت.

- القذف المبكر : ويعرف على أساس الوقت الذي يأخذه الرجل ليصل إلى مرحلة الشبق خلال الاتصال الجنسي من دقيقة ونصف إلى دقيقتين.
- القذف المتأخر : ويوجد في ١-١٠٠٠٠ رجل ، والرجل الذي لا يستطيع القذف بعد ٤٥ دقيقة من الاتصال الجنسي أو لا يستطيع إطلاقاً يعتبر قذفه متأخراً.

المـــرأة:

أما الاضطرابات الخاصة بالأنثى فتتمثل في :

- عدم الوصول إلى مرحلة اللذة : وهذه الحالة مثل عدم القدرة على الانتصاب في الرجل وهي إما كاملة أو ثانوية.

❖ انقباض عضلات الحوض والمهبل : مما يحول دون الإدخال وإلى نقص الإثارة الجنسية حتى ولو تم الاتصال ، وهذه الحالة نادراً ما يكون سببها عضوياً ، ولكن عادة سببها نفسي.

❖ اتصال جنسي مصحوب بألم : وإذا لم يوجد خلل عضوي في هذه الحالة ، فإنها تكون حالة هستيريا.

❖ البرود الجنسي : وهو عبارة عن نقص كامل بالإحساس الداخلي بالمهبل ، وهذه الحالة دائماً نفسية حينما توجد في أنثى سليمة صحياً ، ومن المهم أن نذكر أن المريض لا يأخذ تشخيصاً واحداً فالقذف المبكر يؤدي عادة إلى عدم القدرة على الانتصاب وكذلك انقباض عضلات الحوض والمهبل وعدم الوصول إلى مرحلة الشبق بجنسي عادة نجدها معاً. وأحياناً نرى رجلاً أو امرأة تعاني من مشكلة مع شريكها وقد لا تعانيها مع شريك آخر.

وتنقسم طرق العلاج النفسي هنا إلى خمس أنواع من العلاج معروفة وأهمها:

١. العلاج السلوكي : وهذا النوع من العلاج غير مكلف ، ويأخذ فترة قصيرة والتشخيص هنا ليس مهما ، حيث أن العلاج لا يبحث عن ماضي المريض أو التصرفات غير الواعية ، ولكن يركز على الأعراض الحالية ، وقد تم علاج مرض يعانون من انفصام بالشخصية بهذه الطريقة.

٢. العلاج الجماعي : وله ميزة كبرى عن طرق العلاج الأخرى وذلك لأنه يمنع الدعم والتوصل واكتشاف المشاكل التي كان من الممكن أن تمر دون أن تكشف وللعلاج بهذه الطريقة يقسم المرض إلى مجموعات:

أ- مرضى يعانون من خلل في الشخصية مع خوف من الاتصال الجنسي أو العادة السرية.

ب- مرضى يعانون من صدمة فيما مضى.
ت- مرضى ذو أعصاب متوترة وننصح بالراحة والاسترخاء أثناء لعلاج.
٣. التنويم : وهو علاج يضع المريض في حالة ثبات وهناك نوعان منه
أ- ثبات عميق وفيه يتوقف الفعل الواعي عن العمل ولكن المريض يطيع الأوامر.
ب- ثبات سطحي وخلاله يستمر العقل الواعي في العمل ولكن يستجيب لتوجيهات العلاج واعتقادات المريض.

وهذا النوع من العلاج يتميز بسرعة وقلة تكلفته لكن لسوء الحظ أن هناك نسبة كبيرة من الناس لا يمكن تنويمهم .. وقبل أن نقرر هذا النوع من العلاج لا بد من دراسة حالة المريض القديمة والحديثة ، وذلك لاستبعاد بعض الحالات مثل حالات انفصام الشخصية وحالات الاكتئاب بينما يستخدم هذا العلاج بنجاح في حالات الهستيريا.

٤. العلاج النفسي والتحليل النفسي : وفي العلاج النفسي تنشأ علاقة قوية بين المعالج والمريض يمكن من خلالها التعرف على مشاكل المريض ... وخلاله أي المريض الطبيب المعالج من مرة إلى ثلاث مرات في الأسبوع العلاج يستخدم ليزيل أو يغير الأعراض وفي نفس الوقت يؤدي إلى نمو شخصية إيجابية .. أما التحليل النفسي فهو أقوى الطرق في العلاج النفسي.

٥. طريقة العلاج السريع : وفترة العلاج بهذه الطريقة تتراوح بين أسبوعين وثلاثة أسابيع وخلال هذه الفترة يرى فريق المعالج الزوج والزوجة يومياً ومعاً ما عدا خلال فترة أخذ تاريخ المرض من كل على حدة.

وهناك عوامل تؤثر في العلاج وهي :

١. نوع جنس المريض.

٢. التشخيص النفسي.

٣. نوع العلاج.

وقد وجد أن المرضى الرجال يستجيبون بنجاح أكثر من المرضى النساء ، وهناك اتفاق على أن المريض الذي يعاني من اضطراب عاطفي على هيئة انفصام في الشخصية أو اضطراب عصبي لا يؤدي إلى نتيجة طيبة في العلاج ، لكن النتائج الجيدة تتأتى مع المريض أو المريضة المنسجم عاطفياً وعائليا.

ونحن حالياً في أولى المراحل الحقيقية لعلاج الاضطرابات الجنسية وكل الطرق الكبيرة المستخدمة في العلاج كما ذكرت أدت إلى نتائج طيبة ، ولكن فضلها لكل من الزوج والزوجة هي طريقة العلاج السريع.

أمراض النساء :

ويبقى أن نركز بصفة خاصة على الاضطرابات الجنسية الناشئة من أمراض النساء عند المرأة،ولقد وجد أن معظم النساء اللاتي يعانين من مشاكل جنسية هن من العاملات ومن أعمار متوسطة(حوالي ٢٨ سنة) ومن صاحبات الدخول المتوسطة أو الضعيفة،ونسبة قليلة من الطالبات وقلة من الثريات–وهذه بعض النماذج للأمراض النسائية التي تسبب الاضطراب الجنسي.

ألم الحوض

وهو بوضوح الشكوى الرئيسية في معظم حالات الاضطرابات الجنسية والسبب العضوي المتكرر للألم هو التهابات المهبل أو التهابات والتصاقات بالحوض ،والأسباب الأخرى للألم تشمل أوضاعاً تشريحية غير عادية ، التهابات ثانوية ، والأنثى التي تمارس العملية الجنسية بانتظام بدون إثارة جنسية كافية تكون عرضة للالتهابات ، وذلك لنقص التشحيم المهبلي ، ولذا

ننصح مثل هذه الأنثى بأن تقضي وقتاً أطول في التقبيل والإثارة الجنسية قبل دخول العضو التناسلي حتى يحصل على التشحيم مهبلي جيد ، والمرضى اللائي يعانون من هذه المشكلة نجدهم يعانون من الالتهابات أو حكة أو حرقان . وأثناء الاتصال الجنسي يطول المهبل ويتحرك الرحم وعنق الرحم عالياً حينما تزداد الإثارة الجنسية فلو أن الأنثى لم تثر جيداً فإن عنق الرحم يكون موجوداً مباشرة أمام العضو.. وحينما تشكو الأنثى من ألم عميق بالحوض بعد تشحيم جيد للمهبل فإنه عادة يوجد سبب عضوي لهذا الألم.

وعلاج انقباض عضلات الحوض والمهبل يؤدي إلى نتائج جيدة جداً ، طالما أن الزوج والزوجة متعاونان .. ويجب أن توضح المشكلة أمام كل منهما في غرفة الكشف . وتهدئة التوتر الجنسي والتوسيع التدريجي بواسطة أخصائي النساء ..و طالما الزوجان متعاونان فإن نسبة النجاح تكون عالية.

❖ عدم الوصول إلى مرحلة الشبق الجنسي أثناء الاتصال الجنسي : وهذه الشكوى تعتبر الثانية بعد آلام الحوض وبعض النساء يعتقدن أن دورهن سلبي في الاتصال الجنسي ولكن في الحقيقة طبعاً يجب أن يكون دورهن إيجابياً ، وغالباً ما تحتاج هؤلاء السيدات إلى تصريح لتحمل المسئولية في الوصل إلى الإثارة الجنسية، وأخصائي النساء هو خير من يأخذ بيد مثل هؤلاء السيدات.

وعدم الوصول إلى مرحلة الشبق إما أن يكون لم يحدث من قبل وهذا سهل في العلاج إذ أنه نتيجة مشاكل أخرى ويحتاج إلى علاج هذه المشاكل أولا.

وأخصائي النساء يستطيع أن يخبر صاحبات هذه الحالات بالحقيقة وهي أن معظم السيدات لا يصلن إلى مرحلة الشبق الجنسي نتيجة وجود العضو داخل المهبل فقط. ولكن يتأتى هذا بإثارة جنسية أكثر.

أهميــة الجنس في حياتنـــــا

يحبو الله غريزة التناسل بعطفها وحدبها، ويدعمها أكثـــــر مـــا يدعـــم غريزة البقاء فهو يرى أن حفظ الجنس وإبقاء النوع ضروري في هـــذا الكـــون أكثر من حفظ بعينة وهو واحد من ملايين البشر ، وإننـــا نـــرى فـــي الوســط الحيواني أن أكثر الذكور قوة وقدرة يضحي بحياته قبل غيره في معارك الزواج لأجل عشيرته ، وكذلك نرى الأمر نفسه عند الإنسان البدائي ، وفـــي عصرنـــا المتمدين تتكرر حوادث نكران الذات وتضحية الفرد في ســبيل بقـــاء النـــوع وإدامة الفرد ، واستمرار الحياة، فكم من والد وولادة آثرا ولدهما على نفسيهما ، وكم من والد ضحى بنفسه في سبيل ابنـــه، فانكمشت عنده غريزة البقـــاء فـــي سبيل غريزة حفظ النوع واستمرار الحياة ، وكذلك فهم غالبـــاً مـــا يســـتهينون بالموت في سبيل من يتعشقون.

يقول العام متشنكوف : إن العبقرية الفنية أو لعل كل العبقريات تتصـــل اتصالاً وثيقاً بالنشاط الجنسي ، ومن أجل هذا نجد الخطيب أبدع وأخطب فـــــي حضرة امرأة يبذل لها من وده وقلبه.

وكثيراً ما أكد لنا هذا العالم نفسه أن الإنسان أقدر ما يكون في التجربـــة على الإحسان ، إذا كانت على مقربة منه أو أنس حسان.

ولقد وصف جالوي أهمية الجنس الاجتماعية وصفاء يقرب من الحقيقـــة حين قال: لا يحتاج الواحد منا في سبيل معرفة ما للجنس مـــن أهميـــة حيويـــة عجيبة في الحياة إلا أن كل مـــا يقصد بالكلمات الآتية ، إنما ينشأ من الجنـــس وعن نتائج العمليات الجنسية : الرجولة ، الأنوثة ، الحب ، الزواج ، البيـــت ،

الأم ، العائلة ، الأبناء ، البنات ، الاخوة ، وهذه الحقائق و الأفكار والفضائل البشرية التي تمت ، لا يمكن أن تكون قد وجدت إلا بدافع من الجوع الجسدي فهي الثمرات الطبيعية للجنس والتناسل والتكاثر.

إن الإنسان الذي ينمو دون قطرات من حب لا يمكن أن يكون إنساناً مبدعاً واسع الآفاق ، لأن اللذة الجنسية لا تنحصر في إرضاء الحواس الجسدية فحسب ، ولكنها ترضي العقل والنفس معاً.

ومن العسير أن نفهم أو نتصور إنساناً يملك عقلاً رصيناً هادئاً راضياً عن نفسه ، لم يستجب إلى نداءات الجنس فكبت جوعه الجنسي ، والكبت المستديم لصوت الطبيعة ونداءاتها التي تتطلب الأمومة والأبوة ، لا يمكن أن يكون صفة من صفات ذوي العقول النيرة القادرة على التفكير - والتمييز والإبداع ، ولكنها تؤدي إلى أفكار تنحرف عن المجرى الطبيعي ، وتكون النتيجة تظاهراً بالعفة والحشمة الزائدتين ، وغرابة في المزاج والطبع ، واختلال في أجهزة الجسد عامة والجهاز العصبي بصفة خاصة.

يقول العالم الدكتور كان: نعم إن الجوع الجنسي جسدي ولكنه لا يمكن لصاحبه أن يحمل أي استمرار نفسي أو عقلي فهو لا يبدع ، ولا ينتج مادام الحرمان مستحوذا عليه، مثله كمثل الجائع ، لا يستطيع إنتاجاً حتى يملأ جوفه.

إن الاندفاع لرواء الغريزة الجنسية قوة لا تقهر ، وإن كل شخص عاقل مدرك مراهق ينطوي وازع جنسي حبيس وشهوة قوية فعالة ، وكل من ينفي وجود هذا الإحساس يكون إما دجالاً منافقاً ، أو مريضاً عليلاً.

ولقد عميت أبصار الآباء والأمهات عن رؤية الصراع الذي يعتمل في نفوس أولادهم ، وعن رؤية الجحيم الذي فيه يتخبطون بسبب حاجتهم إلى إشباع

جوعهم الجنسي ، ولو أتيح لهم أن يطلعوا على هذه الحقيقة الصارخة لشعروا بفداحة الخطر الذي يحيق بكل فتى وفتاة ، ولسارعوا إلى ابتكار الأساليب وتسهيل الأمور في سبيل تزويج أولادهم.

لقد توسعت الآفاق الثقافية ، وأغرقت الأسواق بالمجلات والكتب والروايات ، وتشعبت دوافع الإثارة الجنسية بما قدمته المدينة من ضروب المهيجات... وبالرغم من هذه الأهمية المتزايدة للدور الذي يلعبه الجنس في حياتنا العصرية ، فإن الناس وأولياء الأمور والحكومات يولونه من الاهتمام والجد أقل ما كان أسلافهم الأولون ، بدلاً من أن يزيدوا في هذا الاهتمام ما هو جدير به.

لقد كان القدماء الأولون يقدسون الظواهر الجنسية بأشكالها المفضوحة في صراحة وعلانية ، وهناك أمثلة كثيرة عن هذه النماذج من العبادة ، ففي عصور التاريخ القديم مارس المصريون واليونانيون والفينقيون أشكالا من العبادة الجنسية منها عبادة الأعضاء التناسلية.

ومن الطبيعي أننا لا ندعو للرجوع إلى القهقري ، إلى الزمن الحجري وعبادة الجنس وأعضائه ، ولكننا ندعو إلى تحطيم هذه القيود التي كبلت أفواه مفكرينا وأيديهم وجعلتهم -ينكمشون خوفاً ورهبة فلا يبدون آراءهم ويبلون بدلاءهم بين الدلاء، لإخراج شبابنا من دياجير الجهل ، وتخليص عقول نشئنا ما يكبلها ويطمس معالمها ، وتخليص هذا النشء الذي يكافح ويناضل ، ويظل على مقاعد العلم والتدريس ، حتى يبلغ عمره الخامسة والعشرين ، ثم يطلب منه ذووه وتحتم عليه العادات والقوانين الاجتماعية أن يكبت دافع الجنس وألا

يستجيب إلى ندائه حتى يبلغ درجة يستطع معها تكوين الأسرة في ظل نظام هذا المجتمع الخاطئ قبل بلوغه الثلاثين أو أكثر؟

ومن آثار هذا الحرمان والكبت الجنسي أن يصاب الفتى بكثرة الاحتلامات الليلية الضارة التي قد تبعث على الضعف.

وإذا كانت الفتاة مرهفة الحس ، وتوالت المؤثرات عليها عن طريقة القراءة ورؤية الأفلام ، فإنها تشكل عندها حالة عصبية ، تتناول جميع أعضائها ولا تعود الاحتلامات كافية للتنفسي عنها ، وإفراغ شحناتها ، فتصاب بما يسمى (الهستيريا) وقد وصف هيبوقراط الهستيريا بقوله: إنها حالة اختناق في الرحم، وهو اسم كان يردد حتى زمن قريب للتعبير عن حالات عصبية ، واضطرابات في وظائف الجسم ولا نستطيع تعليلها أو التعرف على أسبابها ، وقد ردها العالم (فرويد) إلى الحالة الجنسية قائلاً : إن الحقيقة الكبرى التي تصل إليها بعد التحليل الدقيق هي أننا ، مهما كانت الجهة أو الأعراض التي تبدأ بها ، نصل حتماً إلى منطقة الحياة الجنسية.

ويقول أفلاطون : إن عضو التناسل في الرجال يسعى ، عندما يثور كالحيوان الخالي من التفكير إلى أن يتحقق بالسيطرة الكامنة فيه يرغب في حمل الأطفال حتى إذا بقي وقتاً طويلاً مجدباً غير مخصب يأخذ منه الغضب كل مأخذ ، ويغلق ممرات التنفس ، ويسبب جميع أنواع الأمراض.

أسرار الحياة الجنسية للفتى والفـــتاة

- ❖ كل الحواس من لمس وبصر وشم وسمع تشارك في الإثارة الجنسية.
- ❖ إدمان العادة السرية يسبب أحياناً العنـــــة.
- ❖ الاحتلام لو تكرر في نفس الليلة يكون حالة مرضيـــة.
- ❖ التجربة قبل الزواج غير ضرورية لأن الطبيعة أكبر معلم.
- ❖ إعداد الشباب إعداداً سليماً ضرورية صحية وقومية وإنسانيـــة.

وإذا نظرنا من زاوية أخرى للديانات التي تنظـــم العلاقـــة الإنســـانية ، وتهدف إلى ارساء قواعد المجتمع السليم نرى أنها لا تنكر العلاقة الجنسية، بـــل دعت إلى تهذيبها وتنظيمها بين البشر ، لأنها لا تنكر العلاقة الجنسية، بل دعت إلى تهذيبها وتنظيمها بين البشر ، لأنها عماد الحياة لولاهـــا لاندثـــر الإنســـان وتلاشت الحياة ، ولنظر الآن إلى المجتمع الذي نعيش فيه نجد أننا ننكر علـــى الأولاد والبنات بل والشباب أن يطرقوا باب الجنس ، ويبقى الأمر كذلك حتـــى يصير المرء يافعاً على درجة كبيرة من العلم والمعرفـــة، ولكنه لا يعي شـــيئاً عن الثقافة الجنسية ، إلا من هذه الكتيبات الرخيصة بـــل أنك لتدهش إذا عملـت أن بعض الأطباء من الشباب ليس لديهم فكرة سطحية لما يدعى بالجنس.

والإحساس الجنسي ملازم للإنسان منذ الطفولة ، فكثـــيراً مـــا نشـــاهد الأطفال يداعبون أعضائهم التناسلية ، ولابد أن نحول نظر الطفل منذ هذه الســن المبكر إلى شيء آخر كلعبة أو دمية ليداعبها ... والإحساس بالنشـــوة لمجـــرد مداعبة أعضائهم التناسلية يبلغ ذروته عند البلوغ الجنسي ، وهـــذا مـــا يدفـــع

الشباب لممارسة العادة السرية.. وهذه النشوة غير الطبيعية الغريبة التأثير التي تصعب القذف لا يعادلها إحساس آخر في مخلية حديث البلوغ الجاهل بالحياة الجنسية فتدفعه للإكثار من مزاولتها ، وحينئذٍ يجد نفسهُ مضطراً للعزلة والابتعاد عن الأصدقاء والمجتمع ، ولذا يجب أن تنادي بالتوعية الجنسية بين حديثي البلوغ الجنسية من جانبي المدرسة والمنزل.

وفي الحقيقة فإن العادة السرية ليست مقصورة على الذكور من الشباب، بل تمارسها نسبة من المراهقات بطرق ووسائل مختلفة.

عادة لكن سرية

ويدخل في ذهن كثير من الشباب للأسف الشديد أن العادة السرية لو اقترن إتيانها بالصور والأوضاع المختلفة مند ابتداء ممارستها يجعل التلذذ المصحوب بالقذف عند العادة السرية أقوى من ذلك الناجم عن العملية الجنسية الطبيعية فيندفع الشباب ضعيف الإرادة لممارسة ما يحدث له اللذة عن طريق العادة السرية.

مثل هذا الشباب عندما يكبر ويتزوج يعاني من متاعب كثيرة في بداية حياته الزوجية لتعوده على أسلوب العادة السرية ، وعدم الشعور باللذة الواجبة عند الإجماع بزوجته الأمر الذي يهدد المنزل بالتفكك.

والواقع أن التورط في ممارسة العادة السرية والانغماس فيها يحدث الأضرار التالية:

١. احتقان بغدة البروستاتا والمجمعات المنوية يسبب سرعة القذف أي مجرد ملامسة العضو يحدث القذف فيشعر المرء أنه غير قادر على القيام بالعملية

الجنسية عند الزواج ، وهذا يعقبه أحياناً العنة –الضعف الجنسي– وهـو فقـد القدرة على الانتصاب.

٢. من البديهي أن الضغط على العضو المصاحب للعادة السرية يفوق الضغـط الملازم للعملية الجنسية الطبيعية ، وعليه لا يشعر الشاب المدمن للعادة بـاللذة من العملية الجنسية الطبيعية كتلك المصاحبة للعادة السرية ، بينما الشاب العادي يستمتع بالحياة الجنسية الطبيعية.

٣. وهناك أعراض عامة تحدث نتيجة الانغماس في العادة السرية مثل الكآبـة النفسية –الشحوب– ضعف الشخصية ... وليس صحيحاً على الإطلاق بأنـها تورث الجنون أو تؤدي إلى فقد البصر.

–ولقد صادفتني حالة غريبة سببها ممارسة العادة السرية بطريقة فريـدة فـي نوعها– طريقة الجذب على العضو مضغوطاً عليه من الفخذين وبتحريك الجسد إلى الأمام وإلى الخلف .

وهكـذا يحدث الاحتكاك المطلوب للعضو وهو مضغـوط عليـه بيـن الفخذين مما يؤدي بعد فترة من الزمن إلى تمزيق الأليـاف المرنـة الداخليـة العضلية للعضو الذي أصبح بفحصه كقطعة قماش قديمة بالية فاقد القدرة علـى الانتصاب إلى الأبد.

– الاحتلام –

إن العادة السرية مرة كل أسبوع على الأكثر بطريقة مبسـطة هينـة لا جذب فيها ولا عنف على العضو ولا اقتران بالصور والأوضـاع المختلفـة لا

خطر فيها على الحياة الجنسية الطبيعية ، وهذا يوجهنا إلى الحديث عن الاحتلام... وهو القذف الطبيعي الذي يحدث أثناء النوم وهو تصريف للسائل المنوي الذي يتكون غالبيته من الإفراز البروستاتي والمجمعات المئوية ويتحكم فيه العقل الباطن ، وغالباً عندما تتوفر الإثارة الجنسية.

ولا خطر من الاحتلام على الإطلاق ولكن لو تكرر عند أي إغفاءة أي يحدث متكرراً في نفس الليلة لترتب عليه الهزال والضعف والارتباك النفسي وأصبح حالة مرضية لابد من علاجها.

هناك نوع آخر من الاحتلام يدعى احتلام اليقظة وهو أن يتصور الفرد المرأة في شبه يقظة ويسبح بخياله وتفكيره حتى يحدث القذف وبتكرار هذه العملية من سرعة القذف والضغط الجنسي عند الزواج.

-الإفرازات أنواع-

قد يتبادر إلى الذهن أن كل إفراز من مجرى البول الأمامي مصدره التهاب هذا المجرى المتعارف عليه "بالسيلان" ولكن هناك الإفرازات المخاطية الشفافة الذي يظهر بمجرد الإثارة الجنسية ، ومصدره زيادة إفراز الغدد المخاطية بالمجرة البولي الأمامي ويسمى "المزي" وفائدته أنه يساعد على تشحيم العضو لسهولة الإيلاج ، وقد يزيد هذا الإفراز لدرجة أنه يسيل من فتحة المجرى الأمامي وفي هذه الحالة قد يلجأ المرء إلى الضغط على العضو لتصفيته ، ولكنه بهذه الطريقة يزيد الإفراز ظهوراً لتهيج الغشاء المخاطي بالضغط والاحتكاك ، وهكذا يدور المرء في حلقة مفرغة إلى أن يلجأ للأخصائي نوع آخر من الإفراز يظهر بمجرد زيادة الضغط الداخلي للتجويف

البطني وانقباض عضلات المعقدة الذي يصحب نهاية التبول أو التبرز والضحك ورفع الأثقال ، والسعال.

هذا الإفراز من البروستاتا سببه زيادة الإفراز البروستاتي عن سعة القناة البروستاتية ، والإفراز الزائد لابد من تصريفه كالذي يحدث لحوض المياه أن امتلأ فالماء الزائد يطفح منه وتكرار حدوث هذه الظاهر ة غالباً ما يكون دليلاً على احتقان غدة البروستاتا أو التهاب بسيط بها.

وثالث نوع من هذا الإفراز ذلك الذي يصحب الحويصلات المنوية وهو سائل منوي غير مصحوب بشهوة ، وغالباً ما يحدث أثناء الرقصات الحديثة وأثناء ركوب العربات المزدحمة أو ركوب الدواب والدراجات المزدحمة أو ركوب الدواب والدراجات بالنسبة للشباب . كل هذه الأنواع من الإفرازات غير الالتهابية يمكن تميزها بسهولة وبالتوجيه السليم يقضي عليها . والتمادي فيها ، فالإثارة الجنسية للحواس تشارك فيها من لمس وبصر وشم كما تغذيها قراءة ومشاهدة الأفلام السينما والتلفزيون والمناظر المثيرة..كل ذلك يشارك في إحداث الإثارة الجنسية.

وليس من شك أن حياة المدن فيها مجال للإثارة الجنسية على نطاق وساع ومن الصعب بل من المستحيل تفادي هذه العوامل المثيرة للجنس حتى في أرقى مستويات التعليم "الحرم الجامعي" فما بالك بالأماكن الأخرى كالشوارع ودور السينما والأندية والأماكن العامة... هذه الإثارة الجنسية كيفما كان مصدرها توقظ المركز العصبي الأعلى للجنس ، الذي يرسل بدوره الإشارات للمركز الجنسي بالنخاع الشوكي ، ومركزه الجزء القطني ، وهذا يرسل إشاراته للأوعية الدموية التي تمتلئ بالسائل النووي ، وهو بدوره يقوم

بإرسال إشارات أخرى للأوعية الدموية بالعضو وخاصـــة الشـــرايين، فـــيزيد الانتصاب صلابته وهكذا دواليك حتى يشحن هذا المركز الجنسي القطني شـحناً كاملاً فيفرغ إشاراته للمركز المسيطر على المجمعـــات المنويـــة والعضـــلات المسيطرة على المجمعات المنوية والعضلات بالجـدار البطني والمعقدة آمـــراً إياها بالعمل ، فيحدث القذف ويخرج السائل المنوي مندفعاً من مجـــرى البـــول الأمامي عند الذكر ومن قناة عنق الرحم يخرج سائل شفاف مخاطي عند الأنثـى – مصحوباً بلذة ونشوة لأحد لها يعقبها العضو نفسه ويشـــعر المـــرء بالراحـــة والخلود إلى النوم في فترة الاسترخاء وقد تطول أو تقصر بين الأفراد كل علـى حسب حالته ، وتعني آخر المدة اللازمة لاستعادة النشاط الجنسي بعـــد العمليـــة الجنسية تختلف بين الأفراد فقد تكون دقائق أو ساعات أو أياماً وكذلك تختلـــف حسب مراحل العمر فكلما تقدم العمر بالإنسان تزيد وتطول مدة الاسترخاء.

مما سبق يظهر جلياً أن الاندفاع في العملية الجنسية حتى الطبيعية فـــي فترات متقاربة جداً قد يؤدي إلى ضعف الانتصـــاب ، وأحيانـــاً إلـــى فقـــدان الانتصاب تماماً لأن الإكثار من المراكز الجنسية المركزية "الأعلـــى" لإيقاظـــه تضعف عن إتيانها وحدوثها الإثارة الجنسية العادية ، وعليه لابنية هذا المركـــز العصبي لأن يرسل أوامره للمركز القطني فلا يحدث انتصاب عند أيـــة إثـــارة جنسية عادية ، ولو حدث انتصاب عند أية إثارة لكان الانتصاب ضعيفاً لدرجـــة أن المرء يخشى الفشل فيحجم عن العملية الجنسية هذا إلى أن كـــثرة العمليـــة الجنسية تجعل الحويصلات المنوية دائماً فارغة فلا يصدر عنها أيـــة إشـــارات مخية للمركز الجنسي القطني كما سبق القول ، وهذا يزيد من الضعف الجنسي ، ولذلك فخير الأمور الوسط ، أي الاعتدال في الناحية الجنسية ، فـــهو أضمـــن تأميناً لسلامتها.

- تجنب الإســـراف -

الانغماس في العادة السرية كما سبق يسبب احتقانـــاً بغـــدة البروســـتاتا والمجمعات المنوية التي ترسل بدورها إشارات تنبيه للمركز القطني الذي يصبح من كثرة ما تسلم من إشارات في حالة تأهب دائم فإذا هم الفرد بانجاز العمليـــة الجنسية يكون أقل احتكاك للعضو ولو من الملابس أثناء خلعها كافياً لأن يرسـل الإشارات الآمرة لمركز الإنزال العصبي والتفريغ ، ويشكو الفرد مـــن ســرعة القذف بمجرد الملامسة بل بمجرد الإثارة الجنسية ، وهذا يثـــير الخـــوف مـــن العملية الجنسية الطبيعية ، وما ينتج عن كثرة إتيان العادة السرية هو نفسه مـــا يحدث لو مارس الفرد القذف الخارجي كطريقة لعدم الإنجـــاب أثنـــاء العمليـــة الجنسية الطبيعية.

كذلك لا ننسى طول مدة الخطبة لمن أراد الزواج ، فالإثـــارة الجنســـية أثناء فترة الخطبة مستمرة على أشدها بالمشاهدة والمداعبة وخلافه مما يـــؤدي إلى احتقان متسمر لجميع أعضاء التناسل ثم الضعف الجنسي.

-مفهوم الاختلاط الجنسي-

الواقع أن الاختلاط الجنسي المباح والغير الملتزم بين الشباب بالمحـــافل والمراقص ودور اللهو والغناء وخلافه أكبـــر مدعاة للإثارة الجنسية المســـتمرة بين الشباب التي تؤدي إلى نفس النتيجة السابقة – احتقـــان مزمـــن بأعضـــاء التناسل وسرعة قذف فضعف جنسي.

علينا أن نبث في نفوس الشباب أنهم أخوة فلا أقل من أن يحـــب الفـــرد لزميله أو زميلته ما يحب لنفسه بل لشقيقاته وقريباته ، فينتظم المجتمع ترفـــرف

عليه راية المحبة والاحترام وتتلاشى تلك المناظر المؤذية من الطرقات والترام والأتوبيس وخلافه فلا معاكسة ولا تصرفات غير لائقة.

فإذا صادف الفتى أي هوى في نفسه لزميلة له فالصرخة التامة للآباء والأمهات أو بعض أفراد الأسرة وكل يبدي رأيه.

-التجربة والعفة-

والسؤال الذي يتردد كثيراً بين الشباب من كلا الجنسين هو "هل الابتعاد عن ممارسة الجنس يضر بالشباب ويؤدي إلى ضمور العضو لعدم استعماله؟".

لا ... ليس هناك خطر البتة من ذلك بشرط ألا يترك المرء نفسه العنان للإثارة الجنسية والتخيلات.... ويحضرني الآن لتشبيه طريف وهو صفيحة ملأت بالبنزين محكمة الغلق فلا خوف عليها من الاشتعال ، ويدخل العامل الأخلاقي كمؤثرة هام ، فمن لم يقدر ويستطيع فليتعفف ، وهناك نص ديني أن من بين من يستظلهم الرحمن بظله شاب يحفظ شبابه إذا دعته امرأة ذات مال وجمال ، فقال إني أخاف الله رب العالمين ، وما قصة سيدنا يوسف عليه السلام إلا تثبيت وإيضاح وقدوة طيبة حسنة.

وسؤال آخر هو: "هل إتيان العملية الجنسية أمر لابد منه قبل الزواج؟" أو بمعنى آخر هل يفشل المرء في حياته الزوجية إن لم يمارس الجنس قبلها؟

لا .... فهذا قول يتذرع به بعض ضعاف النفوس لطرق أبواب الدعارة... انظروا حولكم في خلق الرحمن ماذا ترون تجدون أن الحياة متكاملة وأن الأجناس لا تنقرض، فمن ذا الذي علم كل هذه الحيوانات العملية الجنسية؟

ولو ترك فتى وفتاة في مكان مهجور وزرتهما بعد عـدة سـنوات لوجـدت أن المكان أصبح مليئاً بالصبية والبنات ، والذي لقنها درس الجنس هـي الطبيعـة أعظم معلم للإنسان وللحياة الجنسية.

وسؤال ثالث يشغل بال الكثيرين وهو : "هل الكبـت الجنسـي يـؤدي بالصحة العامة والأعصاب وبنشر الأمراض بالجسم ويسبب حب الشباب؟

-الإجابـة بالنفي ... إنه ليس الكبت الجنسي بل الإثارة الجنسـية مـع عدم التصريف ومـا ينتج عنها كما سبق القول هو الذي يؤدي إلـى الضيـق النفسي والهموم وتشتيت الفكر والتبرم بالمجتمع ولا خوف من ممارسة العـادة السرية للتصريف على فترات متباعدة لا تقل عن أسبوع كما أوضحت سـابقاً... أما عن حب الشباب وغيره مـن الأمراض ، فكثيراً ما شاهدنا حدوثـها بعـد الزواج لا قبله ولا علاقة بينهما.

وكلمتي الأخيرة للشباب: لا يضـع الناحية الجنسـية نصـب عينيـه ، ويجعلها همه وشغله الشاغل ، بل يحاول أن يسيطر على نفسه ويكبـح جمـاح شهوته كل على حسب حالته ، فيـركز عقله وحسـه فـي عملـه ودرسـه ، ويستحسن أن يمارس هوايات مفيدة في أوقـات فراغـه كالرياضـة والرسـم والموسيقى وصيد السمك والرحلات والكتابة ..وما أكثر الهوايات.

الملابس الضيقة تؤثر على القدرة الجنسية

ومن المعروف أن وظيفة الخصية الطبيعية تتم في وجود الخصية داخل كيس الصفن ، وهو خارج تجويف البطن ، وفي درجة حرارة تقل حوالي درجتين عن درجة الحرارة داخل تجويف البطن. ومن هنا كان الاهتمام الشديد بعلاج حالات الخصية المعلقة . وفي سن مبكر أمراً ضرورياً ... حيث أن تأخر نزول الخصيتين إحداهما في كيس الصفن ،يجب أن يعالج فوراً وفي السنتين الأولى والثانية من بعد الولادة.

وحتى السنة الخامسة من العمر كأقصى حد لذلك . ببعض أنواع الهرمونات ، فإذا لم تنجح يتم اللجوء إلى التدخل الجراحي ، لأن وجود الخصية داخل البطن أو فوق كيس الصفن أو أي مكان قريب غير الكيس يعرضها لتأثير ضار على وظيفتها الإيجابية (إنتاج الحيوانات المنوية) عند سن البلوغ وما بعده.

وفي إحدى النظريات ، أنه توجد علاقة بين دوالي الخصية ، والعقم ، حيث أن وجود الدوالي يؤدي إلى ركود الدورة الدموية وارتفاع درجة حرارة الخصية ... ومن هنا كان أحد أسباب الارتباط وجود الدوالي يضعف إنتاج الحيوانات المنوية.

ونوعيتها ...

أوضحت بعض الأبحاث علاقة العمل في درجات حرارة عالية ... أو

استخدام الحمامات الساخنة لمدة طويلة يومياً أو شبه يومية يؤثر على الخصوبة عند الرجال.

ونتيجة لهذه الأسباب وغيرها ، فقد أصبح من الضروري الاهتمام والتوعية بالأسباب التي تؤدي إلى ارتفاع درجة حرارة الخصية .. أو إعاقة الدورة الدموية المحيطة بها لتجنبها.

ولذا فإن من أهم النصائح الصحية والطبية في مجال الخصوبة والمحافظة على وظائف الخصية .. عدم ارتداء الملابس الضيقة والمحكمة ... وخاصة التي تضغط على منطقة الوسط أو أسفل البطن... مثل الجينز الضيق وعدم ارتداء الملابس الداخلية والمايوهات النايلون كالبوليستر والتي أصبح من الملاحظ كثيرة استخدمها عند بعد الضباب لفترات طويلة .. حيث أنها لا تسمح بدرجات الحرارة العادية في منطقة كيس الصفن ، وتؤدي إلى ارتفاع في درجة الحرارة داخله .. وبالتالي تؤثر على درجة الخصوبة عند الرجال... كما أنه من الضروري الاهتمام بتجنب الملابس و الأحزمة الضيقة عند الخصر ، حيث أنها تؤدي إلى احتقان بالدورة الدموية أسفل مكانها... وبالتالي تساعد على ارتباك وظيفي في منطقة كيس الصفن.. والغدد التناسلية عند الرجل.

ومن المعروف أيضاً أن ارتداء الملابس المحكمة والضيقة يؤدي إلى زيادة الاحتكاك بين الفخذين ، وإلى الالتهابات الفطرية والبكتيرية في هذه المناطق ، مما يساعد على ظهور الأمراض الجلدية فيها ، ولذا يجب تجنبها لهذا السبب أيضاً.

البرود الجنسي عند المرأة

البرود الجنسي عند المرأة يعني أن المرأة تأخذ القليل من اللذة الجنسية.

وفي الواقع فهي معدومة الاحساسات الجنسية ، ومن الناحية الفسيولوجية فإن هذه المرأة لا يحدث لها احتقان في الأغشية المخاطية – أي زيادة في كمية الدم– في الأعضاء التناسلية إذا ما حدث لقاء جنسي ، وبالتالي فإن المهبل يبقى جافاً أو قريباً من ذلك.

وبعض النساء اللاتي يشكين من البرود الجنسي يتحملن اللقاء الجنسي حتى يحافظن على زواجهن ، والبعض الآخر لا يطقن الاتصال الجنسي ، بل قد يعملن على عدم حدوثه.

وهناك مجموعة ثالثة من المرضى ، وهذه المجموعة بالرغم من أنها لا تثار جنسياً ، إلا أنها تستمتع من اللمسات والتقارب الجسدي الذي يحدث في عملية الجماع.

ومن الأشياء النادرة الحدوث هي وجود امرأة ليس لها مشاعر أو احساسات جنسية ، ولكن هذه المرأة قادرة على الوصول إلى قمة اللذة إذا تم اللقاء الجنسي.

وبعض النساء اللاتي يشكين من البرود الجنسي لا يرفضن العملية الجنسية، بل قد يستخدمن حركات أجسامهن حتى يصل الأزواج إلى قمة اللذة وبسرعة ، وبهذه الطريقة يتم الزواج.

والبعض الأخر يجدن من هذه العملية التي ليس فيها استمتاع لهن نوع من الإحباط ، وبذلك يعملن على عدم حدوثها... وذلك باللجوء إلى بعض الحيل بدلاً من القول بصراحة أنهن لا يردن هذا اللقاء ، ومن هذه الحيل الادعاء بأنهن مريضات أو متعبات ، أو العمل على إثارة مشاجرة قبل الذهاب إلى السرير.

وانفعالات الرجل تجاه هذه المواقف متغيرة ، فإما أن الرجل يرضى بهذا الموقف بل وقد يعتبره شيئاً حسناً وفي صالحه ، أو أن الرجل يعتبر أن امرأته لا تثار جنسياً ، وذلك لوجود عيباً فيه ، وأنها ترفضه ، ونتيجة ذلك فإن الرجل يضغط على امرأته حتى تثار جنسياً، والنتيجة هي مزيد من البرود.

والبرود في المرأة يقابله عدم الانتصاب في الرجل ، ولكنه يختلف عنه، ففي كثير من المجتمعات فإن الرجل مطالب بأن يقوم بالعملية الجنسية وحده أما دور المرأة فهو ثانوي.. حتى أنه في كثير من المجتمعات فإن المرأة يجب ألا تثار جنسياً.. وهنا شريحة من المجتمع الأمريكي تعتبر أن وظيفة المرأة هي إعطاء اللذة للرجل وحمل الأطفال.

ونتيجة لذلك فإن كثير من الأطباء يقول للمرأة الباردة أنها طبيعية ، ويجب أن تبقى كذلك.

وكثيرات من السيدات اللاتي يبدو أنهن في تمام الصحة النفسية والجسدية والمتزوجات من زمن بعيد ... كثيراً منهن لم يجربن اللذة الجنسية ولم تثرن جنسياً ولو لمرة واحدة.

وعندما تثار المرأة فإنه يحدث كثير من الأشياء ، منها أن كميـــة الـــدم الذاهبة إلى الأعضاء التناسلية تزداد ، ونتيجة لذلك فإن حجم الشفرتين يكـــبران وكذلك الأنسجة المحيطة بالمهبل ، كذلك يصبح حجم المهبل أكـــبر ، ويرتفـــع الرحم إلى أعلى.

وهذه التغيرات الفسيولوجية تقع تحت تأثير الجهاز العصبي اللاإرادي ، وهذا الجهاز يتحكم أيضاً في عمليات كثيرة منها الهضم والتنفس.

وكما يحدث اضطراب في الهضم إذا كان الإنسان مضطرباً أو خائفـــاً ، كذلك يحدث اضطراب في الانفعالات الجنســـية إذا كـــانت المـــرأة خائفـــة أو مضطربة ، بمعنى أن المرأة قد تصـــاب بالبرود إذا كانت خائفة من أنـــها لـــن تصل إلى قمة اللذة ، أو أنها غير قادرة على توصيل مشاعرها الجنســـية إلـــى زوجها ، خائفة من عدم استطاعتها مواصلة العملية الجنسيـــــة.

في هذه الحالات يجب على الطبيب المعالج أن يعمل على خلـــق حالـــة توافق بين الرجل وامرأته باعتبارها علاقة أعمق من الجنس وحـــــده ، وبذلـــك تحرر المرأة من الخوف مـــن الاتصال الجنسي ، وإذا ما تحررت مــــن هـــذا الخوف ، فإنها تستطيع أن تتجاوب مع الأحاسيس الجنسية.

بمعنى أن الرجل يتوقـــف عن مزاولـــــة العمليـــة الجنســـية بالطريقـــة المعروفة ويستبدل بها طريقة أخرى كأن يستلقي عارياً وتبـــدأ امرأتـــه بلمـــس أجزاء من جسمه ، وبذلك تتخلص المرأة مما قد تتخيله من أنها ترتكب معصيـــة إذا لمست زوجها وحتى تتعود الزوجة على الاستمتاع بلمسات زوجها وتركـــز عليها.

وقد يكون لهذا التمرين تأثير عظيم ، فالمرأة وقد أصبحت غير ملزمة

بالوصول إلى قمة اللذة تصبح قادرة على أن تستمع بلمسات زوجها ، والمرأة وقد أصبحت مطمئنة إلى أنها غير مطالبة بأي إثارة جنسية...عندئذ تستطيع أن تنفعل مع الإثارات الجنسية.

ونجاح هذه الطريقة يعتمد على الزوج الذي يحب أن لا يعمل على إتمام الاتصال الجنسي .. بعد هذا يبدأ الرجل بلمس الأعضاء التناسلية للمرأة ثم بعد ذلك الاتصال الجنسي.

الضعف الجنسي ودور المرأة

إن للمرأة دوراً هاماً في حياة الرجل الجنسية ، فالمرأة لهـا دور كبـير في تكوين مقومات الشخصية الجنسية للشاب من الطفولـة إلى المراهقة ، ثـم يأتي دور الصديقة أو الخطيبة في سن الرجولـة المبكـرة ليضيـف بعـض الإضافات ويمحو بعض الشوائب التي لم تكن واضحة المعالم.

وفي النهاية يأتي دور الزوجة التي لها تأثير كبـير علـى الشـخصية الجنسية للرجل منذ بدء الحياة الزوجية وحتى نهايتها.

وعلى الرغم من صعوبة تخيل هذا الدور الكبير الذي تلعبه المرأة فـي حياة الرجل الجنسية من الطفولة إلى الرجولة إلا أن جميع المهتمين بهذا الأمـر من الأطباء وعلماء النفس وعلماء الاجتماع أمكنهم رؤية هذا الـدور بوضـوح شديد في كيفية تكوين هذه الشخصيـة الجنسية ومدى تأثير المرأة عليـها فـي جميع مراحلها.

إلا أن شرح هذا الأمر لا يكفيه مقالة ولا كتاب فهو خلاصـة دراسـة سنوات طويلة تحتاج إلى مجلدات لتسجيل نتائجها لكن ما يفينا في هذا الجمـال ليس دور المرأة بصفة عامة في تكوين الشخصية الجنسية للرجـل بـالضعف الجنسي في مراحل العمر المختلفة.

ولقد وجد أن في بعض الحالات التي يكون فيها ارتباط الصبـي بأمـه ارتباطاً شديداً تمتزج فيه مشاعر الحب بمشاعر التقديس ، قد يؤثر هـذا علـى الصبي في شبابه فيجعله يعاني من الضعف الجنسي إذا أنه لا يريد أن يدنـس المرأة أيا كانت فجميع النساء في مفهومة هن بمثابة أمه التي أحاطها بهالة مـن التقديس بعيداً عن أي دنس... كما أنه في حالات أخرى نجـد أن حـب الابـن

الشديد لأمه وارتباطه بها يجعله لا يطيق أن يراها وهي تتألم سواء من ممارسة جنسية أو من آلام حمل أو فتكون بلا شك أن هذه الصور تبقى في ذهنه مرتبطة بذكريات رآها في طفولته جعلته يعتقد أن الجنس يسبب الألم للمرأة وهو لا يريد أن يتسبب في معاناة المرأة التي هي رمز لأمه التي يحبها أو لا يريد أن يكون سببا في إيلامها.

أما الخطيبة أو الصديقة فإنها قد تكون سبباً في شعور الشاب بالضعف الجنسي إذ أنه في العديد من الحالات وجد أن التجربة الجنسية الأولى للشاب تعد نقطة هامة في بناء الشخصية الجنسية من الزاوية النفسية .

فلو صادف الشاب فتاته الأولى وكانت على دراية كبيرة بالجنس ، بحيث أشعرته بتفوقها عليه في معرفة أمور الجنس وهو مازال شاباً خجولاً عديم الخبرة والتجربة ، فإنه غالباً ما يفقد قدرته على الشعور بالتفوق الذي يحتاج إليه الرجل أمام المرآة لذا نجده قد أصيب بالضعف الجنسي المؤقت أمام هذه الفتاة لكن إذا ما كانت هذه الفتاة قاسية في تعاملها معه بحيث عايرته بضعفه فإن هذا الشاب غالباً ما يصاب بالضعف الجنسي تجاه أي امرأة أخرى إلى أن يتم علاجه نفسياً مما أصابه.

فإذا ما وصلنا إلى المرأة كزوجة فإن لها دور أساسياً في ليلة الزفاف قد يكون السبب الرئيسي ، في إصابة الزوج بالضعف الجنسي ...

وهذا الدور يمكن تلخيصه في عبارة واحدة وهي أن العروس لو كانت محبة لعريسها حريصة على تجنب ما يعكر صفو حياتها الزوجية ، وكانت على درجة ولو ضئيلة من الثقافة الجنسية لقامت بواجبها كاملاً حيال عريسها أو

جنبته ما يمكن أن يتعرض له من جراء تمنعها الشديد أو حديثها الجارح أو عدم معاونته على اجتياز تلك الليلة.

إن هناك العديد من حالات الضعف الجنسي تحدث في ليلة الزفاف وللأسف أن غالبية هذه الحالات يكون السبب فيها الزوج إما عن جهل أو عدم تجارب.

أما الزوجة خلال الحياة الزوجية فإنها أيضاً قد تكون في بعض الحالات السبب في إصابة زوجها بالضعف الجنسي وفي حالات أخرى يصاب بفقدان الرغبة الجنسية بالكامل ، وذلك بسبب إهمال الزوجة لنفسها وإهمالها لعناصر الجذب الجنسية للرجل ظننا منها أن الحياة الجنسية ستسير من تلقاء نفسها وهذا فهم خاطئ إذ أن الرجل يحتاج دائماً إلى أن يجد في زوجته عناصر الإغراء والجذب الجنسي كما يحتاج لان يشعر برغبتها في الجنس لا في إعراضها عنه فهذا عنصر هام تهمله بعض الزوجات متعللا بكبر السن أو ازدياد مشاغل الحياة.

وعلى الرغم من أن للضعف الجنسي أسباباً عديدة عضوية ونفسية إلا أن دور المرأة يظل فوق جميع هذه الأسباب والمتسبب في نسبة عالية من الحالات.

كيف يساعد الزوج زوجته في الخلاص من البرود الجنسي

بادئ ذي بدء يجب أن نقرر أنه لا علاقة جنسية بدون حب.... ولابد أن يكون هناك قدر كاف من المشاعر بين كل زوجين ... ولقد استشارتني إحدى الزوجات يوماً في أمر إصابتها بالبرود الجنسي الذي تقول إنها لا تشعر به إلا تجاه زوجها دون غيره من الرجال ، وتبين لي بعد ذلك أنه يكبرها بعشرين عاماً وأن أباها قد أجبرها على الزواج منه ، وهي لا تحبه ، وحياتها معه أصبحت جحيماً وأمسى السرير في نظرها أداة من أدوات التنكيل ، كما أصبحت حجرة النوم بالنسبة لها غرفة من غرف التعذيب.

على الزوج أن يدرك أنه لابد أن يتوفر بينه وبين الزوجة إذن قدر من الحب. فإذا ما توفر هذا القدر مهما صغر فعليه أن يتعلم فنون الحب.. وأول هذه الفنون درس يقول أن حاسة اللمس هي أقوى الحواس إثارة للمرأة ، وأن مداعبة واستثارة غرائز الزوجة عن طريق هذه الحاسة ضرورة لازمة أشد ما تكون للمرأة قبل الجماع.

على الزوج أن يقف يوماً أمام زوج من الحمام يداعب اليفته وأن يشاهد وهو يضع منقاره في منقاره أنثاه وهو يمشط رأسها وريش عنها برأسه وهو يداعب فيضربها بجناحة برفق وقد يعضها في حذر دون أن يؤذيها.

على الزوج أن يوقن بأن العملية الجنسية ليست واجباً يؤديه الزوج ويحتمه الدين ، وتفرضه الشرائع ، ولكنها عملية "فسيولوجية كالأكل والشراب

تؤدي إلى استمتاع الطرفين بها كوجبة غذائية شهية أو كوب من العصير المثلج في يوم صيفٍ ، ولقد تبين لي من سؤال أكثر من مائة سيدة ممن يحضرن لاستشارتي أن الزمن مهم وأن بعضهن يفضلن أول الليل للقاء أزواجهن والبعض الآخر يفضلن الصباح المبكر ، ولكن أكثرهن كن يرفضن تماماً أن يوقظن أزواجهن من النوم من أجل ذلك .

كما تبين أيضاً أن المكان مهم قد ترجع أهمية المكان هذا إلى ما في غريزة المرأة منذ آلاف السنين حين لاحظت أن الطير ينسق عشه ويعني بشكل هذا العش قبل عملية التزاوج وأثناء موسمه.

كما وضح كذلك أن الوقت الذي يسبق العملية الجنسية عند المرأة مهم في أهمية العملية الجنسية ذاتها ، وأن أكثر الأماكن حساسية عند المرأة بعد الأعضاء التناسلية هي حلمة الثدي ثم باقي منطقة الثدي ثم الشفاه ، يلي ذلك الأسنان واللسان ثم مؤخر الظهر وجانب أسفل العنق.

ولكن لكل امرأة طابعها الخاص ونقاط معينة تثيرها أكثر من باقي الجسد...

وعلى الزوج أن يكتشف من طول العشرة ومن التفاهم مع الزوجة نقاط الإحساس هذه من أجل زواج أسعد وأبقى.

إن حاجة المرأة إلى الجنس تبدو أشد من الرجل وفي كل حالات الطلاق التي صادفناها كان جهل الرجل إلى حد ما بأسرار الجنس واحتياجات الزوجة الجنسية سبباً مباشراً أو غير مباشر في الطلاق.

إن بعض الزوجات تثيرهن أكثر ما تثيرهن مداعبة حلمة الأذن أو ما

خلف حلمة الأذن من منطقة الرقبة ... وبعضهن يثيرهن مداعبة كف اليد من الداخل وأخريات بطن القدم أو خلف الساق أو أرنبة الأنف.. ومن المعروف أن التقبيل في اليابان والصين لا يتم عن طريق تبادل القبل على الشفاه وإنما عن طريق التقاء الأنفين.

وغيرهن يثيرهن مداعبة أعلى الذراع من جهة الكتف أكثر مما يثيرهن التقاء الشفاه أو لمس الأسنان ، والمرأة التي تعتز بشعرها الطويل الناعم وتفخر به قد تجد لذه كبرى حين يداعبه الزوج أو يجذبه برفق.

ثم يأتي حاسة السمع عند المرأة وهي تلك حاسة اللمس من ناحية إثارة غرائزها .. أن يلقى الزوج في سمع زوجته بكلمات هامسة عن حبه وولعه بها ... أو ببعض المداعبات سواء قبلة العملية أو في أثنائها فإن ذلك كفيل أن يبقى على زواج أوشك أن ينتهي بسبب صمت الزوج وحرصه على أن ينتهي سريعاً من هذا الأمر وكأنما هو واجب عليه أن يؤديه طوعاً أو كرها .. يكون سمع المرأة أرهف ما يكون في هذه اللحظات ... واستجابتها أقوى ما تكون في ذلك الوقت ، وتبقى كلماته في أذنيها إلى الأبد لا تنساها.

ثم تأتي بعد ذلك حاسة النظر ، وبعض الإناث يثيرهن الضوء الأحمر الخافت ، وبعضهن الضوء الأصفر الباهت والأكثر منهن اللاضوء ، وبمجرد أن تحتوي الحجرة على رجل وامرأة يربطهما الحب والزواج ، وبمجرد أن ينطفئ النور عفواً أو عمداً فإن ذلك وحده كفيل بأن يثير غرائز المرأة.

لقد ثبت علمياً أن العملية الجنسية فن من الفنون كالنحت والتصوير والموسيقى تعتمد على التجربة والمران.. وعلى العروسين الجديدين ألا يخشيا شيئاً إذا لم يصلا إلى التفاهم الكامل سريعاً ، ولسوف يتم ذلك بمرور الوقت ،

ورغم أن رجل الغابة الذي لم يلقنه أحد أسرار الجنس يندفع إلى الأنثى بطريقة تلقائية وبوحي من غريزته ، إلا أنه يوماً بعد يوم وعام بعد عام يحسن أداءه ويتم العملية بدرجة أكثر إتقاناً... وهو يوماً بعد يوم يزداد ألفة للإناث من حوله ويتفنن في مداعبتهن ثم يختار إحداهن أليفا دائماً.

والشمبانزي البالغ الذي لم يسبق له التزواج يصعب عليه أداء العملية الجنسية في أيام البلوغ الأولى مهما حاولت الأنثى مساعدته ، وهو يشعر بالحاجة إلى الجلب الآخر ، وتبدو عليه علامات الانتصاب كاملة ، ولكنه في المرات الأولى وبدون تجربة أو مران لا يستطيع إتيان الأنثى هذه التي تبدو منذ الوهلة الأولى ، كما سبق أن ذكرنا أكثر فهماً من الذكر للجنس بالغريزة.

النشوة في المرأة وأبعادهـــــا

هناك سؤال دائم التردد وبإلحاح على أفكار جنسنا البشري وهو ... هـل يحدث امتصاص الحيوانات المنويـــة بواسطة الرحم عند حدوث النشـــوة فـــي المرأة "أي القذف في "المرأة".

وللإجابة على هذا الســؤال ، لابد من أن نحلل النشـــوة فـــي المـــرأة التحليل العلمي السليم أي وفقاً للمقاييس العلمية من حيـــث الأداء الفســيولوجي للأعضاء التناسلية أثناء بلوغ النشوة وما يتبع ذلك من تصرفات.

ويمكن تقسم النشوة في النساء إلى أربعة أنواع شبه محدودة:-

١. الإحساس بالنشوة نتيجة لذبذبة عضو البظر والمنطقة المحيطة به ، وهو إحساس بالمدة التي قد تكون متتابعة ومصحوبة برعشة خفيفة ولكنها ليسـت مصحوبة بتقلصات عضلية مهبليـــة.

وهذا النوع يسمـــــى "بنشوة البظر".

٢. الإحساس بالنشوة داخل قناة المهبل ويسمى "بنشوة المهبل" وهو إحســاس برعشة مصحوبة بتقلصات متقطعة أو متصلة في المهبل ، وخاصة الجـــزء الخارجي منه ... مع حركات لا إرادية في البطن والعجز والحوض.

٣. الإحساس بالنشوة في عمق... وهي تحدث نتيجة لتتابع تصادم العضـــو وهي للذكر بعنق الرحم وهو يسمى "بالنشوة الرحمية" ويسبقها سرعة فـــي التنفس وتهدج في الصوت وإغماض في العينين ثم فجأة يحدث توقف فـــي

التنفس لمدة ١٠-٣٠ ثانية ، ثم مدة تنهدات ونفس عميق وقد تحدث إغماءة خفيفة متفاوتة المدة.

٤. "النوع المركب" وهو أن يتداخل نوعان أو أكثر من الأنواع الثلاثة المذكورة ، وأن كان النوع الثالث دائماً هو نهاية الأمر ... أي أن يحدث النوع الأول أو النوع الثاني ثم النوع الثالث دائماً.

ويختلف تجاوب المرأة في الأنواع الثلاثة اختلافاً بين ، وذلك لعدة عوامل أهمها الإحساس بالحب والحنان والهدوء المحيط بالمكان وعدم الخوف من الحمل... إلخ.

والتحليل الفسيولوجي للوصول للنشوة:

يمكن أن يقسم كما يلي :

١. التأثير النفسي المصاحب للقاء وإحساس السعادة بإرضاء الطرف الآخر والاستجابة لرغباته.

٢. الإحساس المنقول من الأماكن ذات الحساسية العالية مثل الرقبة والثديين والبطن ... إلخ ، ثم الإحساس بالتصاق الجسدين وضغط هذا الالتصاق على الأجهزة الداخلية.

٣. ضغط الجسم والأعضاء التناسلية على فتحة المهبل والشفرين والالتصاق بعضو البظر أثناء حركة القضيب ... ثم الإحساس الداخلي لقناة المهبل نفسها وإن كان قليلاً نسبياً.

٤. شد العضلات الموجودة في الحوض مع الحركة أثناء اللقاء، وما يصحب ذلك من تنبيه للأعصاب الحسية العميقة الموجودة بكثرة في الحوض وفي عضلاته.

٥. التنبيه المثمر للمنطقة الحساسة الموجودة بين المهبل والمستقيم.

٦. الدقات المنتظمة على عنق الرحم بواسطة العضو الذكري مما يحرك الغشاء البرتبوني المحيط بالرحم والأمعاء ، وذلك له تأثير مباشر على الجهاز العصبي.

كل هذه المسببات ترسل تنبيهات عصبية مستمرة للنخاع الشوكي والمخ تزداد بالتدريج حتى تصل إلى الذروة فيحدث "إفراغ" مفاجئ للشحنة الكهربائية وتحدث "النشوة".

وهناك بعض المفاهيم يجب أن نسلط الضوء عليها:

أولاً: الإحساس الداخلي الموجود في قناة المهبل ليس بالدرجة الكبيرة ولا يشكل غير ٩% من الإحساس الجنسي ، لذلك فالإيلاج الكامل لا يؤدي إلى النشوة كنتيجة (لاحتكاك المهبل فقط) كما يتوارد في الذهن ، بل أن النشوة ودرجاتها وأنواعها تكون للأسباب الأخرى التي ذكرناها من قبل .... أي التأثير النفسي والملاحقة الجسدية والاحتكاك الخارجي... إلخ.

ثانياً: فقد لا تستطيع المرأة الوصول إلى قمة النشوة والإفراغ ولكنها تسعد مع ذلك باللقاء الجنسي . والواقع أن الوصول إلى اللذة الكاملة أو النشوة الكاملة ليس شرطاً أساسياً لدى كل النساء حتى أن بعض الأبحاث والإحصائيات ذكرت أن ١٠% - ٧% من النساء لا يصلن للنشوة الكاملة في كل مرة لقاء جنسي ولا يشكين من البرود الجنسي.

ثالثاً: ليست النشوة عاملاً لازماً وأساسياً لحدوث الحمل ، بل يمكن حدوث الحمل بسهولة بدونها.

رابعاً: لاشك أن طهارة البنات وهو أمر موجود بكثرة في مصر وبعض البلاد العربية والأفريقية يقلل من الإحساس الجنسي ومن احتمال لبلوغ النشوة الكاملة غير أنه لا يلغي ذلك تماما لأن الإحساس كما ذكرنا موزع ، لأنها حتى لو تم علاجها في هذه السن المتأخرة ، فإن الآثار النفسية التي صاحبت وجودها مدة الطفولة قد لا تمحى تماماً وتترك له مضاعفات تؤثر على القدرة الجنسية.

أمراض الكبار والقدرة الجنسية

هناك أمراض لا تعد ولا تحصى قد تصيب القدرة الجنسية في البالغين والقاموس الطبي يحتوي على طيف لا ينتهي من هذه الأمراض التي تصيب الجهاز التناسلي نفسه.

ولكن يمكن القول أن جميع هذه الأمراض تؤثر تأثيراً إما مباشر على الجهاز العصبي والدموي والمهيمن على الأداء الجنسي.

والنداء الجنسي سنفونية متجانسة يقوم بعزفها الجهاز العصبي اللارادي ويقوم هذه السيفونية ما تبدو متمكن هو الوعي والإدراك وما يصاحبهما من عواطف وانفعالات ، بعزف هذه الأوكسترا السيمفونية إفرازات الهرمونات من الغدد الصماء ومن الغدد التناسلية "الخصية والمبيضين".

والنجاح في الأداء الجنسي يتم بالتجانس في هذه الوظائف جميعها ،

فإذا نشاز "أي المقطوعة" حدث القصور في الأداء ، لذلك فإن المـــرض الـــذي يصيب واحد أو أكثر في الأوركسترا تؤدي إلى القصور في الأداء.

فمثلاً الاضطرابات العصبية والنفسية مثل القلق والتوتـــر والانفعـــالات المزمنة الخ..تضعف الرغبة الجنسية.

والأمراض التي تصيب الجهـــاز العصبي والأعصاب الطرفية مباشــرة أو بطريق غير مباشرة تؤدي إلى قصور مؤكد في الأداء الجنسي مثـــال ذلـــك أمراض الجهاز العصبي والنخاع الشوكي نفسه ، كضمور الأعصاب والتـــهابات الأعصاب الطرفية المصاحب لأمراض السكـــر ونقص الفيتامينـــــات "خاصـــة فيتامين ب١٢ و أ " والأنيميا الخبيثة كلها تضعـــف القدرة التناسلية والجنســـية بشكل مطرد خاصة إذا أهمل العلاج.

وأمراض الأوعية الدموية كالجلطات وتصلب للانتصاب فـــي الرجـــل وكذلك النشاط النشوي في المرأة.

وقد يؤدي مرض واحد إلى الإصابة في أماكن متعددة فالسكر يصيـــب الأعصاب الطرفية ويصيب الأوعية الدموية وادمان الكحوليات يصيب إبطـــاء الأعصاب الطرفية والأوعية الدموية.

أما المخدرات مثل الحشيش فهي تضعف الإفرازات الهرمونية للقـــدرة الجنسية والأداء الجنسي السليم.

وهناك بعض الأمراض التي تصيب الإفرازات الهرمونية للغدة التناسلية وتؤثر في عدة أماكن أخرى ، وليس وفقاً على عضـــو البظـــر الـــذي يـــزال بالطهارة.

ونعود إلى سؤالنا الأول... هل النشوة تصحبها حركات ماسة من الرحم لامتصاص الحيوانات المنوية ؟؟

الإجابة على هذا السؤال فقد قام بعض العلماء بعمـــــل تجــارب علـــى الحيوانات مثل الكلاب ، حيث عملت "توصيلة" صناعيـــة بيـــن الرحـــم وبيـــن السطح الخارجي للجلد ، وبعد مرور أقل من ٣ دقائق – اندفع السائل المنـــــوي من التوصيلة المذكورة مما يعني أن الرحم قام بامتصاص السائل المنوي بعــــد انتهاء اللقاء الجنسي.

أما في الإنسان فلم يمكن عمل نفس التجربة طبعاً، ولكن عملت تجــارب مماثلة لقياس الضغط الداخلي للرحم أثناء وبعد الجماع ، وخاصة بعــد حــدوث النشوة في المرأة ، ولم يثبت بالدليل القاطع حدوث امتصاص من الرحم –لبـــن النشوة للسائل المنوي ، ورغم ذلك فقد أثبتت بعض التجارب وصـــول بعــض الحيوانات المنوية إلى قنوات فالوب وهي تقع في أعلى الرحم وتصـــل بينــــه وبين المبيضين ووصلت هذه الحيوانات بعد مرور وقت قصـــير مــن اللقـــاء الجنسي لا يزيد عن ٣–٥ دقائق ، وحيث أن الحيوانات المنوية ليست لها هــــذه القدرة على الحركة السريعة ، لذا فهذا يعني أن الرحم قام بامتصـــاص الســـائل المنوي وعمل بظهور الحيوانات المنوية في هذا المجال البعيد نسبياً.

وما علاج ذلك بحدوث الحمـــــل

كما سبق أن ذكرنا ليست النشوة وحدوثها أو عدم حدوثها أمـــر لازمـــاً للحمل ، كما يظن البعض بل أن بعض العلماء وصلوا إلى استنتاج بان حــدوث النشوة –خاصة النشوة المهبلية– قد يعوق الحمل لما يسببه من طــــرد الســـائل

المنوي فيما إذا سبق حدوث النشوة قذف من الرجل بحيث يكون السائل المنــوي موجوداً في المهبل من قبل.

يبدو أن النشوة في المرأة لها أبعاد خاصة ذات أعمـــاق سـيكولوجياً لا علاقة لها بالحمل نفسه وأنها نتيجة لتطور حدث في التركيبة الجنسية للإنســـان بصفة خاصة حولت اللقاء الجنسي من لقاء صدفـــة أساســه حــدوث الحمــل واستمرار النوع إلى لقاء للمتعة أيضاً حتى بدون حدوث الحمـــــل أو الرغبــة منه.

الحمل والرضاعة والحياة الزوجيـــــة

الآن وبعد أن حدث الحمل ، هل هناك أثر لذلك على الحيـــاة الجنســية طبعاً الحمل يقلل من الرغبة الجنسية عند المرأة وبشدة بل أن هذه الرغبـــة قــد تختفي تماماً عند بعض الزوجات تماماً كما عند بعض الزوجات تماماً.

قلت في حديثنا عن القطط أن القطة الحامل ترفض أن يقترب منـــها أي ذكر ، فهـــي تنفر من أي ذكر يقترب منها .

وهكذا يجب ألا ينزعج الزوج عندما يلاحظ أن زوجتـــه تـــهرب مــن العلاقة الجنسية بعد أن تعرف أنهـــا حامـــل لأن رغبتها ســـتعود حتمـــاً بعــد الولادة بفترة.

وهل معنى ذلك أن ننصح الأزواج بتأجيل إنجاب الأطفال لفـــترة بعــد الزواج ؟

ولكن ماذا لو أصر الزوج ؟

في الشهور الأولى في الحمل يجب أن يكون الاقـــتراب مـــن الزوجـــة محدوداً جداً وبالذات في الحمل الأول لأن الاتصال الجنسي يؤدي إلى حـــدوث تقلصات في الرحم ، فإن كان الرحم من هذا النوع القلق الحساس فـــإن إتمـــام العملية الجنسية يكون أحد الأسباب التي تؤدي إلى حدوث الإجهاض.

في مثـــل هذه الحالة يجب الامتناع تماماً عن الاتصال الجنســـي فـــي الأشهر الأولى حتى لا يتكرر الإجهاض الذي حدث من قبل .

كذلك في الشهور الأخيرة من الحمل يكون الرحم حساساً ، وهكـذا قـد تكون العلاقة الزوجية بالزوجة في هذه الأشهر سبباً في حدوث الـولادة قبـل الميعاد بجانب حدوث التهاب في الفترة التالية للولادة.

سمعت يا دكتور أن الأم تشعر براحة جنسية عندما ترضع المولود هـل هذا صحيح ؟ فعلا هذا صحيح.

متى يمكن أن يعود الزوج إلى الاتصال بزوجته بعد الولادة ؟

الأفضل بعد ستة أسابيع.

العلاقة الجنسية بعد طفلك الأول

ولادة الطفل الأول تعتبر حادثاً سعيداً لكل الأطراف ، فإن هذا الوافد الجديد يفرض نفسه بشدة على الأسرة فيؤثر تأثيراً دراميا على كل إيقاعات الحياة اليومية لم يعد الأمر زوجاً وزوجة ، بل أصبح أباً وأماً وطفلاً ... وأصبح الطل طرفاً من كل التصرفات اليومية مثل مواعيد الرضاعة ومواعيد النوم ومواعيد الإخراج وكيفيته ، بكاء الطفل وأسبابه التوعكات الصحية إلى آخر الخطر الطويل المعروف ، ولقد أجريت إحصائية في بريطانيا على شريحة كبيرة من المجتمع وجهت لهم أسئلة محددة وكان الشرط الأساسي أن يكون الطفل عمره أقل من سنتين ، ووضع في الاعتبار فترة الزواج التي سبقت إنجاب الطفل الأول: ما بين سنتين إلى أكثر من سبع سنوات ، وشملت الأسئلة العلاقة الزوجية والجنسية قبل الإنجاب وبعده ، وكانت النتائج التي نشرت معبرة تماماً عما يحدث في العلاقة الجنسية بعد إنجاب الطفل الأول .

أولا : قبل الإنجاب

١. أجاب ٧٠% من الأزواج بأن العلاقة الجنسية قد استقرت على ١-٣ مرات أسبوعاً كما أجاب ٨٠% من الزوجات أن ذلك يسعدهن وأنهن قانعات بذلك.

٢. ثبت أن المبادرة الجنسية يقوم بها ٥٠% من الأزواج و ٤٥% من الطرفين بالتفاهم والتلميح ونادراً ما تقوم الزوجة بالمبادرة.

٣. ٨٠% من الأزواج يفضلون العلاقة الجنسية في الوضع الطبيعي أي الزوج في القمة على الأوضاع الأخرى.

٤. ٢٠% من الأزواج يستعملون الأيدي لإيصال الزوجة إلى القمة الجنسية أو النشوة وبرضاء الطرف الآخر.

٥. ٥٠% من الزوجات فقط ذكرن أنهن يصلن إلى النشوة في كل مرات اللقاء بينما ذكر ٢٠% أن النشوة لا تأتي في كل مرات اللقاء ٥% لا يصلن بتاتاً للنشوة.

٦. ثبت أن طول فترة الزواج لها تأثير إيجابي على القدرة الجنسية والوصول للنشوية عند السيدات أي أن الرغبة والقدرة تزداد أو تتحسن مع مرور الوقت.

ثانيا: أثناء الحمل وبعد ولادة الطفل الأول.

١. ٧٠% من السيدات الحوامل في الطفل الأول ذكرن أن الرغبة الجنسية انخفضت بشدة أثناء الحمل مقابل ٤٠% فقط من الأزواج.

٢. ٤٠% من السيدات الحوامل رفضن العلاقة الجنسية لوجود آلام أثناء اللقاء وانعدام القدرة على الحركة.

٣. بعد ولادة الطفل ذكر غالبية الأزواج أن اللقاء الأول لم يتم إلا بعد مرور ستة أسابيع من الولادة.

٤. ٥٠% من الزوجات أحسسن بالآم عند اللقاء الأول بعد الولادة.

٥. ٤٠% من الزوجات قلت عندهن الرغبة الجنسية وعدد مـــرات اللقاء بعد ولادة الطفل ولمدة سنتين على الأقل ، ويمكن تلخيص النتائج إلى أن الحمل الأول وولادة الطفل الأول تؤثـــر تـــأثيراً مباشراً على العلاقة الجنسية بين الأزواج وأن كان التـــأثير لا يستمر عادة لأكثر من سنتين.

الوصايا العشر للمرأة الحامل

على الرغم من أن للحمل متاعب قد تعاني منها المرأة ، إلا أنه تتويج لأنوثتها ، ومنتهى آمالها في الحياة أن تصبح أما ، وما أسعد من أيام تعيشها في انتظار وترقب لقدوم مولودها الجديد ، ومع هذا ، فقد يحث ولا قدر الله ما يعكر الصفو بسبب أخطاء تقع فيها الأم أو تتعرض لها مما يضر بها أو بجنينها.

ولكي تمر هذه الشهور التسعة بسلام وخير ، نقدم عشرة وصايا لكل حامل لتلزم بها ، حتى تكتمل سعادتها.

١. تجنب القلق والتوتر:

فالقلق والتوتر من أخطر أمراض المدنية ويؤثران بطريقة مباشرة على سلامة الحمل وصحة الجنين ، كما تزداد معها نسبة حدوث الإجهاض وارتفاع ضغط الدم أثناء الحمل.

٢. الابتعاد عن الأدوية بمختلف أشكالها وأنواعها:

ذلك لأن الأدوية تضر بالجنين ضرراً مباشراً ، في شهور الحمل المختلفة ، حتى ما يبدو منها بسيطاً كما تظنين فالطبيب وحده هو الذي يستطيع أن يصف لك الدواء اللازم والمناسب عند الضرورة ، أما بالنسبة لتناول أقراص الحديد أثناء الحمل ، فإنه ينبغي المداومة على استخدامها لأن جنينك في حاجة إلى كميات إضافية من الحديد ، ليس لبناء جسمه فقط ، ولكن لأن يختزن هذا الحديد في كبده ، استعداداً لفترة ما بعد الولادة ، حيث يعتمد

في غذائية على اللبن فقط لعدة شهور ، والمعروف أن اللبن غذاء كامل من جميع العناصر إلا الحديد.

٣. الحرص على التمتع بساعات نوم كافية وفترات من الراحة والاسترخاء:

فهذه الفترات هي أفضل وسيلة لزيادة كمية الدم التي تصل إلى الرحم والجنين وبالتالي فإن الجنين يستمتع بأكبر قدر من التغذية وضروريات الحياة.

٤. ممارسة الرياضة بانتظام:

المشي ، هو أفضل وأسهل رياضة يمكن ممارستها تحت كل الظروف وفي جميع الأحوال حتى خلال أشهر الحمل .

أما الرياضة العنيفة ، فإنه ينبغي عليك تجنبها ، خاصة في الشهور الأولى والأخيرة من الحمل.

٥. الابتعاد عن الضوضاء:

ثبت علمياً أن الضوضاء تصيب الجنين بالعصبية والتوتر ، تماماً كما يحدث عند الشخص الطبيعي البالغ.

٦. تناول الغذاء المتكامل العناصر:

ينبغي أن يكون تناولك للغذاء بكمية كافية من الخضراوات والفاكهة ، فهي أفضل مصدر للفيتامينات والمعادن والعناصر الغذائية اللازمة لنمو

وحيوية جنينك ، كما يجب عليك تناول كمية مناسبة من اللحـــوم بأنواعـــها المختلفة فهي بالطبع أفضل مصدر للمواد البروتينية اللازمة لبنـــاء أنســـجة جسم الجنين.

٧. ارتداء الملابس الواسعة:

يجب الحرص على ارتداء الملابس الواسعة ، وتجنب الملابس الضيقـــة أو المصنوعة من الألياف الصناعية ، فالملابس القطنية هي خير وسيلة لتجنـــب أمراض الحساسية والاستمتاع بصحة وحيوية جلدك وبشرتك.

٨. الابتعاد عن مصادر التلوث المختلفة:

سواء كان ذلك في المأكل أو المشرب مـــع عـــدم التعـــرض لعـــوادم السيارات لفترة طويلة ، وكذلك الامتناع عن التدخين أو التعـــرض للمدخنيـــن ، كما يجب الابتعاد عن مصادر الإشعاع لأي سبب كان.

لا مانع من ممارسة العلاقة الزوجية.

وذلك ما لم يكن هناك داع لتجنبها مثل حـــدوث إجهـــاض منـــذر أو الخوف من حدوث إجهاض متكرر أو حدوث ولادة قبل الميعاد.

٩. المتابعة مع الطبيب:

ينبغي أن تكون زيارتك للطبيب بصفة دورية منتظمة طـــوال فتـــرة الحمل وليس فقط عند الشعور بالتعب ، فهناك كثير من مشاكل الحمل ، وقـــد لا تكون مصحوبة بأي أعراض إلا في مراحلها المتقدمة ، وليس الأمر وقـــفاً

على المتابعة الطبية فقط ، بل يجب سرعة استشارة الطبيب عند ملاحظتك مثـلاً أثناء فحصك لثدييك شيئاً غير طبيعي ، كتشققات الحلمة أو ضمورهـــا ، كمـا يجب الاستشارة الطبية أيضاً عند حدوث أي مشكلة مثــل : أي نزيف مـــهبلي ولو لقطرات بسيطة أو حدوث الآم أو مغص مفاجئ أو أي التـــهابات أخــرى مهبليـــة.

كيف تتجنبين النزيف في الشهور الأخيرة من الحمل؟

هو أخطر مضاعفات الحمل التي قد تحدث في الأشهر الثلاثة الأخـــيرة من الحمل.

(الشهر السابع أو الثامن أو التاسع) وفي حالة حدوثـــه فـــإن هنــــاك خطوات معينة يجب أن تتبعها السيدة الحامل ، حتى تتجنب خطورته ، وســـنبدأ أولاً بشرح أسبابه ومظاهره ، ثم كيفية التصرف في حالة حدوثه.

قد يحدث النزيف من داخل الرحم.... وهذا يشـــكل معظـم الحـــالات (حوالي خمسة وتسعين) وقد يحدث النزيف أيضاً من المهبل أو عنق الرحـــم ، وهذا النوع يشكل نسبة قليلة من الحالات.

أما النوع الأول فإنـــه ينتج بسبب انفصال المشيمة "الخلاص" المبكـــر عن جدار الرحم ، وحيث هذا المكان مليء بالأوعية الدموية ، فـــإن انفصـــال المشيمة هذا "يجرح" الأوعية ، وينتج عنه النزيف ، وهناك نوعان من النزيف:

الأول : عندما تكون المشيمة في مكانه الطبيعي داخل الرحم، وفي هـــذه الحالة فإن مما يؤدي إلى انفصال المشيمة يتركز في زيادة ضغط الـــدم أثنـــاء الحمل ، وحالات تسمم الحمل ، وحوادث الوقوع على البطن أو مـــن مكـــان مرتفع ... وفي بعض الحالات قد لا يكون هناك سبب ظاهر.

والنزيف في هذه الحالات يكون فجائياً ، مصحوباً بالآم شديـــــدة فـــي البطن وحسب شدة النزيف وآلامه تكون حالة الجنين ، ومدى تأثيره بذلـــك ... وعموماً فإن آلام البطن تكون نتيجة حدوث نزيف داخل الرحـــم ، ولذلــــك لا تعتمد في تشخيص هذه الحالات على كمية النزيف الظاهرة وحدها ... ويضطر الطبيب أمام هذه الحالات إلى إنهاء الحمل سواء بطريق "الطلق الصنـــاعي" أو بعملية جراحية ، حفاظاً على حياة الأم نفسها.

أما **النوع الثاني** من النزيف فهو عندما تكون المشيمة "الخــلاص" فــي الجزء الأسفل من الرحم ، "المكان الطبيعي في الجزء العلوي" ، ففي هذه الحالـة يكون النزيف نتيجة تمدد الجزء الأسفل من الرحم ، لازدياد حجم الجنيــن ، ولا تصاحبه آلام ، والعلاج هنـــا يعتمد على كمية النزيف ، فقد تســـتدعي الحالـــة إنهاء الحمل فوراً ، أو قد توضع المريضة تحت إشراف الطبي ، حتـــى ينمــو الجنين للدرجة التي تجعله قادراً على الحياة خارج الرحم.

وفي بعض الحالات قـــد يحدث النزيف من خارج الرحم ، وهو عندئـــذ يعد أخف أنواع النزيف ، ويسهل علاجه ، بدون أي مضاعفات تحدث بالنســـبة للحمل.

كيف تتصرف السيدة الحامل إزاء حالة النزيف ؟

إن الإجابة تتلخص فيما يلي:

يجب عليها فورا إبلاغ طبيبها، أو أقرب مستشفى، وبهذه المناسبة فإنـــه في البلاد المتقدمة يوجد بكل مستشفى فريق خاص من الأطباق مجهز بســـيارة إسعاف تشتمل على أجهزة طبية ، واستعداد تام لنقـــل الـــــدم ، وفـــور تبليـــغ

المستشفى بأي حالة نزيف قبل الولادة يتوجه هذا الفريق فوراً ، وهـــو يســـمى "الإسعاف الطائر" إلى مكانها ، ويبدأ أفراده في إجراء نقل الدم ، والإســـــعافات الأولية للسيدة المصابة بالنزيف... وهي في منزلها ، ثم يتم نقلها بعد ذلك إلـــى المستشفى لاستكمال خطوات العلاج.

ويجب على السيدة الحامل أيضاً أن تكون في منتهى الحذر في الشـــهور الأخيرة من الحمل ، حيث أن نزول كمية قليلة من الدم .... قد يكـــون مقدمـــة لنزيف خطير وإبلاغ الطبيب أو الذهاب للمستشفى في هذه الحالـــة قـــد يكـــون السبب في إنقاذ حياة الأم والجنين.

ومن الضروري أن تقوم كل حامل خلال شهور الحمل الأخيرة بتمديـــد فصيلة دمها لأنه في مثل هذه الحالات قد تكون حياة الأم هي ثمن التأخير فـــي عملية نقل الدم.

وبعد العلاج وإتمام عملية الولادة ، تكون السيدة في حالة إنهاك شـــديد يوازي كمية الدم التي فقدت منها.... لذلك فإنها معرضة لأية مضاعفـــات بعـــد الولادة مثل النزيف أو حمى النفاس ، من أجل هذا يجب رعايتها بعد الـــولادة ، وأن تستمر هذه الرعاية ، حتى تتحسن صحتها.

رشاقة دائمة للمرأة بعد الحمل والولادة

إنه مطلب عزيز في حياة كل امرأة أن تحتفظ برشاقتها على الدوام ، وأن تكون مقاييس قوامها بعد الحمل والولادة هي نفس المقاييس قبلها.... فهل هذا ممكنا ؟ من الملاحظ أن السيدة قبل الزواج وهي فتاة تعتني بقوامها ورشاقتها ووزنها ، وتحاول أن تتخلص من البدانة والسمنة وتنتقي أجمل الملابس لتكون بصحبة خطيبها أو زوجها في أجمل صورة ممكنة ، ونتيجة لذلك نجدها تقوم بإنفاق جزء كبير من دخلها في شراء مستحضرات التجميل بالإضافة إلى مصروفات الكوافير وخلافة ، فهي تحاول دائماً أن تظهر أمام خطيبها في أجمل صورة وأحلاها.

وعندما تنتقل الفتاة إلى منزل الزوجية ، فكثيراً ما تحتفظ بهذه الصورة لمدة عام أو عامين ، ومع بداية الحمل فالوضع حيث يفد المولود الأول نجد أن هذه الصورة الجميلة قد اختلفت ، فبدلاً من اعتنائها بنفسها وجمالها ومراعاة وزنها نجدها تهتم بمولودها القادم تاركة نفسها للسمنة نتيجة للاعتقاد وغير الصحيح بأن زيادة الطعام وخصوصاً النشويات والحلوى الطحينية والبيض وخلافه تساعد على إدرار اللبن لرضاعة الطفل وتكون النتيجة إضافة عدة كيلوجرامات زيادة على وزنها.

ومن حمل إلى آخر ومن ولادة إلى أخرى ، نجد أن السيدة أصبحت سمينة وأصبح من الصعوبة بمكان التخلص من هذا الشحم الزائد ، وتبرز المشكلة بداية نتيجة غلطة من نوع ونظام الطعام الذي تتبعه بعد الوضع ،

وتنتهي بغلطة هرمونية بالجسم من الصعوبة علاجها.

والملاحظ أن اهتمام السيدة بنفسها يقل تدريجياً مع كل حمل وكل ولادة حتى تأتي في النهاية ونجدها تهمل ملابسها وجمالها وكل شيء لذلك ننصح كل سيدة بالآتي:.

بعد الزواج

تلاحظ أن تظهر أمام زوجها وهي في أبهى حلة وأجمل صورة ولا تكون في المنزل أثناء وجوده بملابس البيت أو ملابس مبهدلة ، بحجة أنها مشغولة في عمل المنزل وفور قيامها من النوم عليها أن تنظم شعرها كما لو كانت ستقابل إحدى صديقاتها لأن صورتها في نظر الزوج أهم مليون مرة من صورتها أمام الناس ، فلا يعقل أن تتزين للناس في الخارج ولا تتزين للزوج داخل منزلها ، وقد نصح الدين الإسلامي الحنيف النساء المسلمات بهذا.

وتوجد عادة عند بعض الأزواج والزوجات وهي الاستحمام سوياً في حمام واحد ، وننصح الزوجة وخصوصاً السيدة الكبيرة يوجد لديها عيب أو تشوه خلقي في أي مكان من جسمها بالاستحمام وحدها ، وعدم السماح لزوجها برؤيتها عارية في الحمام ، خوفاً من أن تترك هذه التشوهات أثراً في نفسية أو عقله الباطن ، وكذلك قد تصبح عادة الاستحمام هنا غير ممكن الإقلاع عنها بعد إنجابهما فيتركان الصغير وحده أو قد يراهما على هذه الصورة.

وعلى الزوجة أن تراعي رغبة الزوج فبعض الرجال تثيرهم روائح بالذات ، بينما البعض الآخر تثيرهم ملابس من ألوان معينة أو تسريحة معينة في الشعر ، وهكذا ، ولذلك على الزوجة التي تريد أن تكسب حب زوجها

باستمرار وتلفت انتباهه دائماً ، أن تراعي ما يفضله من ألوان وملابس وروائـــع محببة إلى النفس ، بذلك تضمن أن زوجها لا يسترعي انتباهه أي شيء خارجي وإن حبه لها بعد الزواج مثل حبه قبل الزواج.

أثنـــــــاء الحمل

على السيدة الحامل أن تراعي وزنها باستمرار ، حتى لا يزيد الـــوزن وتنتفخ السيدة وتصاب بتسمم الحمل ، الذي يبدأ عادة بزيادة الوزن على المعـدل الطبيعي ، ثم تورم في الساقين "أوزيما" وارتفاع ضغط الدم ، ثم زلال في البول وخصوصاً في الشهور الأخيرة ، ويمكن أن يموت الجنين داخل البطن نتيجـــة هذه المضاعفات . لذلك يعطى الطبيب أكبر الاهتمام لوزنها فطول مدة الحمـــل يجب أن لا تزيد على ١٢ كغم بحد أقصى ٣ كغم أو ٣,٥ كغم للجنين + نصــف كيلو للمشيمة + كيلو السائل الأمينوس للطفـــل + كيلـــو لزيـــادة وزن الرحـــم ومجموع هذا ٦ كيلو غرام أما الباقي فزيادة في سوائل الجسم والدهـــن للســـيدة الحامل.

وعلى السيدة الحامـــل أن تلبس الملابس الفضفاضة المناسبة للحمـــل ، وأن تقوم بالرياضة البسيطة أو المستمرة أثناء الحمل وخصوصاً رياضة المشـــي في الشهور الأخيرة ، وعليها بمراعاة الاعتدال في الجنسي المسموح بـــه مـــرة واحدة كل أسبوع حتى ابتداء الشهر التاسع ، وبعد ذلك يمنع الاتصال الجنســـي حتى الوضع بل وبعد الوضع وحتى الأربعين ، وذلك حتى يعود الرحم الكبـــير المتضخم والذي يصل وزنه إلى حوالي كغم بعد الوضع مباشرة إلـــى حجمـــه الطبيعي ومكانه الطبيعي ووزنه الطبيعي حوالي ٣ أوقيـــات وتعـــود الأنســـجة الرخوة بعد الوضع مباشرة إلى حالتها الطبيعية بعد الستة أسابيع "الأربعين".

بعد الـــــــولادة

على السيدة أن تعود إلى وزنها قبل الحمل والوضع وألا تسمح لنفســـها بأي زيادة على الوزن الطبيعي ، وهو عبارة عن طولـــها بالســـنتيمتر نـــاقص ١٠٢سم أو ١٠ سم في الرجل ناقص ١٠٠ سم ، أي الطول بالسنتمتر نـــــاقص ١٠٢ سم ، وعليها أن تلاحظ أن أي تهاون بعد الولادة في معدل وزنها ســتكون النتيجة الترهل وإضافة كغم زيادة إلى وزنها ، ويكون من الصعب جداً بعد ذلك التخلص منها ، وعليها بعد الوضع أن تقوم بالتمرينـــات الرياضيـــة لعضـــلات البطن والمهبل والعجان لتعود كما كانت قبل الوضع ولا تعتمـــد علـــــى لبـــس الحزام وبالنسبة للأكل لا تأخذ بالاعتقاد الخاطئ بأن كثرة الأكـــل تدر اللبـــــن بل أن المنبه الأول للإدرار اللبن هو الرضاعة وليس أكل الحلاوة الطحينيـــة أو شرب الحلبة وأكل العسل الأبيض وخلافه.

وعليها أن تراعي ملابسها وجمالها ومكياجها مـــع مراعاتـــها لطفلـــها القادم الجديد ولا تهمل نفسها على حساب مولودها ، ولا تهمل زوجها أيضا على اعتقاد منها بأنها قد أتت بالقيد الحديدي له ، بل عليها أن تـــتزين لزوجـــها ولا تظهر له في المنزل إلا في أشيك الملابس وأحسن الصــــور وكأنـــها ســتقابل صديقاتها أو ضيوفاً لها خارج المنزل أو داخله ولا تظهر لزوجها في المـــنزل بأي ملابس قديمة متسخة اعتمادا على أنها في المنزل وتقوم بالواجبات المنزلية سواء في المطبخ أو في الحمام بهذه الصورة يجب أن تمنع من البيوت.

للمرأة الرشيقة نصائح هامة:

١. راعي عدم الإكثار من السكريات أو الدهون لأن زيادتها نسبة كبيرة تؤدي إلى زيادة وزنك ، وتمنعك من تحقيق رغبتك في رشاقة دائمة.

٢. لا مانع من تناول كميات من الخضراوات والفواكه إلى جانب اللحوم والبروتينات لأنها تفيدك كثيراً أو لا تؤدي إلى زيادة وزنك ، طالما أن هناك مجهوداً يبذل من جانبك.

٣. لاحظي دائماً أن يكون طعامك متوازناً يحتوي على كل العناصر الضرورية ولا تتناولي كميات كبيرة في كل وجبة حرصاً على رشاقتك ولا تتناولي أي شيء بين الوجبات.

٤. يمكنك التعرف على نتيجة الرجيم الذي تسيرين عليه بعد مرور أسبوعين.

٥. راعي أهمية العرض على الطبيب في حالة شعورك بأي أعراض مرضية ناتجة من قيامك بعمل الريجيم الخاص بك وذلك في محاولة للاطمئنان على سلامتك ومنعاً من حدوث أي أعراض مرضية.

٦. لا مانع من تناول بعض السوائل والمشروبات بجانب تناولك لوجبات الريجيم.

٧. يمكنك القيام بعمل بعض التمرينات الرياضية الهادئة بجـانب تنفيذ الريجيم ، وذلك في محاولة للتخلص من بعـض العيـوب الموجودة في الجسم.

٨. لا خوف من تناول وجبات من الخـس والخيـار والطمـاطم والسلاطة والخضراء فهي وجبات لا تزيد الوزن.

٩. لا خوف من تناول اللحوم ولكن بكميات معقولـة ، وتفضـل اللحـوم المشوية حرصاً على سلامتك مـن الدهـون وزيـادة الوزن.

فهرس


تم بحمد الله

دار أسامه للنشر والتوزيع
الأردن - عمان

تلفاكس / ٥٨٦٢٦٢٣ ـ ٤٦٤٧٤٤٧

ص . ب ١٤١٧٨١